اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

قسم التاريخ

أسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام علي(ع)

رسالة قدمها

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الكوفة

علي سعد تومان عدوة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الاستاذ المساعد الدكتور

سمير صالح حسن

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)

صدق الله العلي العظيم

سورة المائدة،الآية ٥٥

الإهداء

إلى الذي شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله .... أقدم هذا الجهد المتواضع وأنا صاغر أمام هذا العملاق الشامخ راجين القبول...

عند اعتابكم...

مولاي...

الباحث

اقرار المشرف العلمي

اشهد أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.

المشرف

الاستاذ المساعد الدكتور

سمير صالح حسن

التاريخ: / / ٢٠٠٩

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبيرين اللغوي و العلمي أرشّح الرسالة للمناقشة.

الاستاذ المساعد الدكتور

علاء حسين الرهيمي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / /٢٠٠٩

قرار لجنة المناقشة

استنادا إلى محضر مجلس الكلية المرقم( ) المنعقد في ١١/١١ /٢٠٠٩ بشأن تشكيل لـجنة لمناقشة الرسالة الموسومة(أسس بناء الدولة الاسلامية في فكر الامام علي ع) للطالب(علي سعد تومان عدوة) نقرّ نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها بأننا اطلعنا على الرسالة،وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها،بتاريخ / /٢٠١٠ ،فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، بتقدير ( ).

الأمضاء:
عضو: أ.م.د.فاضل كاظم صادق
التاريخ: / /٢٠١٠

الأمضاء
عضو: أ.م.د.جابر رزاق غازي
التاريخ: / /٢٠١٠

الأمضاء:
عضو مشرف: أ.م.د.سميرصالح حسن
التاريخ : / /٢٠١٠

الأمضاء:
رئيس اللجنة: أ.د.حسن عيسى الحكيم
التاريخ : / /٢٠١٠

صادق مجلس كلية الآداب ـ جامعة الكوفة على قرار لجنة المناقشة بجلسته المنعقدة بتاريخ : / /٢٠١٠

الأمضاء
الأستاذ المساعد الدكتور
علاء حسين الرهيمي
العميد وكالة
التاريخ: / /٢٠١٠

شكر وتقدير

أول الشكر و الثناء و عظيم الامتنان إلى صاحب العزة و الجلال و المنّة سبحانه وتعالى. وأقدم فائق الشكر و التقدير و الاحترام إلى أستاذي الفاضل المشرف الأستاذ المساعد الدكتور سمير صالح حسن لقبوله الاشراف على الرسالة ولما بذله من جهد وارشاد خلال مدة كتابة الرسالة واقدم وافر الشكر للاستاذ المساعد الدكتورعلاء حسين الرهيمي رئيس قسم التاريخ والاستاذ المساعد الدكتورجاسب عبد الحسين، والاستاذ المساعد الدكتورياض الجواري، ، والاستاذ المساعدالدكتور عمار نصار والمدرس الدكتور هادي عبد النبي ، والمدرس الدكتور جابر رزاق والمدرس الدكتور حاتم جياد والمدرس الدكتورعلاوي العزاوي والمدرس المساعد سلمى الموسوي والمدرس المساعد نبيل الخاقاني والاخ محمد جواد الجزائري وكافة الاساتذة في قسم التاريخ وزملائي طلبة الدراسات العليا.

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري الى العاملين في مكتبة الإمام أمير المؤمنين ومكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الإمام الحسن ومكتبة الامام الصادق و مكتبة الإمام الحكيم العامة ومكتبتي كليتي الآداب والقانون جامعة الكوفة،و مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)لإحياء التراث وإلى السيد حامد المؤمن، و الأخ سلام الشماع الذي قدم لي كثيرا من المصادر التاريخية من مكتبته الخاصة،وأخيراً شكري وتقديري لكل من قدم لي يد المساعدة والعون ممن لم يحضرني اسمه.

الباحث

قائمة الرموز والمصطلحات

١- ت	تاريخ الوفاة
٢- ج	الجزء
٣- د.ب	دون بلد
٤- د.ت	دون تاريخ
٥- رض	رضي الله عنه
٦- ص	الصفحة
٧- ط	الطبعة
٨- ق	قرن
٩- ق هـ	قبل الهجرة
١٠- م	ميلادي
١١- هـ	هجري
١٢- م.ن	المكان نفسه
١٣- (*)	هامش تعريف

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	**١-٣**
التمهيد	**٤-٢١**
الفصل الأول: الأساس الفكري والسياسي عند الإمام علي ε	**٢٢-٨٤**
المبحث الأول: الأساس الفكري	**٢٣-٣٧**
المبحث الثاني: الفكر السياسي عند الإمام علي ε	**٣٨-٨٤**
الفصل الثاني:الأساس العسكري في فكر الإمام علي ε	**٨٥-١١١**
المبحث الأول: البعد التعبوي	**٨٧-٩٥**
المبحث الثاني:البعد الروحي(الديني)	**٩٦-١٠١**
المبحث الثالث: البعد الإنساني	**١٠٢-١١١**
الفصل الثالث: الأساس المالي والاجتماعي في فكر الإمام علي ε	**١١٢-١٤٦**
المبحث الأول: الأساس المالي في فكر الإمام علي ε	**١١٢-١٣٦**
المبحث الثاني:الأساس الاجتماعي في فكر الإمام علي ε	**١٣٧-١٤٦**
الفصل الرابع: الأساس الإداري والقضائي في فكر الإمام علي ε	**١٤٧-١٨٢**
المبحث الأول: الفكر الإداري عند الإمام علي ε	**١٤٧-١٦١**
المبحث الثاني: الفكر القضائي عند الإمام علي ε	**١٦٢-١٧٤**
المبحث الثالث: الأنظمة المساعدة على تحقيق العدالة	**١٧٥-١٨٢**
الخاتمة	**١٨٣-١٨٤**
المصادر والمراجع	**١٨٥-١٩٩**
ملخص باللغة الانكليزية	**1-3**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد β معلم البشرية ومنقذها من الظلمات إلى النور وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

ليس من السهل الكتابة عن الإمام علي ε ودوره الفكري في ترسيخ اسس بناء الدولة الاسلامية،على الرغم من أن الكتاب والباحثين قد أغنوا المكتبات العامة والخاصة بكتاباتهم في الموضوع،لكن الدافع الذاتي حفزني على البحث والدراسة فيه لاهميته التي تأخذ ثلاث اتجاهات على الاقل وهي:

اولا:على مستوى الدولة الاسلامية واسسها المادية والمعنوية.

ثانيا:مايتعلق بشخصية الامام علي ε الذي كانت له الريادة والسبق في العمل ليس على مستوى الساحة الاسلامية بل تعداه الى المساهمة في بناء الحياة الانسانية بشتى جوانبهاالفكرية والحضارية.

ثالثا:ان العطاء الفكري والجهادي الثري منذ بداية حياته الى يوم استشهاده ε لم يكن اعتياديا لذا جعل من الصعب على الباحثين ان يتوقفوا عند حد معين في بحثهم، أي ان باب الدراسة والبحث تظل مفتوحة للنهل من ذلك العطاء.

هذا من جانب اما من جانب اخر كان لافتقار مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب لاطاريح أو رسائل جامعية عن شخصية الإمام علي ε فقد دفعني هذا الحافزالعلمي أكثر إلى هذا المشروع، وفي تقديري أن تكون الدراسة تشمل جانبا واحدا أو جانبين على الأكثر، ولكن اصرار اللجنة العلمية على هذا الموضوع كان أكبر من طموحي فجعل الدراسة تشمل أغلب الأسس الفكرية للإمام علي ε إذا لم نقل جميعها، وعلى الرغم أن الموضوع أقرّ على النحو الآتي (أسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام علي ε)،فقد شرعت مع أستاذي المشرف في وضع خطة،التي تميزت بالشمولية ،وقد توزعت فيها الدراسة على أربعة فصول، زيادة على المقدمة والخاتمة، تقدمها تمهيد شمل مباحث أولها: مفهوم الدولة والحكم عند العرب، وثانيها: تناول الدولة الرسول

β في المدينة، وثالثها: بُحث فيه مفهوم المسلمين للحكم، ورابعها: وضح فيه مفهوم الخلافة والإمامة، وخامسها: درس فيه بيئة الإمام علي ε ومؤهلاته.

واختص الفصل الأول لدراسة الأسس الفكرية والسياسية عند الإمام علي ε وجاء في مبحثين هما: المبحث الأول الأساس الفكري عند الإمام علي ε وتناولت فيه دراسة بعض النظم الفكرية مثل الكتابة وعلم النحو وجمع القرآن والتدوين وعلم التنزيل وعلم القراءات على سبيل الإيجاز.

أمّا المبحث الثاني فقد شمل أسس الفكر السياسي عند الإمام علي ε ، وكانت مباحثه الفرعية تبدأ بدراسة الأوضاع السياسية منذ وفاة الرسول β سنة ١١هـ/٦٣٢م، حتى بيعة الإمام علي ε في سنة ٣٥هـ/٦٥٥م، ومن ثم دراسة بيعة الإمام علي ε في مبحث آخر، وبعد ذلك جاءت دراسة المفهوم الفكري عند الإمام علي ε لمنصب الخلافة، ثم ناقشنا سياسية الإمام علي ε عند توليه الإمامة أو الخلافة،وفي الفقرة الأخيرة من المبحث الثاني للفصل الأول درست المعارضة السياسية في فكر الإمام علي ε وقسم بطبيعته على عدة فقرات بحثية تناولت عهد الخلفاء، الراشدين من سنة(١١هـ/٦٥٥م - إلى ٤٠هـ/٦٦٠م)، حيث اتخذت المعارضة في هذا العهد أسلوبين :الأول المعارضة السلمية ،والأسلوب الثاني:المعارضة المعارضة العسكرية اما الفصل الثاني الذي تناول الأسس الفكرية العسكرية عند الإمام علي ε ، وقسم على ثلاثة مباحث حسب تسلسلها العلمي والموضوعي، تقدمها المبحث الاول لدراسة البعد التعبوي في فكر الامام ε وثم المبحث الثاني لدراسة البعد الروحي (الديني) عند الإمام علي ε فيما جاء المبحث الثالث لتناول البعد الإنساني.

أمّا الفصل الثالث فقد اختص في دراسة أساسين مهمين هما: المالي والاجتماعي واقتضت الدراسة أن يقسم على مبحثين رئيسين هما: الأساس المالي في المبحث الأول: وتناول المبحث الثاني الأساس الاجتماعي، وقسم على مباحث فرعية أيضا في حين كان الفصل الرابع بعنوان الأسس الإدارية والقضائية في فكر الإمام علي ε وتفرع على ثلاثة مباحث هي الأساس الإداري والمبحث الثاني الاساس القضائي اما المبحث الثالث فقد بحث فيه الانظمة المساعدة على تحقيق العدالة مثل (المظالم، الحسبة ، الشرطة)، وقد ختمت هذه الفصول بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث، تلتها قائمة بأسماء مصادر الرسالة ومراجعها.

وتنوعت مصادر البحث بحسب مقدار خدمتها للدراسة فمنها ما كان شاملا ومنها ما تميز بالتخصص،ولكن بصورة عامة فان الأولوية كانت لكتاب الله العزيز (القرآن الكريم) وكتب التفسير والحديث التي وردت في طيات الدراسة أمّا المصادر التاريخية: فقد كان لكتاب الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف لوط بن يحيى الازدي (ت١٥٧هـ - ٧٧٣م) ولقرب مدته التاريخية من الاحداث وغزارة مادته، وكتاب الخراج لابي يوسف القاضي (ت١٨٢هـ-٧٩٨م) الذي جاء مختصا بالجانب المالي؛لكن هناك نصوصا كثيرة تخدم الدراسة في جوانب أخرى أمّا كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ - ٨٢٧م) فعلى الرغم من تخصصه في الجانب العسكري لوقعة صفين خاصة،إلا أن متابعته الدقيقة للوقائع العسكرية والكتب والمراسلات والخطابات بين الإمام علي ε ومعاوية والقادة الآخرين من الجيشين أظهرت الجانب السياسي في تلك الحقبة أيضا..

وحفظت كتب السيرة النبوية مادة تاريخية وأدبية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هكذا دراسات، مثل كتاب السيرة النبوية لابن هشام(ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، ومن الكتب التاريخية التي أغنت الدراسة بالمعلومات التاريخية المتنوعة كتاب المعيار والموازنة لأبي جعفر الاسكافي(ت٢٢٠هـ/٨٣٥م)، ورفد كتاب التاريخ لليعقوبي(ت نحو ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، الدراسة بمعلوماته القيمة، وتناولت أيضا كتاب الأمالي للشيخ المفيد(ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، وعلى الرغم من الصبغة الفقهية للكتاب لكنه ثري بمضامينه التاريخية المتنوعة، وكان لكتاب الاحكام السلطانية للماوردي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، أهمية في إتحاف الرسالة بمعلومات لأغلب الجوانب فيها، اما كتاب الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، فقد رفد مباحث الرسالة بمعلومات قيمة.

وقد غطى كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، مساحة واسعة من الدراسة لشموله على مادة تاريخية قيمة، اختصت بدراسة سيرة الإمام علي ε بمختلف أوجهها،ومن المصادر الأخرى كتاب أخبار القضاة لوكيع بن محمد بن خلف بن حبان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م) وكتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ - ١٥٥٠م) ومصادر أخرى كثيرة أدرجت في قائمة المصادر.

أمّا المراجع التي قوّت المصادر التاريخية في البحث والتحليل عن النصوص والأحداث الإسلامية، منها كتاب الامام علي ε سيرة وجهاد للمفكر الإسلامي محمد باقر الصدر، وكتاب عبقرية الإمام علي ε لعباس محمود العقاد، وكتاب الإمام علي ε روح الإسلام الخالد للدكتور

حسن عيسى الحكيم التي أسهمت معلوماته في اغناء الرسالة وتقويتها، ومن المراجع التي تناولتها كتاب إبراهيم بيضون (من دولة عمر إلى دولة عبد الملك) والذي تميز بالتحليل السياسي للنصوص الإسلامية خدمة للحقيقة التاريخية، وغيرها من المراجع.

التمهيد

١ـ مفهوم الدولة والحكم عند العرب:

إن أي تجمع بشري يحتاج إلى ضوابط تنظم حياته الخاصة والعامة، وهذا التجمع الذي نستطيع أن نقول بأنه حتمي ولابد منه لمواجهة التحديات الطبيعية من اجل البقاء والمحافظة على النوع على أقل تقدير، لذا فأن((الاجتماع الإنساني هو عمران العالم ضروري... أي لابد من الاجتماع الذي هو المدنية عندهم ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه ، اذ لا يمكنه انفراده، بتحصيل أسباب معاشه وإعداد ما يدفع به نفسه، من دون معين من أبناء جنسه فيضطر به إلى اجتماع يتكفل له ذلك))[١].

فأصبح بمقتضى هذا الاجتماع البشري أن يكون هناك راعٍ أو حاكم أو ملك للحاجة الماسة لتنظيم الحياة ((ما أشبه حاجة الرعية إلى الراعي في فضل الفرائض والسائس والفارس على الدابة، ولولا الملوك لأكل الناس بعضهم بعضا...))[٢].

ويؤكد ابن خلدون حقيقة على ذلك وهي((أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة وافتقاد الحاجات ومد كلّ واحد يده إلى حاجته ،يأخذها صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض... فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء... فاستحال بقاؤهم فوضى من دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحكم عليهم...))[٣].

وقد سجل العرب أدراكهم بوجوب التنظيم والحكم في حياتهم، وما قيل في الشعر العربي يمكن الاستدلال به ، مثلا قول الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي:

((لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
كالبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عمود إذا لم ترسَ أوتادُ

---

[١] ابن الأزرق، أبو عبيد الله(ت٨٩٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار،(بغداد،١٩٧٧م)،ج١/ص٤٧.

[٢] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت ٤٢٩هـ)، آداب الملوك، تحقيق :جليل العطية،ط٢،(بيروت،٢٠٠٥م)،ص٣٣.

[٣] عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ)، المقدمة،(بيروت، ١٩٩٢م)،ص١٨٧.

فـــإن تجمّـــع أوتـــاد وأعمـــدة وســاكن بلغـوا الأمـر الـذي كـادوا))[١]

ونتيجة لهذه الضرورات والمفاهيم بحاجة الإنسان الغريزية بوجوب اللجوء نحو الاجتماع والاستقرار والتنظيم، ولا سبيل لبلوغ هذه الأهداف إلا عن طريق قيام كيان اجتماعي وسياسي يلبي ويحقق تلك الأهداف أو الحاجات، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود دولة تستطيع تنظيم شؤون الحياة وتلبية حاجات جماعة من البشر.

وفي هذا السياق لابد من معرفة مفهوم الدولة[٢] ،بصورة عامة،حيث أن((أن الدولة ليست حقيقة شرعية ولا متشرعية، بل هي حقيقة عرفية خاصة أو عامة... ولكن الظاهر عدم وجود تعريف جامع للدولة في علم السياسة حتى ذهب بعض المتخصصين إلى أنه جمع مائة وخمسة واربعين تعريفا لهذا المفهوم، مما يكشف عن أن أهل الاختصاص فيه لم يتفقوا على تعريف منطقي وشامل لكل أفرادها وطارد لأغيارها، وربما ذلك ناشئ من كون الدولة حديثة الاستعمال نسبيا، إذ لم تعرفه أوربا قبل النهضة، وقد استخدمت منذ القرن السابع عشر للتعبير عن الكيان الذي يشكل في آن ما اطارا وركيزة للسلطة السياسية...))[٣].

ويقال في تعريفها إنها:((المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توحد بين جماعة من الناس))[٤].

وفي تعريف آخر للدولة يذكر إنها هي:((تنظيم سياسي له صفة الدوام يضم مجموعة من الأفراد يقطنون اقليم معين ويخضعون لسلطة سياسية))[٥].

وهناك من يذهب إلى وضع مقومات وأركان يستند عليها نظريا وعمليا، ويشير أحد الباحثين إلى هذا المفهوم بقوله:((لكي تظهر الدولة إلى الوجود كتنظيم مستقل ،لابد من توافر ثلاثة أركان، هي: الشعب والاقليم والسلطة، على ذلك أن انتفاء أي من هذه الأركان يعني بالضرورة

---

[١] شاعر جاهلي مقل حكيم، ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت٤٢٩هـ)، لباب الآداب، حرره وحققه: أحمد حسن بيج ،(بيروت،١٩٩٧م)،ص١١١.

[٢] الدولة: انقلاب الزمان والعقبة في المال... ودولة وقد أدله. وتدالوه: أخذوه بالدول). ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨٧١هـ)، القاموس المحيط، اعداد وتقديم :محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢،(بيروت، ٢٠٠٣م) ، باب اللام فصل الدال ، ص٩٢٠.

[٣] ينظر: الصفار، فاضل، فقه الدولة، بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية،(قم، ٢٠٠٥م) ،ج١/ص٤٩.

[٤] فرج، عودة عباس، الدولة في الفكر الفقهي عند السيد محمد باقر الصدر،(العراق، ٢٠٠٩م)،ص٣٠.

[٥] الشكري، علي يوسف، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية،(القاهرة، ٢٠٠٨م)،ص ١١.

انتفاء الدولة ...))[١].وهذا المفهوم من المفاهيم السياسية الحديثة أيضا.

وهناك((اختلاف واضح بين طبيعة الدولة في الفكر السياسي الحديث والفكر الإسلامي ينتج تغير في مفهوم الشعب وفي مفهوم الاقليم. فالشعب أناس يرتبطون فيما بينهم برابطة الأرض، بينما الأمة يرتبط أفرادها ببعض برابطة العقيدة الواحدة، فهناك حدود الأرض هي التي تحد مواطني الدولة، بينما هنا حدود العقيدة هي التي تحد هؤلاء المواطنين.من هنا فالاقليم ممتد بامتداد العقيدة الإسلامية وهو ليس بثابت؛لأنه يتسع ليشمل الأرض كلها))[٢].

ويقسم بعض الباحثين الدولة على ثلاثة اقسام هي:((الدولة الاقليمية...الدولة القومية...الدولة الفكرية... ومن طبيعة الدولة الفكرية أنها تحمل رسالة فكرية ولا تعترف لنفسها بحدود إلا حدود تلك الفكرة، وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في أوسع مدى انساني ممكن. وكذلك الدولة الإسلامية فإنها دولة ذات رسالة فكرية هي الإسلام .والاسلام دعوة انسانية عامة بُعث بها النبي محمد β الى الإنسانية كافة في مختلف العصور والبقاع بقطع النظر عن الخصائص القومية والاقليمية وغيرها...))[٣].

وقد عرف العرب قبل الإسلام دول عدة قامت في الجزيرة العربية وعلى أطرافها، حيث((تعد الدولة المعينية من أقدم الدول العربية التي بلغت خبرها، وقد عاشت وازدهرت بين ١٣٠٠ -٦٣٠ ق.م تقريبا...))[٤]، فضلا عن امارات عربية أخرى[٥]، كمملكة تدمر والحيرة وكندة والغساسنة[٦].

أما بالنسبة للعرب في الجزيرة العربية مثل مكة وما يحيط بها من قبائل وفي الأعم الأغلب كانوا لا يخضعون لدولة،وكانوا ينظمون شؤون حياتهم بينهم إذ كان((لهم حكام يرجعون اليها في أمورها وتتحاكم في تنافراتها ومواريثها ومياهها ودمائها، لأنه لم يكن لهم دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والنجدة والرئاسة والسن

---

[١] الشكري ، علي يوسف، مبادى القانون الدستوري والنظم السياسية ،ص٢٤.

[٢] الموسوي، محسن، دولة الامام عليε (د.ب، ١٩٩٣م)،ص١٧٧.

[٣] ينظر: فرج ،عودة عباس،الدولة في الفكر الفقهي عند السيد محمد باقر الصدر،ص١٧٦.

[٤] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،(د.ب،د.ت)،ج٢/ص٧٣.

[٥] ينظر: المصدر نفسه،ج ٢/ص٦٠٠.

[٦] المصدر نفسه،ج ٣/ ص٧٩ وما بعدها.

والمجد والتجربة))[1].

٢ـ دولة (حكومة) الرسولβ في المدينة:

إن هجرة الرسولβ من مكة إلى المدينة تعدّ من الانتقالات المهمة على الصعيد الإسلامي، نظرا لما ستؤول إليه الظروف في توفر المقومات أو الاركان الرئيسة لقيام دولة للمسلمين على الضد من الظروف التي عاشها الرسولβ والمسلمون في مكة[2].

ففي المدينة أصبح للرسولβ دولته وفق المفهوم العام للدولة لوجود ارض أو اقليم خاص لدولته وشعب يؤمن بنبوته ويذعن بالطاعة لسلطته التي يستمدها من التشريع الإلهي، على الرغم من عدم وضوح الرؤية للحكومة آنذاك إلا ان((فكرة الحكومة الإسلامية ... تتلخص في أنه ليست في الإسلام في حالة وجود النبيβ سلطتان: سلطة زمنية وسلطة دينية، وإنما هي سلطة واحدة دينية زمنية تجتمع في يد انسان واحد هو النبي β يكون المرجع فيما يتصل بها وما ينبثق عنها كافة...))[3].

وحينما تهيأت الظروف الموضوعية والتاريخية لرسول الله β في المدينة بدأ بمرحلة تنظيم دولته، وكان أول عمل قام به هو بناء مركز قيادته وحكومته وموضع عبادته إلا وهو المسجد، وذلك بعد وصوله إلى المدينة بثلاثة أيام[4].

وبعد فراغه من بناء المسجد اتجهβ لتنظيم شؤون المسلمين((واستطاع... أن يجعل نفسه في المدينة على رأس جماعة من اتباعه كبيرة العدد آخذة في النمو، يتطلعون إليه زعيما قائدا، ولا يعترفون بسلطان غير سلطانه، من دون إثارة أي شعور من القلق أو خوف من التعدي على

---

[1] اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط٢،(قم المقدسة،١٤٢٥هـ)،ج١/ ص٢٢٠.

[2] ينظر: ابن اسحق، محمد ابن اسحق بن يسار(ت١٥١هـ)، سيرة ابن اسحق، تحقيق: سهيل زكار،(د.ب، ١٩٧٨م)،ص ١٥٤ وما بعدها.

[3] شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والادارة في الإسلام، ط٣،(قم،١٩٩٢م)،ص٤٠.

[4] ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، شرح وتحقيق: أحمد شمس الدين،(بيروت،١٩٨٨م)،ج٢/ص٧٨.

السلطة المعترف بها... وهكذا باشر الرسولβ سلطة زمنية كالتي يمكن أن يباشرها أي زعيم آخر مستقل، مع فارق واحد وهو الرباط الديني بين المسلمين الذي يقوم مقام رابطة الأسرة والدم))[١].

وسعى الرسولβ من خلال ذلك إلى اشاعة روح التعاون بين المسلمين لأن((الإسلام ومبادئه تنص على أنه خاتم الأديان، يجب أن يعطي الناس لونا من الحياة اسمى من جميع ما عرفوه من ألوانها... فنشأ الإسلام، واهدافه يقضيان أن يعنى بالجانب المادي من حياة الإنسان عنايته بالجانب الروحي على السواء... فهو لا يحدد للإنسان الوظائف المتعلقة بما وراء الطبيعة فحسب، وإنما يأخذ على عاتقه أيضا، الصلات بين الفرد والمجتمع ويوضح العلاقات من ابسطها إلى اشدها فيضع الحلول لما يعتورها من مشكلات، والتوجيهات الكفيلة باستتبابها واطرادها، وذلك لأنه يرى أن الاهتمام بهذين الاتجاهين هو الأساس المتين للحياة العامة))[٢].

وهكذا أخذ الرسولβ يتعامل مع الأوضاع بالمدينة بشكل عام سواء أكانت بين المسلمين أنفسهم أم مع المشركين واليهود ويقوم باتخاذ الإجراءات السليمة والناجحة المنسجمة من مبادئ الدين الإسلامي، وبعد الفراغ من بناء المسجد واجه المسلمون ولاسيما المهاجرون منهم عقبة كبيرة ربما تكون لها نتائج خطيرة إن لم يتصدَ لها ويعالجها، وكانت تتمثل بالمهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهلهم وهاجروا ابتغاء مرضاة الله تعالى، فعالج الرسولβ هذه المشكلة بسرعة قبل أن تتفاقم وذلك بإعلان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، واقتضى بموجب هذه المؤاخاة((أن يتوارثوا دون ذوي الأرحام))[٣]، فكان لهذا الإجراء مردود اجتماعي كبير على مجتمع المسلمين في المدينة، فضلا عن أنها تدل على عمق التفكير القيادي الذي تعامل به رسول اللهβ مع الحدث المفاجئ لترسيخ وتعميق روح التعاون والتضحية والتكافل الاجتماعي لخلق جبهة رصينة تأخذ على عاتقها مواجهة التحديات المستقبلية بهذه النخبة التي أعدها الرسول β اعدادا عقائديا ليكونوا نواة الدين والدولة الإسلامية المنتظرة.

---

[١] حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام،ط١٥ ،(القاهرة، ٢٠٠١م)،ج١/ص٨٧.

[٢] شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والادارة في الإسلام،ص٢٨.

[٣] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي،(بيروت،١٩٩٦م)،٣١٨/١؛ العمر، سمير صالح حسن، عثمان بن عفان، سيرته ودوره السياسي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بغداد ،١٩٩٩م،ص٣٧.

بعدها اتجه الرسولβ إلى خطوة مهمة وكبيرة في المدينة وهي الصحيفة التي تنظم شؤون مجتمع المدينة الذي يتكون من الكتل الثلاثة التي فيها؛ليحقق الأمن والاستقرار وكسب الوقت، وهذه الكتل هي:

١. المهاجرون ٢ـ الانصار ٣ـ اليهود[١].

وبموجب بنود هذه الصحيفة أصبح الرسولβ هو الحاكم الأعلى في المدينة على مكوناتها جميعا، حيث((طفق يقوم بمهام الرئاسة، فيؤم الناس في الصلاة، ويقودهم في الحرب، ويصلح بين المتنازعين منهم، ويقسم الفيء والأنفال... واتخذ كتابا يملي عليهم ما ينزل من الوحي ، ولم يتخذ للجند سجلات فما كانت الحاجة ماسة بعد إلى الدواوين وقد تمت حكومة الرسولβ معالمها...))[٢].

٣ـ مفهوم المسلمين للحكم:

يعدّ القرآن الكريم مصدر التشريع الأول في الإسلام، فالقرآن الكريم لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأشار اليها، أمّا بالنسبة إلى أنظمة الحكم فقد اشار إلى ذلك إشارات واضحة في بعض الآيات القرآنية الكريمة ليهيئ أفكار المسلمين وسلوكهم إلى مفهوم الحكم وليسيروا على نهجه، وجاء في خطابه على لسان نبي الله يعقوب لأولاده:﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٣] .ثم في موضع آخر من القرآن الكريم أشار إلى وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى في قوله تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ

---

[١] للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام، السيرة،ج٢/ص٨٥.

[٢] اليوزبكي، دراسات في النظم الإسلامية ،(النجف،د.ت)،ص٦٤.

[٣] سورة يوسف، آية: ٦٧ ؛ ينظر: الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣ ،(بيروت،٢٠٠١ م)، ج٢/ ص٢٠٩ .

بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [1].

ولم يجعل الله تعالى نوع الحكم مطلقا للبشر بل وضعه في مساحة محددة مؤكد فيها ـ في الأغلب ـ،على العدل غالبا فيأمر جلّ شأنه عباده بذلك قائلا:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [2].

ومما لاشك فيه أن ظهور الإسلام في مجتمع الجزيرة العربية أحدث انقلابا كبيرا في جوانبها الحضرية فطرح نظريته الجديدة التي((تلتقي القيم الاقتصادية والقيم الخلقية ويتم التوازن بين أشواق الروح ومظاهر الحياة...))[3].

فأسعف الدين الإسلامي شعبها المتكون من مجموعة القبائل العربية المتناثرة في مدنها وبواديها حيث كان لكل منها أعرافا ربما تتباين بينها، على الرغم من وجود المدن والدويلات التي كانت تابعة لإحدى الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية آنذاك،فكانت لها نظمها الحضارية لكن سيادة القبيلة واعرافها المستندة إلى القوة والتفاخر والعصبية والتناحر هو النظام السائد بشكل عام[4]، إذ دعا الإسلام إلى نبذ التفرقة والاتحاد والالتفاف حول الدين الجديد، وقد صور لنا القرآن لكريم تلك الحياة بقوله تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [5]. مع وجوب وجود الحاكم أو السلطة لرعاية المجتمع الإسلامي وحماية مصالحه، لذا فقد وضع الفقهاء والمفكرون العرب والمسلمون أسسا تنظيمية يتطلبها المنظور العقلي والعلمي للحكم في

---

[1] سورة المائدة، آية :٤٥ ؛ القرطبي ،عبدالله بن محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ) ، الجامع لاحكام القرأن ، صححه: هشام سمير البخاري ، (بيروت ،٢٠٠١ م) ،ج٦/ ص١١٣ ومابعدها .

[2] سورة النساء، آية :٥٨ ؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرأن ، ج٥ / ص١٧٩ .

[3] الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ط٤،(بيروت، ١٩٧٨م)،ص٥٨.

[4] ينظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد(ت٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي،أنوار التنزيل وأسرار التأويل،(بيروت، ٢٠٠٣م)،ص ١٧٢-١٧٣.

[5] سورة آل عمران، آية :١٠٣ ؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القرأن ، ج٤ / ص١٠٨ .

المجتمع الإسلامي التي نبعت من الشريعة الإسلامية وتدعو الى((ملك عادل لأن الأمة لا يمكن أن تنظم أمورها بدونه ولأن عدم وجوده يؤدي إلى التنافر والتخاصم والفوضى...))[١].

ولأجل بناء مؤسسة حكومية ترعى شؤون المسلمين أكد الفقهاء على وجوب الرجوع إلى الحدود الشرعية والقوانين المستندة إلى الشريعه الإسلامية وهي:((قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقاد إلى أحكامها...))[٢].

وقد قسم ابن خلدون تلك القوانين السياسية بقوله:((وإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية))[٣].

وانتقل الفقهاء والمفكرون العرب المسلمون إلى وضع الصفات والمهارات التي يجب أن يتمتع بها الحاكم المسلم ومتى ما توافرت تلك الصفات يكون مؤهلا لإدارة السلطة أو الحكم وتدبير شؤون الأمة، ويشير أحد الفقهاء إلى أنه:((لا يستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء :العقل، والعلم، والمنطق، ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة والعجلة، والحسد، والهوى، والكذب، وترك المشاورة، ثم ليلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء: الرفق في الأمور والصبر على الأشياء وطول الصمت، فمن تعرى عن هذه الأشياء ـ هو ذو سلطان ـ عمى عليه قلبه، وتشتت عليه أموره، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء قلبه مثلها، ودخل الخلل في أموره نحوها))[٤].

ولم يهمل الفقهاء والمفكرون ركيزة أساس في الحكم الإسلامي هي بمثابة الدستور والتي تتمثل في معرفته والإحاطة بالشريعة الإسلامية وضبط أحكامها، حيث قالوا:((اعلم ان العلم بأحكام الدين وضبط أصول الشريعة واجب على كلّ مسلم، وعلى الملوك أشد وجوبا))[٥].

وشدد فقيه آخر على علم الحاكم أو السلطان ووجوب تفقهه بالشريعة الإسلامية بقوله:((والحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الامارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في جزئيات وكليات الأحكام أضاع حقوقا كثيرة على أصحابها وحكم بما

---

[١] الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن(ت٥٨٩هـ)، المنهج والسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى ،(الاردن،١٩٨٧م)،ص١٣٠.

[٢] ابن خلدون ، المقدمة،ص١٩٠.

[٣] م.ن.

[٤] ابن حبان، أبو حاتم(ت٣٥٤هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون،(بيروت،د.ت)،ص٢٧٢.

[٥] الشيزري، المنهج والسلوك،ص ١٧٦.

يعلم الناس بطلانه...))[1].

٤ـ الخلافة والإمامة:

لقد تعددت بعض الآيات القرآنية التي تناولت كلمة الخلافة ومواقعها المختلفة باشتقاقات الكلمة، فعندما خلق الله تعالى آدم ε خاطب الملائكة بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2] ، وخاطب سبحانه النبي داود ε بقوله:﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ [3] ،وقال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [4].

هذه الآيات وغيرها التي وردت في القرآن لكريم خلفت مفاهيم تؤكد عظمة أثر الإنسان الرسالي في الأرض بعد أن أوكله الله سبحانه وتعالى:((بالخلافةعلى الارض فكان الإنسان متميزا عن كلّ عناصر الكون... وبهذه الخلافة استحق ان تسجد له الملائكة...))[5].

وبعد ما أفاض القرآن لكريم بفيض من الآيات والسور لمختلف جوانب الحياة ولاسيما جانب الحكم، ومن ثم تطبيقها في عهد رسول الله β أصبح لدى العرب والمسلمين أدبيات اسلامية ولاسيما مصدر تشريعها القرآن والسنة النبوية الشريفة التي على أساسها وضعوا القواعد العامة لنظام دولتهم وخاصة شكل الحكومة ونوعها بعد الرسول الكريم β .

ويذكر أنه((لما جاء الإسلام وصار الملك خلافة وذهب رسم الملك وذهبت تلك الخطط اللازمة بذهابه وبقيت المعاونة بالرأي والمفاوضة بالمصالح المستدفعة فلم يمكن زوال هذا إذ هو

---

[1] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، خرج أحاديثه: زكريا عميرات ،(بيروت،١٩٩٥م)،ص٤.

[2] سورة البقرة، آية :٣٠ ؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القرأن ، ج١ /ص ١٨٦.

[3] سورة ص، آية: ٢٦ ؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ / ص٩٠.

[4] سورة يونس، آية: ١٤ ؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٢ / ص٣١٨ .

[5] الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة ،(د.ب،٢٠٠٣م)،ص١٢٣.

أمر طبيعي لابد منه فكان β يشاور أصحابه ويفاوضهم في المهمات العامة والخاصة...))[١].

ويرى ابن خلدون أن الخلافة هي:((نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا تسمى خلافة وإمامة والقائم به يسمى خليفة وإماما، فأما تسميته فتشبيها بإمامة الصلاة في اتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال الإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي β في أمته فيقال خليفته بإطلاق وخليفة رسول الله...))[٢].

وأما أبو يعلى فيتساءل:((هل يجوز أن يقال: خليفة الله تعالى ،فقد قيل يجوز لقيامه بحقوقه في خلفه، ولقوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [٣]، وقيل:لا يجوز لأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت...))[٤].

وقال رجل لأبي بكر يا خليفة الله قال:((لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله...))[٥].،وأصبح اصطلاح كلمة خليفة يطلق على كل من تولى أمور المسلمين سواء بالانتخاب أو بالتعيين((والذي عليه العرف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرا إطلاق اسم الخليفة على كلّ من قام بأمر المسلمين القيام العام... إما ببيعة من أهل الحلّ والعقد، وإما بعهد ممن قبله... إلا أن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جاريا على منهاج العدل وطريق الحق...))[٦].

ومن هنا جاء القول بأن منصب الخلافة هي سلطة تشريعية وتنفيذية في وقت واحد، ويقول ابن خلدون:((وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٧]،ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام

---

[١] ينظر: الكتاني، عبد الحي، نظام الحكومة النبوية ،(بيروت، د.ت)،١٩/١.

[٢] المقدمة،ص١٩١ .

[٣] سورة الأنعام، آية :١٦٥.

[٤] أبو يعلى، محمد بن الحسن الفراء (ت٤٥٨) ،الأحكام السلطانية،صححه :محمد حامد الفقي،ط ٢ ، (د.ب،١٤٠٦ هـ)،ص ٢٧.

[٥] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر(ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق :عبد الحميد ترحيبني، وعماد علي حمزة ،(بيروت، ٢٠٠٤م)،ج١٩/ص١٦.

[٦] القلقشندي،أحمد بن عبد الله(ت٨٢١هـ)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت،١٩٦٤م)،ج١/ص١٣.

[٧] سورة الروم، آية: ٧ .

الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وقد تبين من ذلك معنى الخلافة...))[١].

والخلافة يعني بها الإمامة، وجاء في رسائل أخوان الصفا((واعلم أن الإمامة هي الخلافة والخلافة نوعان: خلافة النبوة،وخلافة الملك...))[٢].

ويظهر((أن من أهم مقومات الحكم في الإسلام هو وجود الخليفة أو الإمام بعد الرسول β وهو ما يمثل الخط الفاصل بين مرحلتين تاريخيتين... وعلى ما يبدو أن الشريعة الإسلامية أرادت الابتعاد بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان،المختلف اختلافا أساسيا عن المفهوم الإسلامي الجديد لذلك اختيرت ألفاظ(الإمام)،و(الخليفة)،و(أمير المؤمنين)...))[٣].

٥ـ البيئة والمؤهلات للإمام علي ε:

أمّا بالنسبة إلى البيئة التي نشأ فيها الإمام علي ε ، فإن البيئة هي التي تحتضن الإنسان وتؤثر في سلوكه تأثيرا كبيرا ،تفاعلا استجابة ورفضا مع الأحداث مستقبلا،ففي أول احتضان لشخصية الإمام علي ε كان في بيت الله سبحانه وتعالى ،إذ كانت ولادته في جوف الكعبة، وهي ولادة نادرة تواترت الأخبار في نقلها، وهو ما أجمع عليه أغلب المؤرخين[٤].

ومن المؤثرات البيئية الأخرى في حياة الإمام علي ε هي انتقاله من بيت والده إلى بيت الرسول β ،وذلك عندما تعرضت قريش إلى ضائقة اقتصادية شملت أبا طالب ايضا، فجاء النبي β أعمامه العباس والحمزة (رض) ليخففوا عن ثقل الأزمة عن كاهل أبي طالب، فتكفلوا أبناءه إلا عقيلا، فكان عليا ε من نصيب النبي β [٥]،فقال لهم((قد اخترت من اختاره الله عليكم وكان عمر

---

[١] المقدمة،ص ١٩٠-١٩١.

[٢] رسائل أخوان الصفاوحلان الوفاء،(بيروت ، ١٩٩٢ م)، ج٣/ص٤٩٤.

[٣] التميمي، هادي عبد النبي، مفهوم الإمامة في فكر ابن خلدون، مجلة السدير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، السنة الثانية، العدد(١٠)،ص ١٠٦، ١٠٧.

[٤] المسعودي، أبو الحسن بن علي(ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط٢،(بيروت،٢٠٠٧م)،ج٢/ص٣٦٨ ؛الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري(ت٤١٣هـ)، الإرشاد،ط٣ ،(بيروت،١٩٨٩)، ص١٠ ؛ الكنجي، محمد بن يوسف المقتول(ت٦٨٥هـ)، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب،تحقيق : محمد هادي الأميني،ط٣،(طهران،١٤٠٤هـ)،ص ٤٦٠؛ ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت٨٣٨هـ)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب،(النجف ،بغداد ،١٩٨٨م)، ٥٥؛ ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي(ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، تحقيق :سامي الغريري،(قم،١٤٢٢هـ)،ج١/ص١٧١.

[٥] ابن اسحق،سيرة ابن إسحق،ص١٣٧.

علي ست سنوات...))[١].

وأصبح الإمام علي ε في كنف النبوة، فكان β يوليه عناية فائقة ،توضحت في ملازمة النبي β إياه ويذكر((أن الرسول β كان إذا حضر الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب...))[٢]. ويؤكدε تاثير تلك الملازمة بقوله:((إني عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة))[٣]. ومما يدعم هذه الشخصية الإسلامية عدم سجوده للأصنام قط في حياته، على الرغم من نشأته في مجتمع جاهلي يعبد الأوثان والأصنام[٤]،لذا((كان أول القوم إسلاما في قول كثير من العلماء...))[٥].

وفي هذه الأجواء البيئية وحينما نزلت الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٦]، ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾[٦]، فجمع النبي β أهل بيته وعرض عليهم المؤازرة والنصرة ،ومن يؤازره وينصره يضمن له[٧] ،((الأخوة والوراثة والوزارة والوصايا والخلافة بعده، فأمسكوا كلهم إلا عليا فقد أجابه وحده فأخذ برقبته،وقال:إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فأسمعوا له وأطيعوا...))[٨].

وتستمر الرعاية النبوية للإمام علي ε لتثمر موقفا عقائديا يؤشر إيمان الربيب بنبوة مربيه

---

[١] القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة(ت٤٥٤هـ)، دستور معالم الحكم، شرح غريبه: إبراهيم الدملوجي، صححه وعلق عليه: حسن السماحي سويدان،(دمشق،٢٠٠٣م)،ص٢٤.

[٢] القضاعي، دستور معالم الحكم،ص٢٤.

[٣] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،(بيروت،١٩٩٢م)،ج ٣/ص١٢١.

[٤] ينظر: اليعقوبي، تاريخ ،ج ٢/ص٤٠؛ ابن جبر، علي بن يوسف(من أعلام ق٧هـ)، نهج الإيمان، تحقيق: أحمد الحسين ،(قم،١٤١٨هـ)،ص٦٠٧.

[٥] ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد(ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحها :عادل أحمد الرفاعي،(بيروت،١٩٩٦م)،ج٤/ص١٠٠

[٦] سورة الشعراء ، اية:٢١٤ ؛الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام ق٦هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: نخبة من العلماء والمحققين الأخصائيين، (بيروت،١٩٩٥م)،ج٧/ص٣٥٥ وما بعدها.

[٧] ينظر :ابن هشام،السيرة النبوية،ج١/ص٢٠٥.

[٨] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج٧/ص ٣٥٥ .

β وذلك عندما خططت قريش لقتل النبي β فأمر علي بن أبي طالب بالمبيت على فراش النبيβ، فسمع الإمام ε وأطاع تضحية منه لسلامة النبي β ، ويقول الإمام علي بن الحسين ε في هذه المهمة:((إن أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب ε))[١]. وقد ثمن القرآن الكريم موقف الإمام علي ε هذا بقوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٢]...))[٣].

ويستمر الرسول β في إشراك الإمام علي ε في المهمات الجسام التي من شأنها ترسيخ دعائم الدين الإسلامي، فحينما تحدى نصارى نجران الرسول β ودعوته لهم بالمباهلة فذهب إليهم وهو يحمل الحسين ويقود الحسن وعلي خلفه فاطمةε، فهال المنظر أسقف نجران،وقرر الانسحاب عن مباهلة النبي β وأهل بيته فنزل قوله تعالى:﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٤].

وهنا الإشارة واضحة بأن الرسول β قد أعطى الإمام علي ε مقاما كبيرا حينما جعله مقام نفسه[٥].فضلا عن أن الإمام علي ε كان قد((آخاه رسول الله مرتين...))[٦].

---

[١] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين،ج٣/ص٥.

[٢] سورة البقرة، آية: ٢٠٧ ؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،ج ٢/ص٥٦.

[٣] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،ج ٢/ص٥٦.

[٤] سورة آل عمران، آية :٦١ ؛الطوسي ، أبو جعفر بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ،(قم المشرفة،١٤٢٤هـ)،ج٢/ص٤٨٤

[٥] ينظر:الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،ج٢/ص٤٨٤ ؛ الزمخشري، الكشاف ،ج١/ص٣٩٥؛ الفخر الرازي الرازي (ت٦٠٤هـ)،التفسير الكبير، اعداد وتحقيق: مكتب دار إحياء التراث العربي،ط٤ ،(بيروت،٢٠٠١م)،ج ٨/ص٢٤٧؛ السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، صححها وخرج أحاديثها: نجيب نجدت، تقديم: عبد الرزاق المهدي،(بيروت،٢٠٠١م)،٢٣١/٣؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،(بيروت،١٩٩٧م)،ج٣/ص٢٢٩

[٦] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج٤/ص١٠٠.

ويصف لنا الإمام علي ε تأثير تلك الرعاية والمعايشة والصحبة التي خصها بها الإمام علي ε من الرسول β بقوله:((وقد تعلمون موضعي من رسول الله β بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليد،يضمني إلى صدره، ويكتفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرقه، ما وجد لي كذابة فيقول ولا خطلة في فعل وكنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به...))[١].

وهنا لابد من الإشارة إلى حقيقة هي أنه كان المألوف لدى سكان الجزيرة العربية إرسال أولادهم عند ولادتهم إلى البادية حرصا على تنشئتهم تنشئة سليمة[٢]،فقد أرسل رسول الله β إلى البادية على ما هو سائد ومألوف[٣].وقد اختلفت تربية الإمام علي ε وتنشئته ((عما كان سائد من وسائل التنشئة في المجتمع المكي... فمنذ السنوات الأولى لطفولته، احتضنته تلك الأيادي الكريمة أيادي الصادق الأمين β ليغترف من ماء بحرها شربات الأخلاق والصفات الحميدة، وإذا كانت الرعاية الإلهية قد رعت رسول الله β ليكون خاتما للأنبياء فإن هذه الرعاية قد رعت الإمام علي ε ليتربى بحجر رسول الله β تربية روحية وجسدية))[٤]

أمّا المؤهلات الذاتية في شخصية الإمام علي ε ،فقد تفوق على أصحابه وأقرانه، ومن تلك المؤهلات الشخصية شجاعته النادرة فعلى الرغم من((أن أصحاب رسول الله β رحمة الله عليهم أجمعين من الشجعان... وكلهم كان مقداما في الحرب حريص على الشهادة، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رض) التقدمة في الإقدام والصيت الشائع في الشجاعة))[٥].

---

[١] الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن(ت٤٣٦هـ)، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ط٢،(قم،١٤٢٩هـ)،ص٣٧٨؛ابن أبي الحديد، عزالدين أبوحامد بن عبدالحميد بن هبةالله المدائني(ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة، تحقيق :محمدأبو الفضل إبراهيم ،(بغداد،٢٠٠٥م)،ج ١٣/ص١٤٨،

[٢] ينظر:ابن هشام، السيرة النبوية،ج١/ص١٣٧ وما بعدها.

[٣] ينظر: م.ن،ج ١/ص١٣٧ ومابعدها.

[٤] المياحي،شكري ناصرعبد الحسين،الإمام علي بن أبي طالبε ،دراسةفي فكره العسكري، أطروحةدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كليةالآداب، جامعةالبصرة،٢٠٠٥م،ص ٣.

[٥] ابن منقذ، الأمير أسامة(ت٥٨٣هـ)، لباب الأدب ،(بيروت،١٩٩٨م)،ص٣٩٥.

وعلى الأعم الأغلب كان الإمام علي ε يمثل القوة الضاربة لجيوش المسلمين في ساحات الجهاد،فبعد أن((هاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأحدا الخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهدمع رسول الله β إلا تبوك فإن رسول الله β خلفه مع أهله،وله في الجميع بلاء عظيم، وأثر حسن))[١]،وكان((سعد بن عبادة(ت ١٥هـ) صاحب رايةرسول الله β في المواطن كلها فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب))[٢].

ومن مواقفه الكبيرة في الشجاعة ما ظهر في معركة بدر الكبرى، إذ((كان عدد القتلى فيه نيفا وأربعين كان له عشرون خاصا، وشاركهم في البقية))[٣].في حين يذكر ابن هشام:((أن قتلى بدر من المشركين كان سبعين رجلا...))[٤].

وفي معركة أحد((انهزم المسلمون حتى بقي رسول الله β وما معه إلا ثلاثة نفر: علي والزبير وطلحة...))[٥]، وكان لاستبسال الإمام علي ε ودفاعه عن الرسول β والدين الإسلامي في هذا اليوم استبسالا بطوليا مما حدا بالسماء أن تعطي الإمام علي ε مؤهلا نادرا وذلك بالنداء الذي سمعه المسلمون في ذلك اليوم هاتفا((لا سيف إلاذوالفقار،ولافتى إلا علي))[٦].

ولم تكن الخندق(٦هـ) معركة كأي معركة،فقد وصف القرآن الكريم أحوال المسلمين في قوله تعالى:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٧]،لكن الإمام علي ε برز إلى فارس المشركين عمرو بن عبد ود العامري، بعد أن تحدى المسلمين و((دعا إلى البراز فأحجم الناس عنه في كل ذلك يقوم إليه علي (رض) فيكفيه

---

[١] ابن الأثير، أسد الغابة،ج٤/ص١٠٠.

[٢] ابن الاثير ، اسد الغابة ،ج٤/ص١٠٦.

[٣]؛الاسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي(ت٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبε،تحقيق :محمد باقر المحمودي،(د.ب،١٩٨١م)،٩٠-٩١؛الواقدي، محمد بن عمر بن واقد(ت٢٢٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسن جونس، ط٣ ،(بيروت،١٩٨٩م) ج١/ص١٤٧ .

[٤] السيرة النبوية،٢٧٣/٢.

[٥] اليعقوبي، تاريخ، ٣٠/٢.

[٦] ينظر: الواقدي، المغازي،١/٥٤٠.

[٧] سورة الأحزاب، آية: ١٠؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ / ص ٥٣٤ .

النبي β ... إذ لم يقدم عليه غيره... إذن له بعد أن أحجم الناس))[١].

وحسم الإمام علي ε المعركة بقتله عمرو بن عبد ود وبذلك((أزال الظنون وثبت اليقين بعلي بن أبي طالب...))[٢]. ويقول حذيفة بن اليمان(ت٣٦ هـ) ((لقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله والمؤمنين بعلي بن أبي طالب في موقفين لو جمع جميع أعمال الخلائق لما عدل بها، يوم بدر ويوم الخندق...))[٣].

وفي معركة خيبر(٧هـ)، يرتقي الإمام علي ε بشجاعته ونجدته وبأسه بعد أن عجز المسلمون عن اقتحام حصن اليهود المنيع فقال النبي β :((لأعطي الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله))[٤]،وهكذا توجه الإمام علي ε بالراية وقتل فارس اليهود مرحب وهجم على قلاع اليهود وحصونهم، ويذكر أنه((حمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وأنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا، وفي رواية أنه تناول بابا من الحصن ـ حصن خيبر ـ فتترس فيه عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد أن يلقوه ما استطاعوا))[٥].

أمّا في معركة حنين(٨هـ)، عندما واجه المسلمون جمع هوازن وانهزم فلول المسلمين والنبي β يحرض((أيها الناس؟ هلموا اليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، قال فلا شيء حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس...))[٦]، وكان هذا الموقف تمحيص وامتحان عسير

---

[١] الاسكافي، المعيار والموازنة،٩٠-٩١.

[٢] م.ن.

[٣] الاسكافي ، المعيار والموازنة،ص ٩٠_٩١

[٤] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن برد (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، شرح وتعليق: قاسم الشماعي،(بيروت،١٩٨٧م)،ج٢/ص٩٠٧.

[٥] العسقلاني،أحمد بن حجر،(ت٨٥٢هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، قدم له :عبد الوهاب عبد اللطيف ،(القاهرة،د.ت)،ص ١٢٠.

[٦] ابن هشام، السيرة النبوية،ج٤/ص٧٨.

(*) ((اسامة بن زيد بن شرحبيل الكلبي(ت٥٤ هـ)...مولى رسول الله β امه ام ايمن اسمها بركه...تحت موالاة رسول الله،كنيته ابو محمد...مدح بعد الذم وكفنه الحسن(ع)...))،ينظر:ابن داودالحلي،تقي الدين علي(ت٧٠٧ هـ)،كتاب الرجال،حققه:محمدصادق بحرالعلوم،(النجف الاشرف،١٩٧٢م)،ص٤٧.

عسير للمسلمين ولم يثبت مع رسول الله β الا علي بن ابي طالب ε وعمه العباس وابوسفيان وربيعه ابناء الحارث بن عبدالمطلب واسامة بن زيد* [١].

ومن مؤهلات الإمام علي ε الذاتية الأخرى قدراته الفكرية والعلمية التي أسهمت في نشر الوعي بين المسلمين وتأسيس أمة عقائدية تستند إلى العلوم للبحث عن الحقيقة في كل مجالات الحياة، فكان له إسهاما كبيرا في هذا الميدان منها ما شمل تطوير نظام الكتابة بشكله العام، أو في أي وظيفة تمارس داخل مؤسسات الخلافة[٢].

أمّا علم النحو فقد عُدّ الإمام علي ε المؤسس لهذا العلم المهم الذي يرتبط بحياة المسلمين العلمية والعملية[٣].

وكان الإمام علي ε من الأوائل في التأليف والتدوين والحرص على حفظ علوم الأمة وتراثها عن طريق التدوين[٤].

ونظرا لما يمثله القرآن الكريم كونه منبعا لشريعة المسلمين ودستورا عاما ينظم حياتهم فقد فطن الإمام علي ε في وقت مبكر ـ أي بعد وفاة رسول الله β مباشرة ـ هم ε بجمع القرآن، وذلك لما((رأى من الناس طيرة... فأقسم أن لا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته حتى جمع القرآن...))[٥].

وفاضت مؤهلات الإمام علي ε وقدراته في مجالات العلوم القرآنية ومنها، علم القراءات فإذا((رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه...فقد صار هذا الفن من

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، المعارف، حققه : ثروت عكاشة،(د.ب، ١٤٢٧هـ)،ص١٦٤.

[٢] ينظر: الجشهياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ)، الوزراء والكتاب، حققه : مصطفى السقا وآخرون ،(القاهرة،١٩٣٨م)،ص١٢.

[٣] ينظر: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد(ت٤٤٤هـ)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: محمد حسين إسماعيل ،(بيروت،د.ت)،ج٢/ص٢٧٣.

[٤] ينظر: ابن حنبل، الإمام أحمد(ت٢٤١هـ)، المسند، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي (بيروت،١٩٩٣م)،ج ١/ص٩٩.

[٥] ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، أصول الكافي، ط٥،(طهران،١٤٢٥هـ)،ج٢/ص٢٨٨.

الفنون التي تنتهي إليه...))[١].

أمّا في علم التنزيل فقد استقر هذا العلم في فكر الإمام علي ε وبين جوانحه ويعلن مرة بعد أخرى على ملأ من المسلمين ليس للتباهي أو التفاخر وإنما لصب هذا العلم باتجاه منفعته المسلمين فيقول ε ((إن ما بين لوحي المصحف من آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أو جبل، وأن بين جوانحي لعلما جما...))[٢].

والحديث النبوي الشريف الذي يعدّ المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، فقد تصدر الإمام علي ε بهذا العلم ووضع قواده عن طريق تصنيف الحديث ورواته[٣].

هذا غيض من فيض من المؤهلات التي امتلكها الإمام علي ε لأن((الأشياء التي استحق بها أصحاب الرسول β الفضل هي السبق إلى الإيمان والهجرة والنصرة لرسول الله β والقربى والقناعة وبذل النفس له، والحكم والفقه والعلم، وكان ذلك لعلي ε منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر...))[٤].

ويقول الخليفة عمر بن الخطاب (رض):((لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكونن لي خصلة منها أحب اليّ من أن أعطى حمر النعم، فقيل:وما هي يا أمير المؤمنين،قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله β وسكناه مسجد رسول الله β يحلّ له ما يحلّ له، والراية يوم خيبر))[٥].

وبعد هذا فإن اللافت للنظر هو:((قلما نجد بين صفحات التاريخ شخصيات قد اجتمعت فيها كلّ المؤهلات الشخصية الجسدية والعقلية، وإذا وجدت فإنها تكون بشكل جزئي لا كلي، وهذا إذا ما استثنينا شخصية الرسول الأعظم β نجد هذه المؤهلات قد اجتمعت في شخصية الإمام علي ε

---

[١] بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج ١/ص٥١.

[٢] الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد(من أعلام ق ٥هـ)، شواهد التنزيل بقواعد التفصيل، حققه: محمد باقر المحمودي ،(بيروت،١٩٧٤م)،ج١/ص٢٣-٢٤.

[٣] ينظر: الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص٤٠٩.

[٤] المسعودي، مروج الذهب،ج٢/ص٤٤٧.

[٥] الجويني، إبراهيم بن محمد بن المؤيد(ت٧٣٠هـ)، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم(عليهم السلام)، حققه : محمد باقر المحمودي،(بيروت،١٩٧٨م)،ج٢/ص٣٤٥.

بل إن جميع ما وجد عند رسول الله β وجد عنده ε والفارق بينهما هو النبوة، وأما في عداهما فإنهما(صلوات الله عليهما وآلهما وسلم)قد اشتركا في كلّ شيء))[1].

[1] **المياحي، الإمام علي بن أبي طالبε، دراسة في فكره العسكري،ص٦.**

الفصل الأول

الأساس الفكري والسياسي عند الإمام علي ε

المبحث الأول: الأساس الفكري.

المبحث الثاني: الفكر السياسي عند الإمام علي ε .

المبحث الأول

الأساس الفكري

أولا: نظام الكتابة في فكر الإمام علي ع :

١ـ فكر الإمام علي ع وأثره في نظام الكتابة:

الكتابة وسيلة تعبير واتصال في غاية الأهمية على مستوى الحياة والبشرية لإسهامها في تنمية وتطوير القدرات الفكرية بشكل عام، وقد نبه القرآن لكريم إلى علو شأنها ومكانتها فذكرها في أكثر من موضع بصيغ الكتابة واشتقاقاتها المختلفة ومنها قوله تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾[١]. وفي موضع آخر يقول سبحانه و تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾[٢].

وتناولها القرآن لكريم بصيغة القلم بقوله تعالى:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٣]، و قيل:((القلم شجرة ثمرتها المعاني والفكر بحر لؤلؤه الحكمة، وكان يقول لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتاب...))[٤].

ومن المعلوم ((أن الكتاب ساسة الملوك، وعماد المملكة والسنة وجهابذة الألفاظ وبأقلامهم تدبر الأقاليم))[٥].

وكان للإمام علي ع إسهام كبير في جانب الكتابة لما تحمله من معاني معرفية وروحية تقوي مسيرة المسلمين الجهادية، ويذكر أن الإمام ع أحد الكتاب البارزين الذين اختصهم الرسول

---

[١] سورة الأعراف، آية :١٤٥؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٢/ ص١٤٩ .

[٢] سورة الانفطار، آية :١٠، ١١؛ الزمخشري ، الكشاف ،ج٤/ص٧١٧.

[٣] سورة القلم، آية: ١؛ الزمخشري ، الكشاف ،ج٤/ص٥٨٩.

[٤] الثعالبي، أبو منصور،(ت٤٢٩هـ)، الإعجاز والإيجاز، ط٢،(بيروت، ١٩٨٣م)، ص١١١.

[٥] الثعالبي،آداب الملوك،ص١٤٩.

β ، فكان من الذين((يكتبون الوحي والكتب والعهود...))[١].

ومن الكتب والعهود التي كتبها شروط صلح الحديبية[٢]. وأما الكتب الأخرى المهمة التي كتبها أيضا ε كتابي الرسول β إلى قبيلة همدان باليمن والى نصارى أهل نجران[٣].

وللغاية نفسها والأهداف المتوخاة من الكتابة اهتم الخلفاء بها فكان لكل واحد منهم كاتب أو أكثر، واختص بالإمام علي ε في مدة حكمه كاتبان هما: سعيد بن نمران الهمداني(ت٧٠هـ) وعبد الله بن أبي رافع(ت٨٨هـ) [٤].

هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن((أدب الكتابة عند علي ε تقرأ في أحاديثه اهتماما كبيرا ورعاية لأمر الكتابة، في أروع صور لوعي حضاري بأمر الكتابة آنذاك...))[٥].

وأكد الإمام ε على فنون الكتابة مثل فن الخط والعناية به لما له أهمية في تسهيل تلقي الفكر والرسالة التي يراد إيصالها، وقال ε :((الخط علامة فكل ما كان أبين كان أحسن))[٦]، وفي تأكيد آخر قال ε :((الخط الحسن يزيد الحق وضوحا))[٧].

وفي الاتجاه نفسه وبتفصيل أكثر ركز الإمام علي ε اهتمامه من اجل أن يبلغ الكاتب والكتابة أقصى غايته في تحقيق الهدف المبتغى في أي نص مكتوب ، فقد ركز الإمام علي ε

---

[١] القضاعي،عبد الملك بن ابي بكر المعروف بابن الابار(ت٦٥٨ هـ)،أعتاب الكتاب،حققه:صالح الاشتر،ط٢ ، (بيروت،١٩٨٦م)،ص ١٥٧.

[٢] اليعقوبي، تاريخ،٥٣/٢؛ القلقشندي، أحمد بن عبد الله(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الانشا،شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين ،(بيروت ،د.ت)ج١/ص١٢٦.

[٣] اليعقوبي، تاريخ،ج ٣/ص٢٧١.

[٤]ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد (ت٦٩٧هـ)، مختصر التاريخ، حققه: مصطفى جواد،(بغداد، ١٩٧٠م)،ص ٧٧.

[٥] عبد الحميد ، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي مسار الإسلام بعد الرسول β ونشأة المذاهب(د.ب، ١٩٩٧م)، ص٤٩٩.

[٦] المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين(ت٧٩٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط٢ ،(بيروت، ٢٠٠٤م)،ج ١٠/ص١٣٩.

[٧] القلقشندي، صبح ألأعشى،ج ٢/ص٣٢٢.

على الخط واللغة في وقت واحد، فالخط ليس كافيا ما لم تكن هناك إحاطة في اللغة العربية وقواعدها، ومن توجيهاته بهذا الشأن لكاتبه قوله ε :((أطل جلفة قلمك وأيمن قطتك واسمعني طنين النون وحور الحاء واسمن الصاد وشرح العين وأشقق الكاف وعظم الفاء ورتل اللام وأملس الباء والتاء والثاء وأقم الزاي وعلِّ ونبها...))[١].

وفي توجيه آخر لكاتبه ε :((إذا كتبت فالق دواتك، وأطل قلمك وفرج بين السطور،وقارب بين الحروف))[٢].

ولم يهمل الإمام علي ε جانب آخر مهم من أهداف وجوهر الكتابة وذلك بالتركيز على المعنى وعدم الإكثار والضياع في الكلام الكثير الذي لا طائل منه سوى الابتعاد عن القصد والغاية المراد صياغتها من خلال إتباع الأسلوب البلاغي باختيار الكلمات وتحديد المعنى الدقيق لفهمها مباشرة إذ أوصى ε أن ((أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا من فضولكم ن واقصدوا قصد المعاني ، وإياكم والإكثار فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإطراء))[٣].

٢ ـ شروط الكتاب ومواصفاتهم:

للكاتب في صدر الإسلام ودولته مكانة مرموقة لتحمله مسؤولية كبيرة وحساسة اذ((أن الكاتب الذي يشير أمير المؤمنين اليه ε هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح العرفي وزيرا ،لأنه صاحب تدبير حضرة الأمير، والنائب عنه في أموره، واليه تصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الأجوبة، واليه العرض على الأمير، وهو المستدرك على العمال، والمهيمن عليهم، وهو على الحقيقة كاتب الكتاب وبهذا يسمونه الكاتب المطلق))[٤].

وتقديرا من الإمام علي ε لمسؤولية الكاتب وضع الإمام علي ε شروط معينة لاختيار من يتسنم هذه المسؤولية وتجلت هذه الشروط في عهده إلى مالك الأشتر فيما يخص الكتاب بقوله:((ثم انظر في حال كتابك، فولِّ على أمورك خيرهم وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك

---

[١] المتقي الهندي، كنز العمال،ج ١٠/ص١٣٩.

[٢] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهامس، تحقيق: محمد مرسي الخولي ،(بيروت، د.ت)، ج١/ص٣٥٦.

[٣] كاشف الغطاء، هادي، مستدرك نهج البلاغة،(بيروت، ١٩٩٦م)، ص١٠٥.

[٤]ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة ،ج١٧/ص٦٢.

وأسرارك، بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة، فيجترئ بها عليك في خلاف ذلك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك واصدر جواباتها عنك، وفيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقدا اعتقده لك، ولا يعجزه عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة وحسن حديثهم وليس وراء ذلك من النصحة والأمانة ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فأعمد لأحسنهم في العامة أثرا، واعرفهم بالأمانة وجها، فإن ذلك دليل على نصيحتك ، ولمن وليت أمره))[1].

ومن جانب اخر فالإمام علي ε:((ليس... أول من كتب الرسائل وألقى العظات وأطال الخطب على المنابر ولكنه ولا ريب أول من عالج هذه الفنون معالجة أدبية وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب لأن الذين سبقوه كانوا يضعون كلامهم ممارسين لا صياغة منشئين، ويقصدون إلى ما أرادوه، ولا يقصدون إلى فن وصناعة التعبير، ولكن الإمام عليا ε تعلم الكتابة صغيرا، ودرس الكلام البليغ من روايات الألسن وتدوين الأوراق، وانتظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البداهة الأولى إلى طور التفنن والتجويد...))[2].

ثانيا:علم النحو:

١ـ فكر الإمام علي ε وأثره في علم النحو:

مما لاشك فيه أن الإمام علي ε قد ((برع ... في العربية وعلومها كما برع في الإسلام وعلومه، وقد ساعده في ذلك منطقه السليم وتبحره في علوم العربية، وقوته الذهنية الخارقة، وقد بادر إلى ضبط العربية بأصولها وقواعدها...))[3]. ويذكر أن الإمام ε ((أول من وضع

---

[1] ينظر: ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة ،ج١٧/ص٥٩-٥٨.

[2] العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي ε ، (بيروت، د.ت)،ص ١٩٧.

[3] البغدادي، أحمد علاوي مجيد، نشأة التيار العلوي في الكوفة الى نهاية العصر الاموي(١٣٢هـ/٧٤٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ، ٢٠٠٧م، ص٥٤.

النحو...لأن الروايات كلها تسند إلى أبي ألأسود الدؤلي[*] ، وأبو الأسود يسند ذلك إلى عليε))[١].

فأما القول ((أن أول من وضع علم النحو عبد الرحمن بن هرمز بن الأعرج بن نصر بن عاصم فليس صحيحا،لأن عبد الرحمن أخذ عن أبي الأسود، ويقال عن ميمون الأقرن... عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له من أين لك هذا النحو؟ قال لفقت حدوده من علي بن أبي طالبε))[٢].

هذا ((وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود جوامعه وأصوله من جملتها: الكلام ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوب الإعراب إلى الرفع والنصب والجزم))[٣].

ويذكر((أن أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الأسود من تلقين أمير المؤمنين علي ε ... فأريد بالنقط في ذلك الاعجام، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الاعجام ، والظاهر ما تقدم إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف))[٤].

٢ ـ أسباب وضع علم النحو:

وقد تنبه الإمام علي ε إلى وجوب التفكير بوضع قواعد اللغة العربية خوفا عليها من الضياع بعدما اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية واختلاط الأعاجم بالعرب ويذكر أن أبي الأسود الدؤلي قال:((دخلت على علي بن أبي طالب(رض)فرأيته مطرقا متنكرا فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد ثلاثة أيام فألقى اليّ صحيفة فيها: بسم الله

---

[*] أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن جلس بن نفاثة بن عدي ين الدئل... ولد أبو الأسود في الجاهلية ومات في الطاعون سنة تسع وستين.. وهو أحد سادات التابعين وفقهائهم ومحدثيهم = =قاتل مع علي يوم الجمل وشهد معه صفين وكان من وجوه الشيعة...).ينظر: ياقوت، الحموي(ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء،إرشادالأريب إلى معرفة الأديب،تحقيق:إحسان عباس،(بيروت،١٩٩٣م)،ج٤/ص١٤٦٤، ١٤٦٥.

[١] القضاعي، دستور معالم الحكم ،٧٦؛اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان(ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه :خليل المنصور ،(بيروت،١٩٩٧م)،١ج/ص١١٦.

[٢] الانباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن(ت٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات ألأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٢ ،(بغداد، ١٩٧٠م)،ص٢١.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣/ص١٤٩.

[٤] القلقشندي، صبح ألأعشى، ١٤٩/٣؛ ينظر: الداني،المحكم في نقط المصاحف،ج٢/ص٢٧٣.

الرحمن الرحيم أن الكلام كله أسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل،

ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وليس بظاهر ولا مضمر، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس ظاهر ولا مضمر، قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب...))[١].

ويقصد الإمام علي ε باللحن اختلاط ألسنة العرب بألسنة الاعاجم ويذكر أبو الأسود أن الإمام علي ε قال له:((إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء (يعني الأعاجم)،فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى اليّ رقعة...وقال لي: انحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك... وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه، إلى أن حصلت ما فيه الكفاية. قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سمي النحو))[٢].

ويرجع بعضهم أسباب وضع علم النحو إلى أكثر من سبب أو باعث منها الأسباب ((الدينية للحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، خاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة))[٣].

وقد((جاء إعرابي إلى علي بن أبي طالبε فقال: يا أمير المؤمنين كيف تقرأ الحرف لا يأكله إلا الخطاطون كلّ والله يخطوا فتبسم عليّ وقال: لا يأكله الخطائون، قال: صدقت يا أمير المؤمنين ما كان الله ليسلم عبده، ثم التفت عليّ إلى أبي الأسود فقال إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم فرسم له الرفع والنصب والخفض))[٤].

ومن البواعث والأسباب الأخرى:القومية والاجتماعية ((رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموا عدّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظاما يهيئ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها))[٥].

---

[١] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ)ن أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، ١٣٨٢هـ)،٢٣٨؛ الكتاني ، نظام الحكومة النبوية،ج٢/ص٢٧٣.

[٢] الانباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص١٨.

[٣] ضيف، شوقي، المدارس النحوية، ط٧،(القاهرة، ١٩٩٢م)، ص١١.

[٤] المتقي الهندي، كنز العمال، ج١/ص١٢٥.

[٥] لمزيد من التفاصيل ينظر: ضيف، شوقي، المدارس النحوية، ص١١.

ثالثا: فكر الإمام علي ε وأثره في التدوين وجمع القرآن الكريم:

يتجلى اهتمام علي بن أبي طالب ε ـ من خلال هذا البحث ـ بالعلوم ولاسيما علوم القرآن لكريم ، فقد أودع الله تعالى علمه في قلب رسول الله β ومن له أذن واعية وإيمان راسخ، فكان الإمام علي ε ،وكما ورد عن ابي سعيد الخدري (ت٦٤هـ) قال:((سألت رسول الله β عن قوله تعالى:﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[١] قال: ذا أخي علي بن أبي طالب.

وعن ابن عباس(ت٦٥هـ) قال في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾قال: علي بن أبي طالب))[٢]

وكان الإمام علي ε يحث على فهم القرآن لكريم وعلومه من خلال أوصافه له ومن ذلك قوله ε :((إن القرآن لا يعلم علمه إلا من طعمه، وعلم بالعلم جهله، وأبصر علمه واستمع صمه، ،أدرك به مأواه، وحيّ به إذا مات، فأدرك به الرضى من الله، فاطلبوا ذلك عند أهله،فإنهم في بيت الحياة، ومستقر القرآن، ونزل الملائكة، وأهل العلم الذين يخبرونكم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم، هم الذين لا يخالفون الحق، ولا تختلفون فيه قد مضى من الله فيهم حكم صادق، وفي ذلك ذكرى للذاكرين))[٣].

وعن طريق هذا النص يتبين أن الإمام عليا ε ينبه المسلمين إلى عذوبة وسعة علوم القرآن ويشجعهم على معرفته، والعمل به فإنه يحسب للمرء بعد موته من خلال أعماله المقرونة بالحدود الشرعية في القرآن، ثم ينتقل إلى ذكر أهل البيت(عليهم السلام) الذين يعون القرآن علم وعاية ويحثهم على طلب العلم منهم.

وفي نعت آخر ينم عن فهمه العميق للقرآن وتأثيره النفسي أو العلمي وعلاقة الإنسان بربه

---

[١] سورة الرعد، آية :٤٣.

[٢] الحسكاني،عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (من أعلام ق ٥هـ)، شواهد التنزيل بقواعد التفصيل ،ج١/ص٣٠٧؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة، عني بتصحيحه وتحقيقه : محمد الرازي،(بيروت،د.ت)ج١٨/ص١٣٤.

[٣] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٤.

من خلال القرآن وتأكيده على الجيل الأول من الصحابة المتذكرين المتعظين بأحكامه المنزلة بقوله:((فإن الله سبحاه لم يعطِ أحد بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب، وينابع العلم، ويا للقلب جلاء غيره، مع أنه قد ذهب المتذكرون، وبقي الناسون أو المتناسون...))[١].

ويعلق ابن أبي الحديد على هذه النص بقوله:((أنما جعله حبل الله لأن الحبل ينجو من تعلق به هوّة، والقرآن ينجو من الضلال من يتعلق به، وجعله متينا، أي قويا لأنه لا انقطاع له أبدا، وهذه غاية المتانة والقوة.. وفيه ربيع القلب لأن القلب يحيا به كما تحيا الأنعام برعي الربيع، وينابيع العلم لأن العلم منه يتفرع كما يخرج الماء من الينبوع ويتفرع إلى الجداول، ثم قال: إن المتذكرون قد ذهبوا وماتوا وبقي الناسون الذين لا علوم لهم أو المتناسون الذين عندهم العلوم ويتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيوية تعرض لهم...))[٢].

وفي وصف دقيق موجز يصف الإمام علي ε ـ ببلاغته العالية القرآن لكريم ـ حيث يقول:((ظاهره انيق، وباطنه عميق ، ظاهره حكم، وباطنه علم))[٣].

إن هذه الأساليب البلاغية الجميلة التي اتبعها أمير المؤمنين ε إنما تنم عن بلاغته وعلمه ومن ثم يريد أن يغري السامع بحقيقة القرآن ليتقربوا منه ليزدادوا إيمانا وتمسكا بالدين الحنيف وينهلوا من العلوم المودعة فيه.

ـ تدوين القرآن الكريم وجمعه :

يعدّ التدوين من القواعد والأسس الفكرية التي أسهمت في النهوض بواقع الأمة الإسلامية الحديثة آنذاك،((ففي عهد النبي β كان التشريع منتظرا من السماء، وكان النبي β يؤدي ما أنزل ايه... ثم توسع الإسلام، وكثر التشريع، واتسعت بقاع المسلمين وتباعدت، ثم دخلت فئات إلى الإسلام من قريش لم يكونوا مهيئين لتقبل الإسلام من وجهة نفسية... انبثق شعور بالحاجة لتدوين ما يصدر عن الرسول β من أقوال وأفعال، وإقرارات، لئلا يدخلها النسيان من قبلهم، بعد تكثرها بطول المدة...))[٤].

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠ج/ص٢٧.

[٢] م.ن.

[٣] التوحيدي، ابن حبان(ت٤١٤هـ)البصائر والذخائر ، كتب مقدمته وحرر نصوصه: عبد الرزاق محيي الدين(د.ب، د.ت)، ج١/ص٨.

[٤] الحكيم، محمد تقي، تاريخ التشريع الإسلامي،(لندن، ١٩٩٨م)،ص٣٧.

ومن المعلوم أن النبي β قد أجاز التدوين والكتابة فقال β :((أكتبوا لأبي شاة))[١]، وعلى هذا الأساس كان الإمام علي ε يدرك أبعاد ألأهمية العقائدية والفكرية للتدوين على حياة المسلمين فبادر إلى التدوين، وأول تلك المدونات كانت الصحيفة،ويستدل عليها من النصوص الواردة، ويذكر أن سأل الإمام علي ε ((هل عندكم من رسول الله β شيء بعد القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله عزّ وجلّ رجلا في القرآن، أمّا في الصحيفة قلت: وما في الصحيفة، فقال: العقل وفكاك الأسير ولا يعقل مسلم كافر))[٢]، وقيل عنه ε :((ما عندنا كتاب نقرؤه غير هذه الصحيفة... فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل... وفيها المدينة حرام وما بين عيره إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرّف ولا عدل...))[٣].

ويذكر أن الإمام علي ε كان يحمل هذه الصحيفة معه وهي((معلقة في قراب سيفه))[٤]، ومن اهتمامات الإمام علي ε بالتدوين، فإنه كان يقوم بتوثيق الكتب والوثائق المهمة لديه لحفظ حقوق المسلمين والدولة فقد ذكر ابن النديم بقوله:((ورأيت عدة أمانات وعهود بخط أمير المؤمنين علي ε ...))[٥].

ولا يخفى ما للقرآن لكريم من أهمية في حياة المسلمين، فهو مصدر الإلهام والتشريع الأول عندهم، إذ جعله الله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة. وبعد وفاة الرسول β كان علي بن أبي طالب ε ـ ربيب الرسول β وكاتب الوحي ـ، قد فطن إلى أهمية جمعه للحفاظ على الدين

---

[١] مسلم، محي الدين ابن زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي(ت٦٣١هـ)،شرح صحيح مسلم،راجعه: خليل الميس ،(بيروت،د.ت)، ج٩/ص١٣٨.

[٢] ابن حنبل ،المسند ، ج١/ص٩٩.

[٣] البخاري،الصحيح ،ج٨/ص٥٦٠.

[٤] ينظر: مسلم، الصحيح، ج٩/ص١٥٠.

[٥] ابن النديم، أبو الفرج بن أبي يعقوب إسحاق (ت٧٨٠هـ)، الفهرست، خطه وشرح وعلق عليه : يوسف علي الطويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، ط ٢ ،(بيروت، ٢٠٠٢م)، ص٦٤.

الإسلامي والمسلمين والسير على تشريعه وهداه[١].

ويذكر أن((جمع القرآن على عهد الرسول β عليّ وأبي[*]))[٢] ، وعند اعتزال الإمام علي ε بعد وفاة رسول الله β همّ بجمع القرآن وذلك لما ((رأى من الناس طيرة... فأقسم أن لا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن فجلس في بيته حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن، جمعه من قبله...))[٣].

ويبدو أن القرآن لكريم لم يكن مجموعا على حياة الرسول β والدليل الأخبار المتواترة في((أن علي بن أبي طالب كان جمعه لما قبض رسول اله β وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته وكان جزأه سبعة أجزاء...))[٤].

فكان الإمام علي ε ((هو أول من جمعه فقالوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن،لأنه لو كان مجموعا في حياة الرسول β لما احتاج أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته β ...))[٥].

وكان أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان عند آل جعفر[٦].هذا((وقد عني غير

---

(١) الاسكافي،المعيار والموازنة ،٣٠٠؛ جرداق، جورج، الإمام علي ε صوت العدالة الإنسانية،ط٢،(ايران، ١٤٢٤هـ)،ج١/ ص٨٢.

(*) أبي بن كعب: وهو من الأنصار، ويكنى بأبي المنذر، وكان يكتب في الجاهلية، وكتب لرسول الله β الوحي... واختلف في وقت موته، فقال قوم: مات في خلافة عمر، سنة اثنتين وعشرين، فقال عمر: اليوم مات سيد المسلمين، وقال آخرون: مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان...)، ابن قتيبة،المعارف،٢٦١ص.

(٢) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١/ص٢٥.

(٣)المصدر نفسه،ج١/ص٢٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص٩٢.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١/ص٥١.

(٦) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١/ص٢٦.

واحد من الصحابة بجمع القرآن غير أنه لم يتسنَ لهم أن يجمعوه على تنزيله...))[١].

وكان ترتيب جمع القرآن من قبل الإمام علي ε بحسب تنزيل السور على رسول الله β ، وبعد جمعه((خرج إلى الناس... فقال لهم: هذا كتاب الله قد الفته كما أمرني، وأوصاني رسول الله β كما أنزل فقال بعضهم: أتركه وامضِ.فقال لهم: إن رسول الله β قال لكم: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فإن قبلتموه فاقبلوني معه أحكم بينكم بما فيه من أحكام الله فقالوا: لا حاجة لنا فيه وفيك فانصرف به معك لا تفارقه ولا يفارقك))[٢].

وعن جابر[*] قال: سمعت أبا جعفر ε يقول:((ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما انزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب ε والأئمة من بعده ...))[٣].

وقال أبو ذر الغفاري(ت٣٢هـ)(رض):((لما توفي رسول الله β جمع علي القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم لما قد أوصاه رسول الله β ...))[٤].

وعن سلمان[*] (رض) ((أن أمير المؤمنين ε ... لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه

---

[١] الحكيم، محمد تقي، تاريخ التشريع الإسلامي، ص٦٦.

[٢] المسعودي، أبو الحسن بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)، إثبات الوصية ، للإمام علي بن ابي طالب ε، ط٢،(قم، ٢٠٠٣م)، ص١٤٦ .

[*] جابر بن عبد الله(١٦ق هـ/٧٨هـ = ٦٠٧هـ/٦٩٧م): وهو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الانصاري صحابي من الكثيرين في الرواية عن النبي β وروى عنه جمع من الصحابة له ولأبيه، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم...). ينظر: الزركلي، خير الدين، اعلام، ط ١٦ ،(بيروت، ٢٠٠٥م)،ج٢/ص١٠٤.

[٣] الكليني،أصول الكافي، ج٢/ص٢٨٨.

[٤] الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من أعلام ق٤هـ)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد محمد باقر الخرسان،(النجف الاشرف، ١٩٦٦م)، ص٢٢٥.

[*] سلمان المحمدي:(كان يكنى بأبي عبد الله، ويقول قوم إنه من(أصبهان)، ويقول قوم إنه من(فارس)، من رامهرمز... ولم يشهد بدرا، ولا أحدا، لأنه كان في اوقاتهما عبدا وأول غزوة غزاها(الخندق)، سنة خمس من

فلم يخرج من بيته حتى جمعه وكان في الصحف والشظاظ والاسبار والرقاع ، فلما جمعه كله وكتبه بيده تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ...))[١].

وقد أكد الأئمة على حقيقة جمع القرآن من قبل الإمام علي ε وقالوا حينما فرغ الامام من كتابته ((أخرجه... إلى الناس... فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله على محمد وقد جمعته بين اللوحين...))[٢].

وقال محمد بن سيرين(ت١١٠ هـ):((لو أصبت ذلك كان فيه العلم))[٣]. ويؤكد بعض الباحثين الى حقيقة جمع القرأن بعد وفاة الرسولβ وان الامام علي ε قد قام بجمع النصوص المتناثره عند الصحابه ووحدها في كتاب واحد ،[٤] وتشير بعض المصادر التاريخية إلى وجود مصاحف إلى وقت متأخر بخط الإمام علي ε إذ((كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين علي ε احترق حين احترق المشهد سنة خمس وسبعمائة، ويقال: كان في آخره، وكتب علي بن أبي طالب ولكن... أن الذي كان في آخر ذلك المصحف علي بن أبي طالب،ولكن الياء مشبهة بالواو في الخط الكوفي الذي كان يكتبه علي ε))[٥].

وأدرك بعضهم مصحفا بالمزار في مشهد عبيد الله بن علي بخط أمير المؤمنين ε في مجلد واحد وفي آخره بعد تمام كتابة القرآن المجيد((بسم الله الرحمن الرحيم كتبه علي بن أبي طالب ε ...))[٦].

الهجرة، وعمر عمرا طويلا، ومات في أول خلافة(عثمان).وفي بعض الروايات أنه مات في خلافة عمر بن الخطاب (رض) بالمدائن). ابن قتيبة، المعارف، ص٢٧١.

[١] المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،(بيروت، ١٩٨٣م)، ج٨٩/ص٤٠.

[٢] ابن فروخ، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، تقديم وتعليق: ميرزا محسن،(بيروت، ١٩٩٢م)، ج٤ /ص١٩١.

[٣] العسقلاني، الصواعق المحرقة ، ص١٩٧.

[٤]ينظر: جياد، حاتم كريم، الامام عليε في كتابات المستشرقين، اطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٢٠٠٧م،ص٦٦.

[٤] ابن عنبه، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ص٢٠,٢١.

[٦] م.ن.

وهكذا((تصدى الإمام علي ε لكتابة القرآن منذ بزوغ فجر الإسلام ...))[1]،((ولم يكن عليε ليقصر على استظهار القرآن وجمعه فحسب، بل كان فقيها فيه، عالما بأسباب النزول ومواطنه... وكان لا يفوته شيء من أحكام القرآن الظاهرة وأسراره الباطنة...))[2].

---

[1]الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي بن أبي طالب ε روح الإسلام الخالد،(بيروت،٢٠٠٧م)،ص٣٩.

[2] القضاعي، دستور معالم الحكم ،ص٧٣.

رابعا: **فكر الامام علي**ε **واثره في علم القراءات والتنزيل**:

علم القراءات من العلوم المهمة في حقل القرآن ا لكريم زيادة على كونه فنا من الفنون التي أضحت لها أصول ومدارس يتتبعها المسلمون، وكان أمير المؤمنين ε قد أعطى هذا الجانب أهمية كبيرة وفاض عليه من فيوضاته العلمية المباركة و((إذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه... فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضا...))[١].

وعن ابن مسعود[*] قال:((قرأت على رسول الله β تسعين سورة وختمت القرآن على خير الناس بعده، فقيل له، من هو؟ قال علي بن أبي طالب ε))[٢]، وقال ابوعبد الرحمن السلمي[**]:((ما رأيت أحدا أقرأ لكتاب الله من علي بن أبي طالبε))[٣]. وعن ابن عباس قال:((دعا عبد الرحمن بن عوف(ت٣٢ هـ) قوما من أصحاب رسول الله فحضرت الصلاة، فقدموا علي بن أبي طالب لأنه أقرأهم))[٤].

واتفق الجميع على ان الإمام علي ε وحفظه وقراءاته منذ عهد الرسول β والعمل به، ويشير ابن أبي الحديد إلى ذلك بقوله:((وأما قرائته للقرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله β ولم يكن غيره يحفظه...))[٥].

---

[١] للمزيد ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١/ص٥١.

[*] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب... ويكنى بأبي عبد الرحمن..أسلم عبد الله بن مسعود قبل دخول النبي β دار الأرقم... كان أول من أفشى القرآن في مكة من في رسول الله β ... هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا في رواية أبي مشر ومحمد بن عمر، ولم يذكره محمد بن اسحق في الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة... وشهد عبد الله بن مسعود بدرا... وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله β... مات عبدالله بن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين...)، ابن سعد،محمد بن سعد(ت٢٣٠ هـ)،الطبقات الكبرى، دراسةوتحقيق: محمد عبد القادر عطا ،(بيروت، ١٩٩٠م)، ج٣/ص١١١.

[٢]ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١/ص٥١.

[٣] الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١/ص٢٣، ج١/ص٢٤.

****هو:((عبدالله بن حبيب من اصحاب علي كان مقرئا ويحمل عنه الفقه))،ينظر:ابن قتيبة، المعارف،ص٢٥٨.**

[٤] الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١/ص٢٣، ج١/ص٢٤.

[٥] ينظر: شرح نهج البلاغة، ج١/ص٥١

ومن إشاراته ε إلى كيفية قراءة القرآن لكريم وترتيله لقوله تعالى:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[١]، قال:((الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف))[٢]، ويقول ε :((في تلاوة القرآن بينة تبيانا ولا تهذه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة...))[٣].

وتتوالى حلقات العلوم القرآنية في فكر الإمام علي ε بإتقانه الكبير لجميعها ففي علم التنزيل يسجل ε أحاطته به لترسيخ أسسه في الأمة الإسلامية وأشارت بعض الأحاديث الشريفة الى علم علي ε بمكنون القرآن منها:((علي يعلم الناس بعدي تأويل القرآن، ولا يعلمون أو قال يخبرهم...))[٤].

وعن عمر بن الخطاب(رض)قال:((علي أعلم الناس بما أنزل الله على محمد β))[٥]، ومن سعي الإمام علي ε وجهاده الحثيث في تحصيله العلم من رسول الله β يقول ε :((ما دخل رأسي نوم ولا عهد رسول الله β حتى علمت من رسول الله β ما نزل جبرائيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنة أو أمر...))[٦].

وفي القرآن الكريم سور وآيات تشابهت ونسخت أخرى، ومنها المحكمات ، ومن العسير الإحاطة بها في تلك الفترة؛ لعدم انتشار الكتابة والتدوين ووسائل الاتصال الحديثة لذلك ومن شعور الإمام علي ε بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ولقربه من رسول الله β ولإيمانه الخالص بالإسلام زد على ذلك أن رسول الله β قد خصه بكل العلوم فكان علي ε هو الوعاء الذي يصب فيه الرسول β علمه، ويقول ε :((ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا ... وعلمني تأويلها وتفسيرها ومتشابهها

---

[١] سورة المزمل، آية :٤؛ السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم،(د.ب، ١٣٨٠هـ)، ج١/ص٢١٢.

[٢] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١/ص٢١٢.

[٣] كاشف الغطاء، الهادي، مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٤.

[٤] ابن فروخ، بصائر الدرجات، ص١٩٥.

[٥]المصدر نفسه ، ج١/ص٣٠.

[٦]المصدر نفسه،ج٤/ص١٩٥.

ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فلم أنسَ منه حرفا واحدا...))[1]، وأقسم ε قائلا :((والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمَ نزلت ،وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته))[2].

وسئل ابن الكواء[*]الإمام علي ε عن قوله: ((ما أنزلت آية من كتاب الله في ليل ونهار، ولا سير ولا مقام،إلا وقد أقرأنيها رسول الله β وعلمني تأويلها، فقال: يا أمير المؤمنين فما كان ينزل عليه ،أنت غائب عنه؟ قال: كان يحفظ علي رسول الله β ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتى اقدم عليه، فيقرئنيه ويقول: يا علي أنزل الله بعدك كذا وكذا وتأويله كذا وكذا، معلمني تأويله وتنزيله))[3].

واستقر هذا العلم الواسع في فكر الإمام ε وبين جوانحه ويعلن مرة بعد أخرى على ملأ المسلمين ليس للتباهي أو التفاخر وإنما لصب هذا العلم لمنفعة المسلمين بعد أن يخبرهم((أن ما بين لوحي المصحف من آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أو جبل، وأن بين جوانحي لعلما جما...))[4].

---

[1] ينظر: الحسكاني، شواهد التنزيل،ج١/ص٣٥.

[2] السيوطي، الاتقان، ج٤/ص١٩٦.

[*]هو((عبد الله بن عمرو من بني يشكر ،وكان ناسبا عالما كبيرا، وقيل لابيه الكواء لانه كوى في الجاهلية)).ينظر:ابن قتيبة ، المعارف، ص٥٣٥.

[3] المجلسي،بحار الأنوار،ج٨٩/ص٨٧.

[4] الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري(ت٤١٣هـ)، الامالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي و علي أكبر الغفاري، ط٥،(قم، ١٤٢٥هـ)،ص١٥٢.

المبحث الثاني

الفكر السياسي عند الإمام علي ε

أولا ـ الأوضاع السياسة لدولة الخلافة منذ وفاة رسول الله β حتى بيعة الإمام علي ε سنة ٣٥هـ:

إنّ من يلقي نظرة على الساحة السياسية لعاصمة الخلافة الإسلامية بعد وفاة رسول الله β في السنة الحادية عشرة للهجرة[١] إلى سنة ٣٥هـ، التي تم فيها انتخاب الإمام علي ε للخلافة[٢].يجد أنه قد طرأت كثير من المستجدات.فمنذ اليوم الأول لوفاة الرسول β دبّ الخلاف بين المسلمين حول من يخلف الرسول β ،فحسم الأمر على أساس مبدأ الشورى واختيار الأمة حسب مايبرره الساعون الى السقيفة من بعض المهاجرين ومن ايدهم [٣]، لكن مبدأ الشورى والاختيار لم يجر بالطريقة نفسها التي اختير فيها الخليفة عمر بن الخطاب، بل كان عن طريق نص عليه من الخليفة الأول ابي بكر[٤]، وهذا يتنافى مع ما آمن به ((أبو بكر بالأمس قد آمن بحق ألأمة، فهو اليوم ينقض ذاك الايمان، وينتزع ذلك الحق من الأمة))[٥].

وهكذا فعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فلم يعطِ للأمة حق الشورى والاختيار وإنما حصرها في مجلس شورى يضم ستة أشخاص من كبار المهاجرين ينتخب واحد منهم، وقيدها بشروط[٦].

ومن ناحية أخرى كان للسياسات التي أتبعها كل من الخليفتين عمر وعثمان أثرها على الواقع السياسي لدولة الخلافة مثل سياسة التفاوت بالعطاء أو شرف العطاء [٧] ، ومن ثم سياسة الخليفة عثمان واستئثاره وتسلط أقاربه من بني أمية بالسلطة وبأموال المسلمين مثل مروان بن الحكم(ت٦٥هـ)، وإرجاع عمه الحكم بن العاص طريد رسول الله بعد أن رفض كل من

---

[١] ابن قتبية، المعارف،ص١٦٥.

[٢] ابن اعثم، أبو محمد أحمد(ت٣١٤هـ)، الفتوح،(بيروت، د.ت)، ج٢/ص٢٤١..

[٣] ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب(ت٤٥٠هـ)،الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، ط٢،(قم، ١٤٠٦هـ)، ص٦.

[٤] البلاذري، انساب الاشراف، ج٢/ص٢٩٠.

[٥] عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي السياسي، ص٤٢٨.

[٦] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧/ص٢٩.

[٧] البلاذري، أبو الحسن(ت٢٧٩هـ)،فتوح البلدان، بإشراف :لجنة تحقيق التراث،(بيروت،١٩٨٨م)، ص٤٣١؛ الشهرستاني، أبوالفتح محمد بن عبد الكريم(ت٤٥٨هـ)، الملل والنحل، تخريج: محمد بن فتح الله بدران،(مصر،د.ت)،ج١/ص٣٢.

الخليفتين السابقين ارجاعه، ثم سياسة العنف والنفي التي مارسها مع بعض صحابة رسول الله β الأجلاء أمثال، عبد الله بن مسعود، وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر(ت٣٧هـ)[١]، وقد وصف الإمام علي ε سياسة الخليفة عثمان ومثالبها، بقوله:((إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه،بين نثليه ومعتلفه، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته))[٢].

ونتيجة لما تقدم تبلور على الساحة اتجاهان هما:الاتجاه الهاشمي((الإسلامي المتشدد))[٣]، والقرشي اللذان انبثقا يوم السقيفة، وأصبحت معالمهما وتأثيرهما واضحين، على الساحة السياسية، ولاسيما إذا أخذ بنظر الاعتبار الخلفية التاريخية لبعض أعضاء الحزب القرشي الذين دخلوا الإسلام كارهين ،أصبحوا يتربصون بالإسلام الشر مثل، أبي سفيان(ت٣١هـ) وابنه معاوية (ت٦٠ هـ) الذين عدوا من المؤلفة قلوبهم[٤]وأبان أحداث السقيفة بادر أبو سفيان بإعلان معارضته معارضته لبيعة أبي بكر، لكنهم ساوموه فسكت ورضي[٥]، وليس هناك أوضح من حديثه في صدر خلافة عثمان من الإعلان الصريح لأبي سفيان بالتربص بالإسلام وحثهم بالعودة إلى مجدهم في الجاهلية بقوله:((يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة...))[٦]. وبالاتجاه نفسه كان معاوية يسير ويتحين بالخلافة الشر،وكان بإمكانه نصرة الخليفة عثمان وتفادي ما وقع لكن خذلانه للخليفة كان هدفا مدروسا إذ كان الخليفة قد كتب إلى معاوية((يسأله تعجيل القدوم عليه فتوجه إليه في اثني عشر ألفا قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى أتي أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره فأتى عثمان، فسأله، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله، ولكنك أردت أن أقتل فتقول: أنا ولي الثأر. ارجع وجيئني بالناس! فلم يعد إليه حتى قتل))[٧].

وليس أصدق من كلمات الإمام ε التي كشفت حقيقة معاوية ومواقفه، وموقف أبيه أبي

---

[١] المسعودي،،مروج الذهب ،ص٣٥٤ وما بعدها.

[٢] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١/ص١٩١.

[٣] ينظر: الحسناوي، ختام مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية (١١هـ/٦٣٢م ـ٤١هـ/٦٦١م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الكوفة، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م،ص٤٨.

[٤] ابن هشام،السيرة النبوية،ج٤/ص١١٨.

[٥] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢/ص١٢٨.

[٦] المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٦٢.

[٧] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٢.

سفيان من الإسلام بقوله:((فلم يرعني الإشفاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية إياي، الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق، وحزب بن الأحزاب، لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وأبوه، حتى دخلا الإسلام كارهين مكرهين...))[١]، هذا هو حال اغلب بني أمية الملتفين حول الخليفة[٢]. وهذه هي الملامح العامة للساحة السياسية حتى مقتل الخليفة عثمان سنة ٣٥هـ.

لقد تبين ان طبيعة الأوضاع السياسية وأسباب الثورة التي أحاطت بالخلافة ونتائجها على أرض الواقع، وكان للإمام علي ε أثر كبير لتفادي وقوع الثورة إدراكا منه بدفع مفسدة أكبر تكون عواقبها وخيمة آنية ومستقبلية على وضع الأمة الإسلامية، زد على ذلك معرفته بالذين يضمرون الشر للأمة، وكانوا يؤججون نار هذه الثورة بالخفاء لمصلحة شخصية هم يرونها من أمثال مروان بن الحكم، الذي كان مهيمنا على الخليفة عثمان وغيره مستغلين ضعفه[٣]؛ لذا وقف الإمام علي ε يدافع ويستجيب لأوامر الخليفة عثمان حفاظا منه على هيبة الخلافة بمحاولاته تحجيم الثورة لكن موقف الخليفة المتردد والمخاوف التي تساوره جعلته يتعامل مع الإمام علي ε بريبة وشك، وطلب منه أن يغادر المدينة خوفا من التفاف الناس حوله، في أثناء الحصار المفروض عليه ارسل عبد الله بن عباس الى الإمام علي ε طالبا منه مغادرة المدينة إلى ماله بينبع، فأعلن الإمام علي ε حراجة المواقف التي يضعه فيها الخليفة التي وصلت إلى درجة الاستفزاز في بعض الأحيان فقال له:((يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني حملا ناضحا بالغرب، أقبل وأدبر بعث اليّ أن اخرج ثم بعث اليّ أن أقدم،ثم هو الآن يبعث اليّ أن أخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما))[٤].

ما تقدم يكشف وبشكل واضح موقف الإمام علي ε وقوة وتماسك شخصيته وحكمته السياسية وامتلاكه لرؤيا عميقة وشاملة للأوضاع التي تعيشها الخلافة فعلى الرغم من عدم تثمين الخليفة لمواقفه فقد كان الإمام علي ε ((يرد الناس عن الفتنة، حتى إذا استيأس من مقاومة عثمان

---

[١] المنقري،نصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ)،وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، (القاهرة،١٣٨٢هـ)، ٢٠١؛ ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠/ص١٧٦.

[٢] ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ج٢/ص٢١٤.

[٣] ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٦٣.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣/ص٢٢٠.

لأهل بيته لزم داره ولم يتوسط بين الناس ثم هو مع ذلك ظل بارا بعثمان أثناء الحصار...))[١].

فقد((بعث الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم...))[٢]، ثم كان نبأ مقتل الخليفة قد ولد صدمة لشعور الإمام علي ε فتوجه إلى دار الخليفة، وانب ولديه (عليهما السلام) وأبناء الصحابة لعدم قدرتهم على حماية الخليفة عثمان ومقتله[٣].

ثانيا: بيعة الإمام علي ε للخلافة سنة ٣٥هـ/٦٥٥م:

مما تقدم تبين لنا الأوضاع السياسية والفتنة التي أحاطت بالخلافة ونتائجها على ارض الواقع((فلما قتل عثمان وقد كان عليا قبل ذلك معتزلا له لما كان منه في أبي ذر وغيره...))[٤].

وليس للإمام علي ε في هذا الوقت بالذات رغبة في الخلافة ليس هربا من المسؤولية ولكن لتعقد الظروف السياسية و الاجتماعية في المجتمع الإسلامي لذا ((لم يكن من جانبه شديد الحماسة لهذا الأمر بعد أن فقدت الخلافة الكثير من بريقها، وبعد أن تلاشت العوامل المساعدة على إقامة نظام إسلامي عادل ومتكافئ))[٥].

وقد أدرك الإمام علي ε آثار هذه المرحلة وما تفرزه من نتائج سياسية واجتماعية وغيرها، فأوضح للمسلمين الذين لجأوا إليه ليبايعونه فقال لهم:((دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت...))[٦].

ولما كان الإمام علي ε رجل الساعة((بعد أن أخذ معظم الساسة يتوارون عن الأنظار في عاصمة الخلافة تنكبا من التطورات التي أفلتت من قبضتهم، كان الفراغ السلطوي ينذر بأسوأ النتائج وتشتد الحاجة إلى منقذ تفزع إليه الأغلبية من الاتجاهات السياسية لاسيما الحركة المهيمنة على السلطة في المدينة، ولما كان المطلب الرئيس لهذه ألأخيرة هو إسقاط العائلية والفئوية فإن الأنظار شخصت حينذاك إلى علي... فقد كان علي وهو أحد القلائل من سياسي الصف الأول

---

[١] حسين، طه، الفتنة الكبرى،(مصر، ١٩٥١م)، ج١/ص١٥٥.

[٢] المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٦٤.

[٣] للمزيد ينظر: م.ن.

[٤] الاسكافي، أبو جعفر، المعيار والموازنة، ص٤٩.

[٥] بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك بن مروان،(قم، ٢٠٠٦م)، ص١١٨.

[٦] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص٢٣.

خارج نطاق الاتهام والشك بسلوكه...))[١]، لذا كثر الإلحاح على الإمام علي ε لقبول البيعة لحاجة الأمة الإسلامية إلى قدراته فيرد عليهم:((إن تركتموني فأنا أحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه لكم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير...))[٢].

كان اضطراب الأوضاع والمخاوف من النتائج الأسوأ في حال استمرار هذا الفراغ قد زاد في إصرار المسلمين الذين يرون ((أن الواجب الشرعي يحتم على الإمام علي ε اعتلاء منصة الخلافة لإنقاذ الإسلام الذي باتت في الأفق علامات تهدد كيانه... وهنا أصبح الإمام علي ε أمام مسؤوليتين، تاريخية كبرى وشرعية ضخمة وإزائهما قبل الأمر وتحمل تبعاته))[٣]، وهناك وجهة نظر جديرة بأن تؤخذ بنظر الاعتبار فإبان ((مقتل الخليفة عثمان في أجواء الغضب الجماهيري لم يكن ثمة فرصة للخليفة أن يوصي أو يعهد لأحد بخلافته، ولا ثمة فرصة تسنح لطامح، أو مجتهد في مصلحة يقدرها فينفذ منها إلى مرامهم...))[٤].

وبإزاء هذه الأوضاع استجاب الإمام علي ε أخيرا لمطالبة المسلمين مسوغا قبوله هذه المسؤولية خوفه على مصير ومستقبل الأمة الإسلامية[٥] ، واكتسبت بيعة الإمام علي ε صفة الإجماع إلا نفرا قليلا تخلف عنها ويذكر أنه((بايع الناس بعد ذلك من المهاجرين والأنصار ومن حضر من العرب والعجم وأهل مصر، وبايعت أهل الكوفة...بأجمعهم... وبلغ ذلك لأهل اليمن فبايعوا طائعين غير مكرهين، ثم قدوا عليه بهنونه الخلافة،وهناك من تخلف عن البيعة مثل معاوية وأهل الشام وخواص من الناس))[٦].

وفي هذه البيعة أو الانتخاب مارس المسلمون جميعا نشاطا سياسيا ديمقراطيا لانتخاب من يرونه مناسبا كفؤا ليمثلهم على سدة الخلافة ، ويرى بعض المؤرخين((تقلد الإمام علي ε منصب الخلافة وفق مراسيمها المعروفة بالبيعة الخاصة والعامة بعد مقتل عثمان بن عفان عام ٣٥هـ ،

---

[١] بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك،ص١١٨ .

[٢] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)،تاريخ الرسل والملوك،تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم،ط٢،(القاهرة، ١٩٦٩م)، ج٤/ص٤٢٣.

[٣] الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد،ص١١٠.

[٤] عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص٤٣٠.

[٥] ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧/ص٣٣.

[٦] ابن أعثم، الفتوح، ج٢/ص٢٥٦,٤٤٦.

وذلك وسط موجة مضطربة مظلمة وكان ε في هذا الموقع الزمني مغبونا لتأخر وصوله إليها منذ ربع قرن من الزمن...))[١]، وما تميزت به بيعة الإمام علي ε الصفة الشرعية((وأنها لم تكن فلتة))[٢]، ولم تكن بعهد أو وصية خليفة سابق و((كان لأول مرة في تاريخ الخلافة الإسلامية أن تطلق الجماهير صوتها في خيار جماهيري شجاع بهذه الطريقة الجماهيرية انتخاب الخليفة الجديد))[٣]، وقد أصبحت الخارطة السياسية والإدارية والجغرافية لدولة الإمام علي ε تتمثل بالعراق ومصر واليمن وخراسان، ولم يبقَ خارجا عنها عندئذ إلا الشام[٤].

ثالثا: المفهوم الفكري للإمام علي ε لمنصب الخلافة:

لم يكن منصب الخلافة ذلك النظام الذي استحدث بعد وفاة الرسول β هو جوهر وروح المفهوم الفكري والعقائدي عند الإمام علي ε ، وإنما منصب الإمامة الذي يعتبر واجبا وتكليفا إلاهيا[٥]، إذ تتواصل فيه((المهمة الأساس للإمام المعصوم وهي كونها استمرار للنبوة من دون الوحي))[٦].

وقد أناط القرآن لكريم هذه المسؤولية للأنبياء والصلحاء من ذرياتهم وذلك بمخاطبته للنبي إبراهيم بقوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٧]، ويستدل من ذلك((أن الإمام لا يكون إلا معصوما من القبائح؛لأن الله تعالى نفى أن ينال عهده ظالم نفسه، ومن

---

[١] الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد،ص١٠٨

[٢] ينظر: الدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق :عبد المنعم ثامر و جمال الدين الشيال، ط٢،(قم،١٣٧٩هـ)، ص١٣٤.

[٣] عبد الحميد، صائب، المصدر السابق، ص٤٣٠.

[٤] ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد(ت٨١٥هـ)، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق: محمد مهنى ،(بيروت،١٩٩٧م)، ص١١٥.

[٥] الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد،(النجف الاشرف، ١٩٧٩م)، ص٢٦٦ ص٢٦٦ وما بعدها.

[٦] شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام،ص٣٢٨.

[٧] سورة البقرة، آية :١٢٤؛ الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج٤/ص٣٠ .

ليس معصوم هو ظالم إما نفسه أو لغيره))[1].

ولاشك أن مفهوم الإمام علي ε بني على نص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بشأن استخلافه ε مثل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . .﴾[2]، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3]، ويذكر أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ε [4]،زيادة على ذلك أن((المراد أن((المراد بالولي هو المدبر للكافة والإمام القدوة، ولو كان المراد مجرد المولاة في الدين لبطل هذا التخصيص))[5].

وأن((معنى وليكم في الآية من كان مستحقا للأمر وأولى بالقيام به وتجب طاعته...))[6].

أمّا الأحاديث الشريفة التي خصت مقام الإمام علي ε وخلافته للرسول β حديث الغدير بعد أن أبلغ الله تعالى الرسول β أمر التبليغ في سورةالمائدة كما تقدم فصدعβ بقوله:((من كنت مولاه فعلي مولاه))[7]،وقولهβ:((علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي))[8].

وفي المضمون نفسه أكد رسول الله β على ذلك بقوله بعدُ:((يا علي أنت ولي الناس بعدي،

---

[1] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢٠/ص٥٢٠- ٥٢١؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١/ص٨٦-٨٧.

[2] سورة المائدة، آية: ٦٧؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٥/ص٣٨٨

[3] سورة المائدة، آية :٥٥؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٥/ص٣٨٨

[4] الكليني،أصول الكافي،ج١/ص٢٢٣؛ ينظر ابن جزي،محمد بن احمد(ت٧٤١ هـ)،تفسير ابن جزي، اشراف: لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي ،(بيروت، ١٩٨٣م)، ص١٥٨ ومابعدها .

[5] الكراكجي،أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان(ت٤٤٩هـ)، كنز الفوائد،حققه وعلق عليه: عبد الله نعمة،(بيروت، ١٩٨٥م)، ج٢/ص٣٣٤.

[6] الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد،ص٣١٩.

[7] الترمذي،أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت٢٩٧هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: محمود محمد محمود وحسن نصار،(بيروت،٢٠٠٠م)، ج٤/ص٤٧١؛ ابن حنبل، المسند،ج١/ص١٠٢؛ ابن عساكر، ابن القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي(ت٧٥١هـ)، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله علي عاشور الحنوبي،(بيروت٢٠٠١م) ج٤٥/ص١٧٥,١٧٢؛ ابن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج٤/ص١١٨.

[8] الترمذي، سنن الترمذي، ج٤/ص٤٧١.

فمن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني))[١]. وما يشير إلى منزلة الإمام علي ε من الرسول β وموقعه في الأمة حديث المنزلة عندما خلف الإمام علي ε في المدينة في غزوة تبوك سنة (٩ هـ)وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشترك فيها الإمام علي ε مع الرسول β فحينما عتب الإمام علي ε على الرسول β فأجابه قائلا له β :((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى))[٢].

ثم أن أشارات الرسول β إلى حصر الإمامة في قريش بقوله β :((إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم أثنا عشر خليفة... كلهم من قريش))[٣]، وعزز الإمام علي ε هذا المفهوم النبوي كون الأئمة هم من قريش ومن بني هاشم حصرا، ولا يمكن أن تؤول إلى غيرهم بقوله ε :((إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ولا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم))[٤].

فالإمامة تعدّ((منزلة الأنبياء وارث الأوصياء، إن الإمامة خلافة وخلافة الرسولβ ومقام أمير المؤمنين ε وميراث الحسن والحسين عليهما السلام))[٥].

وفي ضوء هذه المفاهيم فقد((شهدت هذه... الأقوال باستحقاقه ε الإمامة ودلت على أنه ε أحق بمقام الرسول β وأولى بالإمامة والخلافة...))[٦].وعليه،فبعد وفاة الرسول β لم يكن يخلد بذهن الإمام ε ((أن يستأثر أحد عليه بالخلافة لأحوال قد كان مهدها له رسول الله β ... ولعله كان يخطر له أنه أن يكون هو الخليفة أو يشاور بالأمر في الخلافة إلى من يفوض ، وما كان

---

[١] الشيخ المفيد،الأمالي، ص٦٧.

[٢] البخاري، صحيح البخاري،ج٥/ص٨٠؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت٢٠٢هـ)، خصائص الإمام أمير المؤمنين، حققه وعلق عليه: محمد باقر المحمودي،(د.ب،١٩٨٣م)،ص١١٠.

[٣] صحيح مسلم، ج١٢/ص٤٤٢.

[٤]الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص٢٥٣ ؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩/ص٦٧.

[٥] الكليني، أصول الكافي، ج١/ص٢٢٤.

[٦] الطبرسي،أبو علي الفضل ابي الحسين(من أعلام ق٦هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى،تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ،(د.ب،١٤١٧هـ)، ج١/ص٣٢٠.

يتوهم أنه يجري الأمر على ما جرى عليه من القلق عن ثوران تلك الفتنة ولا يشاور هو ولا العباس ولا أحد من بني هاشم...))[١]، ولكن((لو أنصف الناس حق الإنصاف فأرجئوا البيعة حتى يتم لهم مواراة جثمان الرسول β كان هذا أدنى إلى التزامهم جانب التدبير وإحسان التفكير قبل الإقدام على الاختيار...))[٢].

وقد رد الإمام علي ε على المرتابين بحقه وإمامته فقال:((وقد قال قائل إنه على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص فقلت: بل أنتم لأحرص، وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقا لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، اللهمّ إني استعينك على قريش ومن أعانهم...))[٣]

إن إبعاد الإمام علي ε عن الخلافة تحت مسميات الشورى والانتخاب تؤكد حقيقة على أن((العملية... كانت في ذاتها اشبه بـ(انقلاب) ابيض إذا جاز التعبير ـ منها بأي إجراء(انتخابي) كما يزعم المتمسكون بنظرية الشورى على أساس طرح البيعة لأبي بكر في السقيفة...))[٤].

ومع امتلاك الإمام علي ε الأساس الشرعي الضخم، إلا أن القوة التي فرضت نفسها على ساحة الدولة الإسلامية دفعته لانتهاج سياسة الموازنة بين مفاهيم الإمام العقائدية وبين ما تفرزه سياسة الأمر الواقع عن طريق سياسة التعايش مع حكم الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، وكان((تعايش المحافظ والمدافع، فقد كانت الضغوط الموجهة إليه تتركز على دوره كممثل شرعي وكقائد لتيار آل البيت الذي ضم الكثير من الصحابة، وقد تنازل الإمام عن هذا الدور حفاظا على وحدة الأمة، لكنه لم يتنازل عن المبدأ، الذي ورثه عن الرسول β أي أن الإمام تنازل عن السلطة ولم يتنازل عن الفكرة، تنازل عن الحكم ولم يتنازل عن الدعوة فهو قد أفسح الطريق للخط القبلي ليحكم لكنه لم يفسح له الطريق ليعبث بالإسلام))[٥].

إن المهمة التي تكفلها الإمام علي ε في الخلافة أو الحكم بصورة عامة ترتكز على

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠/ص١٩٦.

[٢] عبد المقصود، عبد الفتاح، المجموعة الكاملة الإمام علي ε ، (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ج١/ص١٦٠.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص٢٢٢، ٢٢٣.

[٤] بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك،ص١٩٢.

[٥] الورداني،صالح،السيف والسياسية صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي،(بيروت، ١٩٩٩م)،ص٩٣.

مرتكزين أساسين هما:

ـ ملء الفراغ التشريعي.

ـ مهمة السياسة التنظيمية[١].

وقد مارس الإمام علي ε نشاطه التكليفي في الإمامة لإقامة حكومة العدل الإلهي التي يوضح معالمها بقوله:((واعلموا عبادة الله إن لكل إمام عادل حجة على رعيته ، ولكل رعية حجة على إمامها إذا جار عليها، ألا فتمسكوا من الإمام العادل بحجته وخذوا ممن يهديكم ولا يضلكم فإنه العروة الوثقى ، أيها الناس أنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: إبلاغ الموعظة واجتهاد في النصيحة، وإحياء السنة وإقامة الحدود، وإصدار السهمان على أهلها، وإظهار الحجة في العهود والبر والرأفة بجميع المسلمين))[٢].

وهذه المفاهيم تأصلت في روحه جوهرا وسلوكا أخلاقيا، فهي((سلسلة لا تنتهي بعضها على بعض دليل، ومن أروع حلقات من الصدق والإخلاص وقد بلغ الصدق مبلغا أن أضاع الخلافة وهو لو رضي عند الصدق بديلا في بعض أحواله لما نال منه عدو ولا انقلب عليه صديق...))[٣]، فلو كان الإمام علي ε يجري وراء منصب الخلافة لتحقيق مأرب شخصي أو قبلي أو عنصري لوافق على الشرط الذي شرط عليه في بيعة شورى الستة التي نص عليها الخليفة عمر بن الخطاب قبل وفاته بأن يسير في الخلافة على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين فرفض الإمام ε ذلك الشرط وأشار باتباع كتاب الله وسنة الرسول β واجتهاده، بينما وافق منافسه عثمان على ذلك الشرط، ودفعت الخلافة عنه للمرة الثالثة[٤].

ويبدو أن الأبعاد لم يكن أمرا عفويا؛لأن((عليا الذي مثل دائما الاتجاه الصلب في الإسلام، ذلك المستقطب بصورة عامة، الفئات المتوسطة والفقيرة، والمعبر عن مصالحها وأفكارها كان يثير مخاوف هذه المجموعة التي لو انتقل إلى يدها القرار بطريقة ما، ذات المنحى الآخر والهموم المختلفة، ولذلك ابعد عن السلطة للمرة الثالثة، ليست فقط بسبب انتمائه الهاشمي، ولكن بسبب

---

[١] ينظر: شمس الدين ، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص٣٢٨.

[٢] الاسكافي، أبو جعفر، المعيار والموازنة، ص٢٨٠.

[٣] جرداق، علي صوت العدالة الإنسانية ،ج١/ص٦٧.

[٤] للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤/ص٢٣٣.

أفكاره المتشددة والتزامه المطلق بالاتجاه الإسلامي...))[١].

ولهذه الأسباب وربما لغيرها فلا نبتعد عن رأي عمر بن الخطاب عندما سأله عبد الله بن عباس عن علي ε وموضعه من الخلافة فقال:((لو وليهم تحملهم على منهج الطريق، فأخذ المحجة الواضحة... والله يا بن عباس أن عليا ابن عمك لأحق الناس بها؛ ولكن قريشا لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليتحاربن))[٢].

وكان الإمام علي ε على دراية تامة بما يحيط به من المواقف، لكنه كان أمينا حريصا على المسلمين لذا أعلن موقفه بكل صراحة((لقد علمتم أني أحق بها من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة، التماسا لأجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))[٣].

إن هذه المواقف المتسلسلة والمنسجمة مع بعضها توحي بوضوح الفهم الواعي والعميق لجوهر مفهوم الإمام ε للخلافة، فهو لم ينظر إليها بمفهوم الطامح للوصول إلى قمة السلطة بأي طريق أو سلوك مهما كان نوعه؛لأنه الإمام الذي تتجسد فيه المثل العليا ويريد بناء قيم ومبادئ راسخة لإقامة المجتمع الإسلامي ودولته الشاملة بكل الأبعاد الإنسانية والدينية و الاجتماعية ،ومما يذكر عن ابن عباس قوله:((دخلت على عليّ بذي قار، وهو يخصف نعله، فقال: ما قيمة هذا النعل فقلت: لا قيمة لها، فقال: والله هي أحب اليّ من أمرتكم إلا أن أقيم حدا من حدود الله وأدفع باطلا))[٤].

وفي سبيل تحديد الملامح الجوهرية لأثر الإمام في الحكم وفقا للمنظور الإسلامي ، ولكي يجعل المجتمع على بينة وقدر كبير من الوعي كي يتفاعل مع هذا المفهوم بشكل ايجابي، فالحكم والمجتمع طرفان متلازمان، وعليه فإن((دور المجتمع موضوع السلطة هو أن يجعل حقيقة تمارس من قبل الحاكم، ومن دون ذلك لا حقيقة لموضوع السلطة ولا واقعية له، من الناحية

---

[١] بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك،ص١٠٢.

[٢] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١١٠؛ الدميري،كمال الدين بن موسى(ت٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى،(قم،١٣٧٨هـ)، ج١/ص٨١.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٦/ص١٣٣.

[٤] الزمخشري، محمد بن عمر(ت٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق :سليم النعيمي،(بغداد، ١٩٨٢م)، ص٢٣٩؛ ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي(ت٥٦٢هـ)،التذكرة الحمدونية، تحقيق :احسان عباس و بكر عباس(بيروت، ١٩٩٦م)، ج١/ص٨٦.

السياسية...))[1]، والسلطة هنا تتمثل بالإمام لذا ركز الإمام علي ε على هذا المفهوم المهم الذي يشمل طرفي المعادلة في العملية السياسية والحكم وهما الإمام والرعية حيث أكد ε :((حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل حق على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دعوا))[2].

وشدد ε في الشروط الواجب توافرها لمن يتصدى للإمامة بقوله:((ثلاثة من كنّ فيه من الأئمة صلح أن يكون إماما اضطلع بأمانته، إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون رعيته، وأقام كتاب الله تعالى في القريب والبعيد))[3].

رابعا:سياسية الإمام علي ε عند توليه الخلافة:

كان لتدهور الأوضاع السياسية التي سبقت بيعة الإمام علي ε قد ولدت واقعا مريرا بوجه سياسته في الحكم، فقد((جاء في أعقاب ثورة ولم يجئ في حالة اعتيادية، ومعنى ذلك أن البقية الباقية من العواطف الإسلامية ،كل هذه العواطف تجمعت، ثم ضغطت، ثم انفجرت في لحظة ارتفاع... وماذا ينتظر القائد الرسالي غير لحظة ارتفاع في حياة الأمة لكي يستطيع أن يستثمر هذه اللحظة في سبيل إعادة الأمة إلى سيرها الطبيعي))[4].

ويكشف الإمام علي ε عن سيرته الجهادية وتحديد أهدافها وغاياتها في ميدان الحكم وما يصبو إليه فكره ومبادئه العامة، فقال ε :((اللهمّ أنك تعلم أنه لم يكن الذي منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلوم من عبادك، وتقام الحدود المعطلة من حدودك))[5].

ولم تكن المبادئ السياسية العامة لحكم الإمام علي ε مرتبكة ومضطربة تماشيا مع الواقع المضطرب، بل كانت نفسه نفس الحاكم السياسي المعبأ بالثقة والفطنة والبصيرة وليس رجل الحكم الذي يريد أن يجرب حظه وإنما كانت له مفاهيمه الدينية والسياسية المتأصلة جذورها في العقيدة

---

[1] شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص٤٤.

[2] المتقي الهندي،ج٥/ص٣٠٤.

[3]المتقي الهندي، كنز العمال ،ج٥/ص٣٠٤.

[4] الصدر، محمد باقر، الإمام علي ε سيرة وجهاد،(بيروت،٢٠٠٣م)،ص١٥٠.

[5] الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص٢٣٨.

الإسلامية ،إذ يقول ε :((وإني على بينة من ربي، ومنهاج من نبي وأني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا))[١]، وعلى هذا الأساس والمبدئية الراسخة في سياسته قال أعداؤه أنه:((لا رأي له لأنه كان متقيدا بالشريعة ولا يرى خلافها ولا يعمل بما يقضي الذي تحرمه، وقد قال ε :لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب...))[٢].

هذا من جانب ومن جانب آخر، ومن أجل أقامة مجتمع إسلامي انموذجا ضمن حدود الحقوق والواجبات للحاكم والمحكوم قام الإمام ε بنشر هذه الثقافة بين الرعية لرفع درجة وعيها في تعاملها مع الحكومات التي تحكمهم فعرض مشروعا سياسيا،وحدد معالمه بما يأتي:((فان لي عليكم حقا وأن لكم عليّ حقا فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في المغيب والمشهد، والإجابة حتى ادعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يريد الله، تنزعوا عما أكره وترجعوا ما أحب تنالوا ما تطلبون ، وتدركوا ما تأملون))[٣].

ومن مفاهيم فكر الإمام علي ε السياسية في الحكم السعي إلى نشر العدل كون ((العدل ميزان الله في ألأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان من الرعية فقط، بل بين السلطان والرعية أيضا، فمن أزال ميزان الله الذي نصبه من القيام بالتسلط نفقد تعرض لسخط الله...))[٤].

ومن هذا المبدأ فقد((أجهد الإمام علي ε نفسه على أن يسوس الناس بسياسة مشرقة قوامها العدل الخالص والحق المرضي، وينشر الرفاه الاجتماعي ويوزع الخيرات على العباد بالسواء ، فلا يختص بها قوم دون قوم آخرين...))[٥]،فليس هناك أي حصانة لفرد اوجماعة سوى حصانة القانون المتمثل بالشريعة الاسلامية، وترجم الإمام ε ذلك بقوله:((الذليل عندي عزيز حتى آخذ

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٧/ص٥٥.

[٢] ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة،ج١/ص٥٢.

[٣] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الواحد(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٣ ،(لبنان، ٢٠٠٣م)،ج٣/ص٢٢٢.

[٤] الطرطوشي،ابو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي(ت٥٢٠هـ)، سراح الملوك،حققه: نعمان صالح الصالح، (الرياض،٢٠٠٥)، ص١٦٠.

[٥] القرشي، باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين ،(قم، ٢٠٠٢م)، ج١١/ص٢٨.

الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه))[١]. وهذا يبرهن((أن امتياز نظام الحكم عند الإمام علي ε إن السيادة فيه للحق والحق وحده...))[٢]، فمن وصاياه للرعية أمرهم بإطاعة الوالي شريطة أن يعمل بالحق فقال لهم ε :((واطيعوا أمره فيما طابق الحق...))[٣]، وسئل الإمام علي ε ذات مرة((أيما أفضل العدل أم الجود؟ فقال: العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل أشرفها وأفضلها))[٤].

ومعنى سائس عام في مفهوم الإمام ε:((أن العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وبه نظام العالم وقوام الوجود...))[٥].

فأخذت سياسة العدل من الإمام ε مأخذا آثر فيه على مركزه، فكان((صلبا في دينه لا يداهن ولا يصانع ولا يخشى في إقامة الحق لومة لائم، ولا يمنعه عن إقامة العدل رحم، أو قرابة ولا صلة ولا صداقة))[٦]، وكان نهجه فيها قبل الخلافة وبعدها على الصلابة والاستقامة نفسها، إذ((تعد انطلاقة الإمام نحو المساواة والعدل مسألة مبدئية في سلوكه اصيلة في رؤيته، فهي لم تكن ردة فعل أو استجابة لمطالب شعبية سياسية بل هي حق للإنسان...))[٧].

هذا المفهوم الشمولي للدين والقيم الإنسانية ربما كان فيه نوع من الغرابة والصعوبة في مجتمع لازالت العصبية القبلية تفعل فعلها فيه ناهيك عن السياسيات التي سبقت خلافة الإمام ε مثل سياسة شرف العطاء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٨]، واضطراب السياسة المالية في عهد الخليفة عثمان بن عفان[٩].

وحينما تسنم الإمام ε منصب الخلافة((لم تكن نظرة الإمام وسيلة للأبهة أو الإثراء غير

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص٢٢٤.

[٢] الموسوي، محسن، دولة الإمام علي ε ، ص١٩٠.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١١/ص١٨٨.

[٤] المصدر نفسه،ج٢٠/ص٧٥.

[٥] م.ن.

[٦] القضاعي، دستور معالم الحكم،ص٦٥.

[٧] السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ،تقديم: محمد اليعقوبي،(النجف،٢٠٠٦م)،ص١٦٨.

[٨] ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ص١٠٦.

[٩] ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٢٥٦.

المشروع، أو مجالا لتوزيع المناصب والجاه والنفوذ على الأصهار والأتباع وذوي القربى، وإنما هي مجال يتسنى به الإمام أن يطبق العدل على المواطنين))[١].

فكانت قوة هذه السياسة وصرامتها قد انطلقت من ذات الإمام ε وأهل بيته ليكون القدوة والمثل بين الرعية، فكان يفضل على نفسه ـ وهو الخليفة ـ مولاه قنبر فقد اشترى الإمام ε ثوبين((أحدهما أخير من الآخر، واحد بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، قال: هلمها، قال يا قنبر خذ الذي بثلاثة، قال: أنت أولى به يا أمير المؤمنين تصعد المنبر وتخطب بالناس فقال:((يا قنبر أنت شاب ولك شره الشباب وأنا استحي من ربي أن اتفضل عليك...))[٢].

ويقسم الإمام ε على تطبيق سياسة العدل مهما كانت الظروف وصعوباتها فيقول:((والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا، أو أجر في الأغلال مصفدا أحب اليّ من ألاقي الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض عباده وغاصبا كشيء من الحطام، وكيف أظلم أحدا كنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها...))[٣].ويضع الإمام علي ε نفسه ميزانا بينه وبين ابناء الخلافة الخلافة الإسلامية مضحيا بزهو المنصب وجاهه ساحقا غرور السلطة وعنجهيتها مسخرا نفسه مشروعا للحكم بالعدل والسهر عليه، مشاركا أفقر فرد من أبناء الرعية في مستوى عيشه فيقول ε :((أاقنع أن يقال: هذا أمير المؤمنين ، ولا أشركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جُشُوبَةِ العيش!...))[٤].

ومن السمات البارزة لسياسة الإمام علي ε الزهد في الحكم والحياة بصورة عامة، ومن وراء هذه السياسة يهدف الإمام ε بأن يكون الفرد المسلم صاحب رسالة ومسؤولية كبرى في هذه الحياة وبهذا الصدد يقول ε :((فما خلقت ليشغلني أمل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها ن أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها عما يراد بها، أو أترك سدى وأهمل عابثا، أوأجر حبل الضلالة أو اعتسف طريق المتاهة!))[٥].

---

[١] جعفر ،نوري، فلسفة الحكم عند الإمام، تقديم :عبد الفتاح عبد المقصود،(القاهرة،د.ت)،ص٤٧.

[٢] ابن هلال،أبو اسحاق ابراهيم محمد سعيد(ت٢٨٣هـ)،الغارات، حققه: عبد الزهرة الحسيني الخطيب،(بيروت،١٩٨٧م)، ص٦٥.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١١/ص١٨٨.

[٤]المصدر نفسه،ج١٦/ص٢٢٠.

[٥] م.ن.

ويذكر أن عليا ε قدم الكوفة وهو خليفة وعليه إزاران قطريان، قد رفع إزاره بخرقة... من ورائه فجاءه إعرابي فنظر إلى تلك الخرقة، فقال: يا أمير المؤمنين كُلْ من هذا الطعام، وألبس وأركب، فإنك ميت أو مقتول، قال:((إن هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه بسنة الصالحين قبلي، وأجدر أن يقتدي به من أتى من بعدي))[١].ثم كشف الإمام علي ε أبعاد سياسة الزهد بقوله:((هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي، إلى تخير الأطعمة ـ ولعل بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع ـ أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى...))[٢].

ومن دلالات هذه السياسة أن الإمام ε في((زهده هذا يمثل طبقة الفقراء بعيدا عن مظاهر الأبهة التي يمثلها رجال الحكم وأرباب السياسة وما يلحق بها من مساوئ ومراوغة، وكان قد رسم للمجتمع خطا سليما ومستقيما في الحياة))[٣].

وتأكيدا على مصداقية هذه السياسة لم تقف الأعراف السياسية والاجتماعية حائلا بوجه الإمام ε بأن يتوجه إلى سوق المسلمين ويعلن بيع سيفه مضطرا لعوزه المادي فينادي ε:((من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله βولو كان عندي ثمن إزار ما بعته))[٤].وكذا الحال لم يتوجه الإمام ε في سياسته نحو تشييد القصور والبناء على حساب موارد المسلمين بل زهد في مسكنه أيضا حيث عرف عنه ε((ما بنى...أجرةعلى آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة...))[٥]، وقد أصبحت سياسة الزهد عند الإمام علي ε ثابتة متأصلة، ولم تتفاوت وتيرتها بين يوم وآخرإذ((عاش علي قبل الفتوح كما عاش بعد الفتوح، عيشة هي إلى الخشونة والشظف أقرب منها إلى الرقة واللين فلم يتجر ولم يتسع، وإنما اقتصر على عطائه ليعيش منه ويرزق أهله، ويستثمر فضوله في مال اشتراه بينبع، ثم لم يزد عليه ولما مات لم تحص تركته بالألوف فضلا عن عشراتها أو مئاتها

---

[١] الطرطوشي، سراج الملوك،ص٣٦٦.

[٢] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٦/ص٢٢٠.

[٣] الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي بن أبي طالب ε روح الإسلام الخالد، ص٨٨.

[٤] ابن الجوزي،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٠٨هـ)، صفوة الصفوة، (بيروت،١٩٩٢م)،ج١/ص١٣٣.

[٥] ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، ج٤٥/ص٣٦٩؛ ابن الأثير،أسد الغابة، ج٤/ص١١٢.

أوالملايين...))[١].ويعطي الإمام صورة توحي بطبيعة حياة الزهاد في هذه الدنيا بقوله:((كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها فكانوا كمن ليس فيها))[٢]،أي بمعنى أنهم قد تجردوا من الأنانية وروح التملك، ولم يكونوا أسارى أمام النزوات والغرائز، فلا يملكون شيئا في هذه الدنيا ماديا أكان أم معنويا فكانت أحوالهم ((حال من أنفك رقبته عن أسر الزمان والمكان وتكون زهادته طبعا لا تكلفا...))[٣].

ويقول الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(١٠١ هـ):((ما علمنا أن أحدا كان في هذه الأمة بعد النبي β أزهد من علي بن أبي طالب))[٤].

ومن أجل النهوض والارتقاء بواقع الأمة الإسلامية فاض فكر الإمام علي ε السياسي للحكم بصياغة وثيقة شاملة لكل جوانب الحكم في إطار إسلامي يستند إلى مبررات تشريعية دينية ومعايير إنسانية أخلاقية منظم شؤون الحياة السياسية والإدارية والعسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية، وتظهر الحكمة والحنكة في تنظيم هذه الوثيقة إذ أصبح((يوافق طبيعة البشر أجمعين حكاما ومحكومين على اختلاف الزمان والمكان...))[٥].

ومن بعض بنود هذه الوثيقة مفاهيم تظهر البعد الديني، المتمثل بالتقوى ومخافة الله سبحانه وتعالى وأن يكون رأس كل عمل وميراثه به، فأمر ε بما نصه:((بتقوى الله وإيثار طاعته وإتباع ما أمر به في كتابه من فرائض وسنة...))،وفي الجانب السياسي فإن الإمام علي ε يوصي بالمرونة السياسية والنهي عن التطرف وما يؤول إليه من نتائج وخيمة فيؤكد ε:((وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق، وأعمها في لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع العامة))[٦].

ودعا الإمام علي ε إلى السياسة الملتزمة بأخلاقيات الدين الإسلامي، ومنها الوفاء والأمانة

---

[١] حسين ، طه، الفتنة الكبرى،ج١/ص١٥٤.

[٢] البيهقي،علي بن زيد(ت٥٦٥هـ)،معارج نهج البلاغة، تحقيق:أسعد الطيب،(قم، ١٤٢٢هـ)،ج١/ص٦٧٣.

[٣]البيهقي،المصدر نفسه،ج١/ص٦٧٣

[٤] الخوارزمي،أبو المؤيد الموفق أحمد بن محمد البكري (ت٥٦٨ هـ) ،المناقب،قدم له: محمد رضا الموسوي الخرسان،(النجف،١٩٦٥م)،ص٦٦.

[٥] عبدالمقصود، الامام علي (ع) ، ج٤/ ص١٤١ .

[٦] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٢٦.

[٥] المصدر نفسه، ج١٧/ص٢٩.

في العقود والعهود التي تعقدها الدولة فيقول:((وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة ألبينة منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء وارعَ ذمتك بالأمانة))[١].

أمّا بخصوص سياسة اغتنام الفرص التي تخدم مصالح الدولة فدعا ε :((ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك لله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك...))[٢].

وللعلم والعلماء موقع ممتاز في بنود هذا العهد، في سبيل تحقيق النهوض بالواقع السياسي والعلمي في البلاد بشكل علمي مدروس عن طريق تقدير العلماء بتقريبهم وفسح المجال لهم واستثمار طاقاتهم في خدمة البلاد والمجتمع فيوعز ε بالآتي:((وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس ميلك))[٣].

ويشخص الإمام علي ε بعدا آخر مهما ـ وهي في الأغلب ـ، تكون من أمراض بعض الحاكمين في الدولة وفي عدم معالجتها سوف تبني حاجزا بين الحاكم الراعي والرعية لذا نهى الإمام ε أن تخالج نفس الحاكم آفة التكبر وتأخذه سياسة العنجهية في السلطة من خلال مغريات الحكم، لأن مثل الإسلام لا تسمح بذلك وإن الرعية هم مادة الحكم فيقول ε :((ولا يرغب عنهم تفضيلا بالإمارة عليهم فإنهم الأخوان في الدين، والأعوان على استخراج الحقوق))[٤].

هذه بعض المواد والقوانين الدستورية التي صاغها فكر الإمام علي ε وسعى جاهدا في سبيل تطبيقها سواء في عصر حكمه أو لمن يأتي بعده، زد على ذلك كونها مثلا لكل حاكم أو سياسي سواء في المجتمع الإسلامي أو المجتمع الإنساني لأنها بحق نظرية سياسية شاملة نبعت من((التفكير العربي الإسلامي في تدبير البلاد والممالك من أصول حكيمة وأنظمة صحيحة محكمة...))[٥].

وربما يمكن أن توضع أبعاد سياسة الإمام علي ε في الحكم ما بين الرأفة والرحمة،

---

[٦] المصدر نفسه، ج١٧/ص٨٢.

[٢] الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٥٦٥.

[٣] م.ن.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥/ص١٢٠.

[٥] الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، ط٣، (بغداد، ١٩٩٠م)،ص٥.

وصرامة السيف كل يعطيه حقه في سياسته ففي باب العمل بالرحمة والرأفة يقول ε :((والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلبة شعير ما فعلت...))[١]، وعلى الضد من ذلك ربما يستدعي الحال إلى سياسة الحزم بصلابة وجلادة نفس منقطعة النظير لإحقاق حق أو تقويم انحراف ، فالجهاد بالسيف يكون هو الفيصل والحكم، ففي معركة صفين[*] وفي ليلة الهرير وحدها ـ على ما ذكرت المصادر بأن الإمام ε ـ((أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب...))[٢].

وعلى ضوء هذه السياسة والمؤشرات توحي بأنه((لم تكن سلطة علي تكوينا سياسيا ناجما عن وحي الساعة بعد اختياره خليفة للمسلمين، بل هي محصلة مؤكدة لأفكاره عن السلطة ودورها في تجسيد مصالح المسلمين ومجتمعات الدولة الإسلامية))[٣].

ولم تكن سياسة الإمام علي ε في الحكم بحدود حفظ الدين ورعايته في بلاده وعباده وكرامة الإنسان ، بل تتعدى البيئة الطبيعية وما تحويه من كائنات حية، فحث εعلى حمايتها والمحافظة عليها لارتباطها بالحياة العامة، مثل الحيوانات فأناط بتلك المسؤولية للولاة والعمال بتوصيتهم بها فقال:((فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم...))[٤].

خامسا: المعارضة السياسية في فكر الإمام علي ε :

١- المعارضة، الإطار العام والمفهوم:

إن من صميم العقيدة الإسلامية أن يعيش الإنسان حرا، وعليه تقع مسؤولية المحافظة واحترام هذه الحرية عن طريق نشاطه الإنساني والرسالي في التفاعل والمشاركة الجادة في الحياة العامة، وقد عد القرآن الكريم ((الجماعة التي تقبل بالظلم وتستسيغ السكوت عن الطغيان بأنها ظالمة لنفسها ويعتبرها مسؤولة عن هذا الظلم ومطالبة برفضه بأي شكل من الأشكال ولو بالهجرة

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص٢٢٤.

[*] صفين:(بكسرتين وتشديد الفاء..وهو موضع بقرب الرقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالسمار..)، ياقوت، معجم البلدان،ج٥/ص١٩٥.

[٢] ابن أبي الحديد، المصدر نفسه،ج١١/ص١٨٨.

[٣] الزبيدي،عبد الرضا،الرسائل السياسية بين الإمام علي ε ومعاوية،(د.ب،٢٠٠٠م)،ص٣٢.

[٤] ابن كثير،أبو الفداء الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية،دقق أصوله وحققه: أحمد ملحم وآخرون،(بيروت،د.ت)، ج٧/ص٢١٢.

أو الانفصال إذا تعذر التغيير...))[1]،ويستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

ومن أساليب المعارضة التي خاضها الأنبياء والرسل مع الأنظمة السائدة التي في الأغلب ما تستند في طبيعتها العقائدية على الموروثات الاجتماعية المتعاقب عليها من الأجداد إلى الأبناء، وبإزاء هذه الأوضاع اتبع الأنبياء والرسل أسلوب المجادلة الهادئة على ضوء التوجيه القرآني بقوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] و:﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[4] ، وقوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[5].

ثم هناك الإشارة إلى أسلوب الاعتراض فجاء في قوله تعالى:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6] ، وقوله جلّ شأنه:﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[7] ، ثم ثم ارتقى الفكر الإسلامي فوضع قاعدة تعطي الاشارة لكل فرد أو جماعة الحق بالتغيير عن طريق حرية التعبير عن الرأي، فأمر الله عزّ وجلّ المسلمين بقوله تعالى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

---

[1] الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة ، ص١٢٦.

[2] سورة النساء، آية :٩٧؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران ،ج٥/ص٢٣٧.

[3] سورة النحل، آية :١٢٥؛ الزمخشري، الكشاف ،ج٢/ ص٦٠١.

[4] سورة هود، آية :٣٢؛ الزمخشري، الكشاف ،ج٢/ص٣٧٠.

[5] سورة لقمان، آية: ٢٠؛ الزمخشري، الكشاف ، ج٣/ص٥٠٥.

[6] سورة الحجر، آية :٩٤؛ الزمخشري، الكشاف ،ج٢/ص٥٥٢.

[7] سورة الأنعام، آية :١٠٦؛ الزمخشري، الكشاف ،ج٢/ص٥٣.

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال عز من قال:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

من هذه الثوابت التي أرسى أسسها القرآن الكريم والتربية النبوية عن طريق صحبة رسول الله β ،وكان الإمام علي ε في طليعة الثلة القليلة المؤمنة من الصحابة التي امتلك القدرة العالية والقابلية الفكرية في إدارته إلى الحوار والإقناع باتجاه التغيير.

ففي السنة الثامنة للهجرة وعندما أرسل الرسول β خالد بن الوليد(ت٢١هـ) إلى بني جذيمة بن عامر وغدره بهم و((قتلهم أسوأ قتل...))[3]،

حتى قال الرسول β :((اللهمّ أني أبرأ إليك مما صنع خالد))[4]، ونتيجة لحراجة الموقف ونتائجه على الدين الإسلامي ولمعالجة هذا الصنع المخالف لأخلاق الشريعة الإسلامية بادر الرسول β لاختيار الإمام علي ε ممثلا عنه لما يتمتع به من الكفاءة والقدرة الفكرية والإلمام بالشريعة الإسلامية وفن الحوار، فقام الإمام ε بهذه المهمة على أحسن وجه وكسب رضا بني خذيمة((فودي لهم الدماء وما أصيب من الأموال، حتى أنه ليدي مليغة الكلب، حتى إذا لم يبقَ شيء من دم ولا مال إلا وداهن بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي ε، حين فرغ منهم هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ اليكم قالوا :لا، قال:فإني أعطيكم هذه البقية من المال احتياطا لرسول الله β مما يعلم ومما لا تعلمون فقيل، ثم رجع إلى رسول الله β فأخبره الخبر، فقال: أصبت ،أحسنت))[5].

---

[1] سورة آل عمران، آية: ١٠٤؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران،ج٤/ص١١٤.

[2] سورة لقمان، آية: ١٧؛ الزمخشري، الكشاف ، ج٣/ ص٥٠٣ .

[3] ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ)، المحبر، اعتنت بتصحيح الكتاب: ايلزة ليختن شنيتز، (بيروت ، د.ب) ، ص١٢٤.

[4] للمزيد ينظر: اليعقوبي،تاريخ ،ج٢/ص٤٠.

[5] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٦٧.

وكانت بعثة الإمام علي ε إلى اليمن من قبل رسول الله β سنة عشر للهجرة[١]، دليلا على تلك القابلية وإدارة فن الحوار والمجادلة فقد((أسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله β فلما قرأ الكتاب خرّ ساجدا))[٢].

٢ـ في عهد الخليفتين أبو بكر وعمر بن الخطاب(١١-٢٣هـ):

بعد أن انطبع الواقع العام للدولة الإسلامية في العهد الراشدي بطابع التكتلات المتقاطعة من حيث نظرتها للخلافة ولنصوص القران الكريم والسنة النبوية الشريفة فظهر على الواقع السياسي والاجتماعي للدولة الإسلامية طابع الانقسام والمعارضة ، ولكن((ليس من السهل القول أن المعارضة التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية في العهد الراشدي كانت خاضعة للعامل الواحد بأنواعه سياسيا اقتصاديا اجتماعيا أو دينيا))[٣].

ومن بين هذه العوامل اوالدوافع كانت معارضة الإمام علي ε تنطوي تحت الدافع الديني الذي كان يحركه، ويظهر ذلك جليا عندما كان يفصح عن كوامن نفسه في السر والعلن بقوله:((أما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة،وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوبا...))[٤].

ولم يكن الإمام علي ε وحده يؤمن بهذا، بل كان بنو هاشم ومن معهم من المهاجرين والأنصار الذين يرون الحق والشرعية بالخلافة لعلي بن أبي طالب ε ، فالتف هؤلاء حوله[٥] ،وأصبح الإمام ε الرمز بكل معاني الرمزية لتلك الحركة المعارضة[٦].

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية،ج٤/ص٢٣٨، ٢٠٥.

[٢] ابن سيد الناس، أبو الفتح بن محمد بن محمد(ت٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، حقق نصوصه: محمد العيد الخطراوي و محيي الدين ستو،(بيروت، ١٩٩٢م)، ج٢/ص٣٥٨.

[٣]الحسناوي، ختام مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية ،ص١٣٥.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١/ص١٥٤.

[٥] ينظر:اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص٨٤، ٨٥.

[٦] الحسناوي، ختام مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية ، ص٤٧.

وأصبح للمعارضة كيان له معالم ومفاهيم بقيادة الإمام علي ε الذي رفع راية المعارضة((منذ وفاة الرسول β واستمرت في عهد الخلفيتين أبو بكر وعمر بن الخطاب وتصاعدت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان...))[١].

وهكذا أخذ الإمام ε بالتنظير لصياغة القيم والمفاهيم السياسية والفكرية للمعارضة المستوحاة من صميم الشريعة الإسلامية وما رسمه القرآن لكريم بقوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢]، ليصبها في الإطار العام لبرنامج سياسة المعارضة فيجسدها على أرض الواقع نظرية إسلامية ديمقراطية شاملة لكل الأبعاد الدينية والسياسية و الاجتماعية واشاعة ثقافتها بين أفراد وكيانات المجتمع الإسلامية لتحصين حقوقهم وحقوق الأمة فبدأ الإمام ε في إشاعة هذه الثقافة بنفسه فخاطب ولده الحسين ε :((يا بني وما يبالي أبوك لو أن الخلق خالفوه إذا كان على الحق وهل الخير كله...))[٣].

ثم تكون أسرته الميدان الثاني لترسيخ سياسة المعارضة الإسلامية الواسعة في وصيته لأبنه الحسن ε بقوله:((وأمر بالمعروف تكون من أهله، وأنكر بيدك ولسانك وتأبى من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم))[٤]. ومن أجل تعميم وتوسيع هذه القاعدة لتكن وظيفة يمارسها المجتمع بشكل عام ويأخذ دوره في((حرية النقد والاعتراض))[٥]، ولضمان حرية التعبير عن الرأي وصيانة إنسانيته من دون التجاوز على مصلحة الأمة والآخرين ضمن رؤية سياسية واجتماعية للحاكم والمحكوم بقوله:((رحم الله امرأ رأى الحق حقا فأعان عليه ورأى جور فرده، وكان عونا للحق على مخالفه))[٦].

وينتقل الإمام علي ε إلى صيغة الأمر لمواجهة كل منحرف ومتجاوز على حقوق الإنسان

---

[١] السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ،ص١٤٦.

[٢] سورة آل عمران، آية : ١١٠؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران،ج٤/ص١٠٨ .

[٣] الطرطوشي،سراج الملوك، ص٤٦٩.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٦/ص١٥.

[٥] ينظر: الحسناوي ،ختام مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية ، ص١٢٩.

[٦] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٦٧/ص٤٣.

والأمة بصورة عامة لقطع دابر الاستبداد والمستبدين ومنعهم من الظهور في المجتمع الإسلامية، فيعطي لنا صورة لأهمية الكلمة والحضور الدائم بإبداء الرأي مهما يكلف الأمر، فيقول الإمام ع :((وما أعمال البر كلها في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كسفينة في بحر لجي... وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر))[١].

إن هذه السياسة والثقافة تدعو لانتشال المجتمع الإسلامي من دور المتلقي المذعن إلى دور التفاعل مع نظم حركة الإنسان وأحداثها، ويعدّ هذا التعميم بليغا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛لأنه ربما يغني الأمة والمجتمع عن كثير من العواقب الوخيمة عند انبساط الأمور واستقامتها بفضل حالة التفاعل الواعية والمراقبة المستمرة على أن تكون((هذه المراقبة تصدر ـ غالبا ـ عن وعي ومسؤولية الأمة في ذلك ووجوب تصديها واعتراضها إذا ما رأت منكرا...))[٢].

وعلى هذا الاساس اتخذ رمز المعارضة وقائدها موقفا وقرارا جريئا لا يمكن أن يصدر عن معارض ولاسيما إذا حصل على قوى مساندة تقوي موقفه، فعندما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان للإمام ع يحرضه على اتخاذ إجراء قوي مضاد للبيعة ويضمن له توافر الإمدادات اللازمة، لكن الإمام علي ع وضع مصلحة الأمة الإسلامية فوق مصلحته الذاتية، وغلق بوجهه باب الفتنة بتعنيفه وردعه وقال له:((أنك لا تريد الله وما أردت بهذا إلا الفتنة وأنك طالما بغيت الإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك))[٣].فلم يغتنم الإمام هذه الفرصة بل اتسمت معارضته بالطابع السلمي، ودعم الخلافة بالذات على الرغم من رؤيته وإحساسه أنه((مدفوعا عن حقه.. ومع هذا اليقين في حقه وحق غيره ،نرجع إلى سيرته وأحاديثه.. فترى أنها أقل ما تشعر به لنفس الإنسانية في هذه الحالة النفرة والنقمة ولا نجد في خطته ومساجلاته الذي ذكر فيها الخلفاء السابقين كلمة تشعر من مثله أو يجاوزها حد الحجة التي تنهض بحقه... بل الغريب أنه لزم الحد ولم يتجاوزه إلى حجة غضب تفلت معها بوادر اللسان ولو جاوزه لكان عاذروه أصدق من لائميه...))[٤].

ووفقا لهذا المنظور كان زعيم المعارضة فوق ميوله واتجاهاته الشخصية أو المحور الذي كان يمثله عندما تكون سياسة السلطة الحاكمة لا تتنافى مع المبادئ الأساسية للدين الإسلامي.

---

[١] المصدر نفسه، ج١٩/ص٢٥٢.

[٢] الحسناوي، ختام مزهر،المعارضة في الدولة العربية الإسلامية، ص١٧٧.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٢٠٩.

[٤] العقاد، ، عبقرية الإمام علي ع ،ص١٨١.

وكانت الرمزية القيادية والعقائدية[١] مطبوعة وواضحة في سياسته المتوازنة بين أهداف الإسلام وسياسة السلطة، ومفهوم معارضته بـ((أن تبقى في اطار النظام السياسي المعمول به في نظام الحكم فلا يكون هدفها تعويض أسس هذا النظام واستبداله بنظام لا ينسجم مع الأسس الإسلامية والشرعية التي يريدها الإسلام في كلمة المستمدة من القانون الإلهي وكون الحاكمية الفعلية هي لله تعالى وحده...))[٢].

ومن هذا المفهوم اتخذ الإمام ε سياسة دعم الخليفة ودولته واتخذ قراره الذي تضمن:

* إنهاء عزلته ومبايعة الخليفة أبي بكر.

* دعم الخلافة الإسلامية ضد الأخطار المحدقة بها[٣].

ويعلل الإمام ε مسوغات قراره ودوافعه بقوله:((فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد β ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلما أو هدما تكون فيه المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم...))[٤].وهذا الموقف لم ينم عن فراغ،ولكن تعرض الأمة الإسلامية لأخطار كبيرة لا يمكن أن يستغل المعارض الواعي المسؤول، ذلك عندما تنبأ العرب((كمسيلمة وسجاح وطلحة بن خويلد وما نعي الزكاة، وإن كانوا ما نعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردة أم لا))[٥]،وكان ذلك في بداية خلافة أبي بكر، فخشي الإمام ε على مصير الدين الإسلامي.

وعلى هذه الأسس ثبت الإمام ε قواعد سياسته المعارضة التي اتخذت مواقف الدعم والتقويم البناء وليس التقاطع والتناحر، فقام بتقديم النصح والمشورة مادام الأمر ينصب بمصلحة الامة الإسلامية وعندما((أراد أبو بكر أن يغزو الروم، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبي طالب،فأشار عليه أن يفعل،فقال: إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بخيرا، فقام أبو بكر خطيبا في الناس وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم...))[٦]، هذا في الجانب

---

[١]الحسناوي، ختام مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية،ص٤٧.

[٢]سبيتي، علي يوسف، المعارضة في الإسلام ،(بيروت، ٢٠٠٢م)، ص١٨٦.

[٣] ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص١١٩.

[٤] م.ن.

[٥] المصدر نفسه،ج١٧/ص١١٧.

[٦] اليعقوبي، تاريخ،ج٢/ص٩٠.

السياسي أمّا في الجانب الفقهي والقضائي فيذكر أنه ((كان من يؤخذ الفقه عنه في أيام أبي بكر،علي بن أبي طالب...))[١].

ويلتزم الإمام ε بنهجه وسياسته الواعية على الرغم من عدم الالتفات إلى حقه الشرعي في الخلافة إذ تجاوز الخليفة أبو بكر ذلك الحق واستأثر بالعهد إلى الخليفة عمر بن الخطاب من دون مشورة المسلمين[٢]، ومع ذلك فلم يصدر منه أي إجراء سياسي سلبي ضد الخلافة لكنه ظل محتفظا برأيه في حقه ولم يتنازل عنه ويتضح ذلك في قوله ε :((حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده.. فياعجبا ابينا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته !لشدة ما تشطر ضرعيها... فصبرت على طول المدة وشدة المحنة))[٣]، والصبر هنا ليس الوهن والضعف بل((من عناصر الشعور بالمسؤولية وأداؤها لله تعالى بأمانة هو الصبر فالصبر من الإيمان... ومن لا صبر له لا ايمان له))[٤].

وبدافعه الديني النابع من أعماق روحه وإيمانه اتخذ نفس السياسة التقويمية المعارضة السائدة للدولة الإسلامية، ومن ذلك الدعم السياسي، فقدم للخليفة نصيحة تضمنت جوهر الحكم الإسلامي وخلاصته، فقال لعمر بن الخطاب:((ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفيتك ما سواهن، وإن تركتهن، فلا ينفعك شيء سواهن، فقال: ما هن؟ فقال: الحدود على القريب والبعيد والحكم بكتاب الله في الرضى والسخط والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود فقال عمر: أبلغت وأوجزت))[٥].

وفي مواقف وظروف غاية في الخطورة مرت بها الدولة الإسلامية لم يتبادر إلى ذهن الإمام ε أنه مسلوب الحق فيستغل الدولة أو يتركها ويعتزل على أقل تقدير، لكن إخلاصه ونبل أخلاقه وصدق انتمائه للإسلام ظهر على تفاعله في كل ساحات الدولة الإسلامية مدافعا بالكلمة في آن وفي السيف في آن آخر وقد عرف عنه منذ بداية الدعوة الإسلامية ويصف الامام ε ذلك الصدق

---

[١] المصدر نفسه، ج٢/ص٩٥.

[٢] لمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٨/٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١/ص١٦٤-١٦٥.

[٣] ابن مردويه،أبو بكر أحمد بن موسى(ت٤١٠هـ)، مناقب الإمام علي بن أبي طالب ε وما نزل القرآن في علي، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق حرز الدين، ط٢،(قم، ١٤٢٤هـ)،ص١٣٤.

[٤] الصدر، محمد باقر، المجتمع الفرعوني، (النجف الاشرف ، ١٤٢٤هـ)، ص١٠٠.

[٥] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤٤.

وآثاره بقوله:((ولقد كنا مع رسول الله β تقتل آبائنا وأخواننا وأعمامنا، ما يزيد ذلك إلا ايمانا وتسليما... فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام))[١].

وبعد معركة القادسية في سنة(٢١هـ)، أنذر شبح خطر الحشود الفارسية على أطراف الدولة الإسلامية عندما((زحف للمسلمين زحف لم يزحف لهم بمثله قط، زحف أهل ماه وأهل أصبهان وأهل همدان وأهل اري وأهل قومس وأهل أذربيجان وأهل نهاوند...))[٢] ، ولما وصل خبر الزحف إلى الخليفة أدهش وعرض الأمر على الصحابة للمشورة عليه بآرائهم لمواجهة هذا الخطر، فأشار إلى علي ε ،وقد كان ساكتا فناشده الخليفة عمر بن الخطاب بإبداء رأيه، وبالفعل عرض الإمام ε رأيه ونصيحته((مادام مقام الخلافة هو رمز الإسلام ووحدة المسلمين وقوتهم فهو لا يرى مانعا من النصح للخليفة... من منظار خصوم المسلمين والذين هم الروم والفرس وهم ليسوا خصوما لفئة دون فئة من المسلمين ولا يعنيهم من قريب أو بعيد أمر الخلافة والخلاف عليها،بل الذي يعنيهم هذا الدين الجديد وخطره الداهم عليهم والمحدق بهم، وأنه كيف يمكنهم من هذا الخطر؟))[٣].

وكانت نصيحة الإمام ε قد تضمنت خطة سياسية عسكرية محكمة راعى فيها ظروف الدولة الإسلامية من القيادة إلى الوضع الأمني والعسكري الداخلي والخارجي، وأعجبت الخليفة الخطةوعمل بها،وكان النصر حليف المسلمين[٤]،وهناك نصيحة اخرى قدمهاعند غزو الروم[٥].

وله ε إسهامات في الجوانب الأخرى، ومنها العلمية والقضائية عندما يتطلب الأمر تدخله،ومنها ما تعجز الواجهة القضائية عن حلها، أو يحرج الخليفة نفسه فيكون الإمام ε المنقذ ليدفع ذلك العجز ورفع ذلك الإحراج وإزالة الابهام والغموض عن تلك المسائل حتى لا يسمح بتأسيس الأحكام والبناء على الجهل أو خارج حدود الشريعة الإسلامية ، ولاسيما وهم في عصر التأسيس والبناء، للدين و الدولة، وقد أقر الخليفة عمر بن الخطاب تلك المواقف في أكثر من

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢/ص٢٦.

[٢] ابن خياط،العصفري(ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، حققه وقدم له: سهيل زكار،(بيروت،١٩٩٣م)،ص١٠٤.

[٣] سبيتي، يوسف علي، المعارضة في الإسلام، ص٥٥,٥٧.

[٤] ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ١٠٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٨/ص٢٢٧.

[٥] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤٤، ١٤٥.

مناسبة وقال:((أعوذ من معضلة لا علي لها))[١]،و((لولاك لافتضحنا))[٢]، وهناك أنشطة كثيرة أخرى أسندت وقومت دعائم الدين و الدولة الإسلامية[٣].

وربما كان للمشاركة الواسعة الواضحة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ولاسيما أثر زعيم المعارضة بارزا وكذا بالنسبة لبعض اعضائها في المشاركة الفعالة في الحياة السياسية، ويذكر ان((ظهر من عمر ما لم يظهر من أبي بكر ولا عثمان بعده، إذ استعمل رجلين من أخص أصحاب علي الداعين إلى امامته جهرة...))[٤]، فقد استعمل عمارا على الكوفة[٥]، وسلمان على المدائن[٦]، هذا على الرغم من أن عمر((كان شاعرا على الدوام أن عليا لم ينسَ حقه الأول ولا نسي استئثارهم به))[٧].

ومع هذا التوافق السياسي لكن المعارضة لم تكن مستعدة للتنازل عن مبادئها تجاه أي انحراف خطير في سياسة الخلافة، بل كانت على استعداد للمواجهة المسلحة مع حكومة الخلافة،ويتضح ذلك من مواقف الإمام علي ε زعيم المعارضة في اعتراض جرى على الخليفة عمر بن الخطاب وهو يخطب بالمسلمين ويقول:((لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟... فسكتوا، فقال: ذلك ثلاثا، فقام علي ε فقال: يا عمر إذن كنا نستتيبك فإن تبت قبلناك، قال: فإن لم أتب، قال: فإذن نضرب الذي بين عينيك...))[٨].

٣ـ المعارضة السياسية في عهد الخليفة عثمان(رض):

أن سياسة المعارضة السلبية في عهد الخلفيتين أبو بكر وعمر((لا تعني أن صورة الإسلام كانت سوية ومستقيمة بشكل عام في عهد الخليفتين وإنما كان هناك انحراف لكنه لم يكن كبيرا بالقدر الذي يستفز الإمام ويدفعه إلى الصدام له... وعندما جاء عثمان برز الانحراف بصورة

---

[١] ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأنمة،ص٣٤.

[٢] الزمخشري، ربيع الابرار، ص٢٦.

[٣] ينظر: ابن سلام،أبو عبيدة القاسم(ت٢٤٤هـ)،الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس،(بيروت،١٩٨٦م)،ص ٦٤؛ الشيخ المفيد،محمد بن النعمان الكعبري (ت٤١٣هـ)، الإرشاد،ط٣ ،(بيروت،١٩٧٩م)،ص١١٠؛ المتقي الهندي، كنز العمال،ج٥/ص٣٣.

[٤] عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي السياسي،ص٣١٥.

[٥] ابن خياط، تاريخ ابن خياط،ص١١٠.

[٦] المسعودي، مروج الذهب،ج٢/ص٣٥٤.

[٧] عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص٣١٥.

[٨] الخوارزمي،المناقب،ص٥٢.

تجاوزت الحدود التي وقف عندها الشيخان وتعدى حدود الحكم ليصل إلى الإسلام، وهنا تغير موقف الإمام وشيعته وانتقل به من المعارضة السلبية إلى المعارضة الايجابية...))[١].

وكان اختيار عثمان للولاة والمستشارين بداية الانحراف لدولة الخلافة فقد((خص أهل بيته من بني أمية وجعل لهم البلاد وخول لهم العباد، وحمل أهل الجاهلية والمؤلفة قلوبهم على رقاب الناس حتى غلبوا على أمره، فأنكر الناس ما رأوا من ذلك معاتبوه فلم يعتبهم وراجعوه فلم يسمع منهم...))[٢].

ولم يكن لرجل مثل الإمام علي ع له سابقته وفضله [٣]وحرصه على الدين الإسلامي أن تتوارى تعاليمه عن المجتمع، وهو يواجه أحداثا خطيرة سببها الانحراف عن سياسة الخلافة الإسلامية الراشدة، التي أخذت تطفو يوما بعد يوم على الساحة السياسية والدينية في دولة الخلافة الإسلامية، فكانت للإمام ع سياسته ومواقفه للتصدي لتلك الانحرافات تتناسب وحجم الانحراف مع الأخذ بالحسبان وجوب المحافظة على هيبة دولة الخلافة الإسلامية.

وقد كان الفكر الديني هو المحرك في تلك السياسة ، ففي الحوار الذي دار بين بعض أقطاب هذا المحور الإسلامي المتشدد يظهر بوضوح الطابع الديني لهذا المحور، وذلك عند لقاء التوديع للصحابي أبي ذر الذي نفاه الخليفة عثمان إلى الربذة[*] فقال له الإمام ع :((إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك...))[٤].

وهكذا يستشف من كلام الإمامين الحسين والحسين(عليهما السلام) والصحابي عمار بن ياسرعند توديعه له بقوله:((أما والله لو أردت دنياهم، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك...))[٥].

وعند تصاعد الأحداث كان دافع الإمام ع واحدا ، لكن مواقفه تعددت لتنسجم مع كل موقف زد على ذلك أنه لا يريد أن يكون معارضا سلبيا بل معارضا تقويميا وتوفيقيا في بعض الأحيان

---

[١] الورداني ، صالح، السيف والسياسة، ص٩٣.

[٢] ابن عقدة الكوفي، أبو العباس أحمد بن محمد سعيد (ت٣٣٢هـ)، فضائل أمير المؤمنين، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ،(قم، ١٤٢١هـ)،ص٩٠.

[٣] ينظر: ابن عساكر،تاريخ دمشق الكبير، ج٤٥/ص٣٠٠،٣١٥؛ ابن سيد الناس، عيون ألأثر، ج١/ص١٨٠.

[*] الربذة: (من قرى المدينة على ثلاثة أميال... وبهذا الموقع قبر أبي ذر الغفاري(رض)، واسمه جندب...)، ينظر: ياقوت، معجم البلدان،ج٤/ص٤٦٣.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨/ص١٩٣.

[٥] م.ن.

وبصورة عامة فإن الباحث يستطيع أن يحدد اتجاهين لسياسة الإمام علي ε في المعارضة في هذه المرحلة وهي:

أ ـ سياسة التخذيل والتهدئة:

إنّ نظرة الإمام ε ثاقبة إلى هذه الأحداث وما ستؤول اليها النتائج الوخيمة على مستقبل المسلمين ودولتهم، وقد حاول ε عدم مساندة الثوار ، وتخفيف حدة التوتر في أجواء الفتنة ، وسعى جاهدا إلى تخذيل الثوار خدمة لمصلحة المسلمين العامة، ففي محاولة من الثوار لاستمالة موقف الإمام ε لصالح ثورتهم ضد النظام السياسي للخلافة، وعندما أقبل عليه أهل مصر المستنكرين سياسة واليهم، فقالوا للإمام ε :((ألم ترَ إلى عدو الله كتب فينا... وأن الله قد احلّ فقالوا له ((قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، قالوا: أفلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما أكتب إليكم كتابا فنظر بعضهم إلى البعض...))[1]. ويذكر مصدر آخر أن الإمام ε ((لقي جماعة من المصريين ... فسلموا عليه، وعرضوا أمرهم، فصاح بهم وطردهم...))[2].

وتتجلى هذه السياسه باتجاه التخذيل لحركة المعارضين من سياسة الخليفة وذلك عندما مارس طلحة(ت٣٦ هـ) سياسة التصعيد والقسوة ضد الخليفة عثمان ولم يكن بدا من الخليفة الا الاستغاثة بالإمام علي ε وشكا له ما كان من أمر طلحة، فاستجاب الإمام ε إلى طلبه وتوجه لتأنيب طلحة وتخذيله، وإحباط مشاريعه السياسة ضد الخليفة، ويذكر أسامة الذي اصطحبه الإمام بقوله:((فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي رحاس من الناس ـ فقام عليه فقال: يا طلحة[*] ما هذا الأمر الذي وقفت فيه؟ قال: يا ابا حسن بعدما مس الحزام الطيبين !! فانصرف علي ولم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوا الباب فلم يقدر على المفاتيح، فقال: اكسروها، فقال: أخرجوا المال، فجعل يعطي الناس فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده، وبلغ عثمان الخبر

---

[1] ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص١٢٤؛ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤/ص٣٣.

[2] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢/ص١١٣؛العمر، سمير صالح حسن، عثمان بن عفان(رض)،سيرته ودوره السياسي، ص١٩٧.

[*]((طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد، من السابقين للإسلام شهد أحدا ودافع عن رسول الله β... قتل طلحة بن عبيد الله ... يوم الجمل ... سنة ست وثلاثين سنة، وكان يوم قتل ابن أربع وستين سنة)) ، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ص١٦٠.

فسر بذلك...))[١].

واستمرت جهود ونهج الإمام ε بسياسة التهدئة في محاور المعارضة الاخرى عن طريق التوسط بين أهل مصر الناقمين من سياسة واليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح(ت٣٧هـ)، وقام ε بالتفاوض مع الطرفين وعرض مطاليب المعارضين على الخليفة ، عسى ان تفلح هذه السياسة باقناع الخليفة وطالبه بالاستجابة، فقال لعثمان:((إنما يسألونك رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما فاعزله واقضِ بينهم أن وجب عليه حق فأنصفهم منه، فقال: اختاروا رجلا أوليه عليهم))[٢].

وعندما ازداد الأمر تعقيدا، وذلك عندما انطلق أهل مصر متوجهين إلى مصرهم فعثروا وهم في الطريق على((أربس غلام عثمان...))[٣]، وهو يحمل كتابا مغايرا لكتابهم، مرسلا إلى((ابن أبي سرح إذا قدم عليك أهل مصر فاقتل فلانا وفلانا...))[٤]. وبإزاء هذا الكتاب زادت أجواء المدينة بالاضطراب والتوتر، وتأتي هنا سياسة الإمام ε للتصدي الخطير محاولا امتصاص نقمة الثوار بالتوسط بينهم وبين الخلفية مرة أخرى وعرض الأمر عليه،((فدخل علي على عثمان(رض) فقال: رددتهم عنك ثم اتبعتهم بهذا الكتاب، فقال: ما كتبت، ولا علمت ، ولا أنت عندي ببريء من هذا ألأمر فخرج عليّ...))[٥]، ويؤشر ذلك الى سياسة الخليفه المضطربه التي لم تكن بمستوى الأحداث وبدل أن يتلافى الموقف بالتحقيق يتهم الإمام ε بكتابته، في حين((علم القوم أن الكتاب بخط مروان...))[٦].

ونتيجة لهذه السياسة فقد اهتزت ثقة المعارضين المسلمين أكثر بالخليفة وازدادوا تعنتا وتشددا في مواقفهم وقرروا محاصرة الخليفة، ولم تسمح سياسة الإمام ε الإنسانية والأخلاقية أن يترك حنق الثوار على الخليفة ومحاصرتهم إياه فاستجاب لاستغاثته عندما((أرسل عثمان إلى علي يقول: إن فلانا ـ يعني طلحة ـ قد قتلني بالعطش... فخرج علي... حتى دخل على ذلك الرجل وهو

---

[١] ابن شبة، أبو زيد عمر (ت٢٦٢هـ)،تاريخ المدينة المنورة،علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد وندل و ياسين سعد الدين بيان،(بيروت،١٩٩٦م)، ج٢/ص٢٣٨.

[٢] ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ،الإمامة والسياسة، تحقيق : علي شيري ، (د.ب ، ١٣٨٤هـ) ،ج١/ص٥٥.

[٣]المصدر نفسه،ج٢/ص٢٤٢.

[٤] م.ن.

[٥]م.ن.

[٦] المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٦٣.

يترامى بالنبل...فقال له علي (رض):إن عثمان أرسل إليّ انكم قد قتلتموه بالعطش، وأن ذلك ليس بحسن، وأنا أحب أن تدخل عليه الماء، فقال:لا والله ولا نعمة عين لا نتركه يأكل ويشرب... والله لأفعل وما أنت في شيء يا علي، فقال علي ε غضبان، وقال لتعلمن بعد قليل أكون من ذلك في شيء أم لا))[١].

وعندما خرج علي من طلحة((أرسل إليه قرب من الماء ومع نفر من بني هاشم، فلم يعترض أحد حتى دخلوا على عثمان فأوصلوا إليه الماء، فشرب وشرب من كان معه في الدار))[٢].

ب ـ سياسة الاعتراض والاستنكار:

وضمن سياسة الإمام ε المعارضة، كانت سياسة الاعتراض والاستنكار العلني ، وبذلك لا يعني أن سياسة التهدئة كانت تؤشر إلى موافقة الإمام ε على ما يجري من انحراف سياسي وشرعي وظلم للرعية؛ لأن((الظلم والاستكبار عندما يسيطر من خلال الحكومة ويكون له نظام وشريعة وأهداف مقابل نظام الله وشريعته وأهدافه ورسله، يكون أكبر العوائق وأكبر الموانع دون تحقيق أهداف الرسالات النبوات))[٣]. ومن هذا المبدأ فإن الإمام ε يعلن مواقفه المتسمة بالاعتراض والاستنكار على الملأ، فعندما قرر الخلفية نفي الصحابي أبي ذر الغفاري، وكلف مروان بن الحكم أن يصحبه خارج المدينة وأن لا يكلمه أحد، بادر الإمام ε وبعض أهل بيته وأصحابه إلى اعتراض مروان وتوديع أبي ذر على الرغم من إبلاغهم بأمر الخليفة[٤].

وكان الإمام ε يرى أن قرار نفي أبي ذرّ جائرا ومن الواجب إعلان رفضه واستنكاره لنفي هذا الصحابي الجليل عن طريق توديعه، وهي رسالة للمسلمين جميعا في وقت واحد، ويتضح ذلك من المحاورة التي جرت بين الإمام ε والخليفة الذي امتعض من موقف الإمام ε ، فقال عثمان للإمام ε :((ألم يبلغك أني نهيت الناس عن أبي ذر وتشييعه؟ فقال علي: أو كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه، اتبعنا فيه أمرك، بالله لا نفعل...))[٥].

---

[١] ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج٢/ص٢٤٠.

[٢] ابن أعثم، الفتوح، ج٢/ص٢١٩.

[٣] الصدر، محمد باقر، المجتمع الفر عوني، ص٩٢,٩٣.

[٤] ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٦١.

[٥] م.ن.

وفي سياق سياسة الاضطهاد والنفي والإبعاد لرموز المعارضة الإسلامية نفسها،حاول الخليفة عثمان نفي الصحابي عمار بن ياسر،فأعلن الإمام ε معارضته لقرار الخليفة بقوله:((لا ندع عثمان ورأيه... فأمسك عنه))[١].

وبلغ الإمام ε أن الخليفة يماطل في مساعي شكوى المسلمين ضد واليهم في الكوفة الوليد بن عقبة(ت٦١ هـ) الذي تجاوز حدود السياسية والشرعية، فجاء إلى عثمان مستنكرا موقفه وقال له:((دفعت الشهود وأبطلت الحدود، فقال عثمان: بما ترى، قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فتخضره فإن أقاما للشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد...))[٢]. فاستدعى الخلفية عثمان الوليد، وتثبت عليه الحجة بشرب الخمر، وقد أقام الإمام علي ε الحد عليه بنفسه[٣].

وتستمر سياسة الإمام علي ε في الاعتراض والاستنكار ما دعت الضرورة اليها، فعندما تعرض الخليفة عثمان إلى الحصب من قبل الناس الذين استهجنوا سياسته وهو على المنبر((من كل جانب حتى نزل عن المنبر وقد كاد أن يغشى عليه فحملوه حتى أدخلوه إلى منزله))[٤]. فرأى بعض الصحابة ومنهم الإمام علي ε أن يستنكروا هذا العمل ضد الخليفة، ويذكر أن دخل عليه نفر من الصحابة يتوجعون لما نزل به، وفي جملة من دخل عليه علي بن أبي طالب،[٥] إلا أن بني بني أمية الموجودين في دار الخليفة قد وجهوا الاتهام إلى الإمام علي ε بتحريض المسلمين وتحميله المسؤولية في ذلك، واقتضى الموقف السياسي والأخلاقي أن يعلن الإمام ε سخطه واستنكاره ضدهم وزيادة عليه فقد وضح موقفه من الفتنة فأجابهم و((زبرهم... وقال أغربوا فما بلغ الله الحكم من القدر مما تحبون! فإنكم سفها وأبناء سفهاء ، وطلقا وأبناء طلقاء، إنكم لتعلمون مالي في هذا الأمر ناقة ولا جمل ثم خرج، علي من عثمان مغاضبا))[٦].

إن هذه المواقف من الإمام علي ε لحكومة الخلافة كانت لا تصدر بتهور ومن دون نهج

---

[١] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٠.

[٢] المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٥٥.

[٣] لمزيد من التفاصيل، ينظر: م.ن.

[٤] ابن أعثم، الفتوح، ج٢/ص٢١٤.

[٥] م.ن.

[٦] م.ن.

ثابت ومعايير سياسية ودينية مدروسة ،وقد أفصح الامام ε ذات مرة عن هذه السياسة فقال:((والله لو أمرني أن أخرج من داري لفعلت، فأما أداهن أن لا يقام بكتاب الله فلم أكن أفعل))[١].

فعلى الرغم من كل تلك الانتهاكات التي صدرت من سلطة الخلافة كان الإمام ε له رأي في ذلك يحمل الخليفة كامل المسؤولية، وأنه معارض للسياسة وليس للخلافة حينما علم الإمام ε ((إن عثمان يراد قتله، فقال: إنما أردنا مروان منه فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما فلا تدعا أحدا يصل إليه...))[٢].

ثم أن الإمام يريد أن يضع لكل شيء معيارا ونظاما وأن تسير الأمور وفقا لدستور المسلمين لا أن تحل الفوضى ، ومن هذا المنطلق فقد كان للإمام ε تقويم خاص لهذه المرحلة وفقا لرؤيته الإسلامية العميقة، فقال ε :((استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع))[٣].

وعلى ضوء ذلك يستطيع الباحث أن يثبت هذه المعارضة تحت عنوان المعارضة الواعية إذ((شكل الإمام علي ε ومن أتبعه من مؤيديه أبان حكومة أبي بكر وعمر وعثمان معارضة سلمية واعية مع موقفه الأولي المعروف من البيعة ، فكان تسديده للحكومة وتوجيهه لها وابداء النصح حول سياستها الخارجية والعسكرية وتوقفه عن أي نشاط سياسي يضرّ بالاسلام...))[٤].

٤- المعارضة السياسية في عهد الإمام علي ε من سنة ٣٥هـ ـ٦٥٥م/٤٠هـ ـ٦٦٠م:

اتسمت المعارضة السياسية في عهد الامام علي ε بأسلوبين هما:

أ ـ المعارضة السلمية.

ب ـ المعارضة المسحلة واساليب الامام عليεفي مواجهتها .

---

[١] الذهبي،احمد بن يحيى بن عثمان(٧٤٨ هـ)،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ،تحقيق: عمر عبد السلام تدميري،(بيروت،٢٠٠٣م)،ج٣/ص٤٣٢.

[٢] العسقلاني، الصواعق المحرقة ،ص١١٧.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص١٠٢.

[٤] السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ،ص١٥٦.

أ ـ المعارضة السياسية السلمية:

قامت خلافة الإمام علي ε على ركام من الانحراف ولاسيما ما يتعلق بمصادرة حرية الرأي ومجابهتها من قبل السلطة بأنواع من الردع العنيف، وقد صور المسلمون هذا الواقع بعد مقتل الخليفة عثمان بمطالبتهم للإمام ε بالبيعة وإصلاح الواقع الفاسد المتهور، فخاطبوه بقولهم:((إن هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وأتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك لنبايعك من أمر الأمة ما قد فسد))[١]. وبعد استجابة الإمام ε الذي أعد برنامجا سياسيا شاملا لحكمه أعطى فيه المسلمين حق المشاركة بإعطاء حرية الرأي إذ ((كرس مبدأ حق الحياة وصيانتها وجعل منه حقا للشعب إزاء الحكومة، إذ تعامل مع حفظ الحياة كمبدأ وليس عملية يمكن استغلالها سياسيا أو تتدخل فيها عوامل ذاتية ومصلحية...))[٢].

وكانت سياسة الإمام ε حيثية بهذا الاتجاه لتطوير وتنمية قابلية المسلمين للإسهام والمشاركة الفعالة في صنع الحياة السياسية ، ففي إحدى إشاراته أكد على استنكاره ونهيه لتكليف الرعية في سلوكهم مع الحكام ومع شخصه بما يمثله من رأس السلطة كونه خليفة للمسلمين فقال:((فلا تكلموني بما تكلم الجبابرة ولا تتحفظوا بما يتحفظ به عند أهل الباردة، ولا تخالطوني بالمصادفة ولا تضنوا بي استثقالا في حق، قبل لي، ولا التماس إعظام نفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أو يعرض عليه، كان العمل بها أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، ومشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي...))[٣].

وعندما تولى الإمام ε الخلافة تخلف عدد من المسلمين عن مبايعته،منهم:((محمد بن مسلمة(ت٤٦ هـ)، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد وسعد بن وقاص (ت٥٥هـ)، وكعب بن مالك(ت٥٦هـ)، وحسان بن ثابت(ت٥٤ هـ) وعبد الله بن سلام...))[٤].

ومن هذه اللحظة بدأت خيوط المعارضة وخطوطها لحكم الإمام ε تتخذ أشكالا متعددة بحسب دوافعها ونواياها، وعلى هذا الأساس فقد افرز الإمام ε هذه الخيوط وفكك عقدها

---

[١] أبو مخنف،لوط بن يحيى الأزدي الكوفي(ت١٥٧هـ)، الجمل وصفين والنهروان،جمعه وحققه: حسن حميد السنيد،(لندن،٢٠٠٢م)ص ٥٥.

[٢] السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ،ص٤٢.

[٣] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١١/ص٧٨.

[٤] أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص ٥٨.

وتشابكها،ولم يتخذ سياسة التقاطع بل التأني، وعدم الحكم مسبقا على معارضيه واعتمدε سياسة((الحوار أولا... الحوار قبل كل شيء... الحوار مادامت سبله لم تستنفد ولماذا لا يكون الحوار، مادام الإنسان يمتلك موهبة العقل الذي يعطيه الحجة والبرهان، ليقوي به موقفه سلبا أو إيجابا... مع أو ضد... فليدفع الموقف بالموقف، والحجة بالحجة والبرهان بالبرهان...))[١].

وعلى الفهم والإقناع لا القوة والإكراه للاستحواذ على أفكار معارضيه وآرائهم ومواقفهم، وكان حريصا((على أن يكون ولاء الناس على القناعة لا الإكراه...))[٢].

تتضح ملامح سياسية الإمامε الانفتاحية على الرأي الآخر في الساحة السياسية واحترامه بمنحه حرية التعبير عن الرأي والاختيار،وذلك عندما((أمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال له: بايع قال: لا أبايع حتى يبايع الناس جميعا، فقال له ε : فأعطني حميلا أن لا تبرح قال: لا أعطيك حميلا...))[٣]، وحينما حاول بعض أعوان الإمام ε استخدام سياسة القوة وقالوا للإمام ε:((يا أمير المؤمنين إن هذا قد أمن من سوطك وسيفك فدعني اضرب عنقه فقال: لست أريد ذلك منه على كره وخلوا سبيله...))[٤]، ويتجرد الإمام ε من أنانية الحاكم،فلم تقف سياسته عند عدم الإكراه فقط، بل كان يتقبل حججهم وحتى عندما لا يعطوه البيعة طالما لم تكن لمواقفهم ضررا على المجتمع الإسلامي لأن الإمام ε لا يريد الكثرة والدعاية بل يريد الأنموذج الأمثل للمؤيد والمعارض المستند على حجة وفكرة تسند إلى الدين أو الأخلاق، فأفصح عن ذلك في موقفه مع سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فحينما((أتي بسعد بن أبي وقاص فقال له: بايع، فقال له: يا ابا الحسن! خلني فإذا لم يبقَ غيري بايعتك فوالله لا يأتيك من قبلي أمرٌ تكره أبدا، فقال: صدق خلوا سبيله)) [٥]،

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة، فلما قال له بايع قال:((إن رسول الله β أمرني إذا اختلف

---

[١] سبيتي، يوسف علي، المعارضة في الإسلام، ص٦٤.

[٢] الحسناوي ،ختام مزهر ، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية ، ص٣٣٣.

[٣] أبو مخنف،الجمل وصفين والنهروان،ص ٥٨.

[٤]م.ن.

[٥]م.ن.

الناس وصاروا هكذا ـ وشبك أصابعه أن اخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد فإذا انقطعت آتيت منزلي لا أبارحه. فقال: انطلق إذن فكن كما أمرت به...))[١]، ومع تقاطع الاتجاهات في هذه المرحلة وضمن تشريع الإمام علي ε في سياسته الفكرية والعملية مع معارضيه شرع مادة قانونية أو شرعية ـ ما لم تجنح تلك المعارضة أفرادا أو جماعات إلى العمل المسلح ـ، فقال ε :((لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا...))[٢].

ب ـ المعارضة المسلحة وأساليب الإمام εفي مواجهتها:

واجه الإمام علي ε في زمن خلافته نمطا آخر من المعارضة التي اتخذت في سياستها أسلوب المواجهة العسكرية، وكانت على قدر كبير من الثقل الديني والسياسي زد على ذلك خطورة الأهداف والتنظيم في حركتها على الساحة السياسية، ويمكن تقسيمها على ثلاث حركات وفقا للخلفية التي نص عليها الحديث الشريف الذي اختصه الرسول β للإمام علي ε بقوله β: ((يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة أنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون))[٣]

وكثيرا ما كان الإمام علي ε يعلن تأكيده على مصداقية ما أمره النبي β ،في المواقف التي تستدعي إعلانه الغرض من ألقاء الحجة على خصومه أو لاستنفار المسلمين ومساندتهم إياه، فكان يعلن قائلا:((أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب مازلت مظلوما منذ قبض رسول اللهβ أمرني بقتال الناكثين طلحة والزبير والقاسطين معاوية وأهل الشام، والمارقين وهم أهل النهروان...))[٤].

---

[١]م.ن.

[٢] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤/ص٩.

[٣] ينظر: ابن حنبل، المسند، ج١/ص١١٠؛ الترمذي سنن، ج٤٠/ص٤٧٢؛ ابن عبد البر،أبو عمر يوسف(ت٤٦٣هـ)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب،(بيروت،٢٠٠٢م)،ج٢/ص٥٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة،ج ٤/ص١٢٤؛ الخوارزمي، المناقب،ص٧٥؛ابن شهر آشوب،أبو جعفر محمد بن علي(ت٨٥٥هـ)، مناقب آل أبي طالب،تحقيق : يوسف البقاعي،ط٢،(بيروت، ١٩٩١م)،ج٣/ص١٧٤.

[٤] ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين،ص٨٥.

ومن المسوغات الشرعية التي كان يستند إليها الإمام علي ε في سيرته وسياسته بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ومع امتلاك الإمام علي ε هذه الرؤيا والمسوغات فانه ε لا يسلم مقدما بالحلول العسكرية بل يسعى إلى أساليب سياسية متعددة لتجنب الحرب وإراقة دماء المسلمين،وبعيدا عن التعسف ومصادرة الرأي الآخر من خلال استخدام آلة السلطة ضد رعايا الدولة، وما كان يهدف إليه الإمام علي ε إلى تنمية وتشجيع الحوار البناء وتقبل الرأي الآخر لدى الأوساط الجماهير الإسلامية فكان ε يحث المسلمين على التفاعل الايجابي والسلبي مع الحكومة وفقا لمسيرة الحكومة حتى لو كان الإمام علي ε نفسه فكان يشيع هذا المفهوم بقوله:

((يحق على الإمام أن يحكم بما انزل الله وان يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا ويجيبوا إذا دعا))[2]، فضمن الإمام ε للمسلمين ((كفالة حرية التعبير عن الرأي في أقصى حدودها لأنه كان دائما يحث عليها...))[3].

من هذه التوجهات بُنيّت سياسة الإمام علي ε ومواقفه من معارضي حكمه أأفرادا كانوا أم حركات متحزبة سعيا منه لضمان حقوق المواطن في المشاركة في الحياة السياسية للأمة الإسلامية، وتركزت أساليبه مع معارضين بصورة عامة على:

١ـ حفظ الحقوق:

كان نهج الإمام علي ε واضحا في حفظ حقوق المسلمين كافة مؤيدين ومعارضين ما لم يبدر منهم تهديد ملموس لأمن المسلمين وحياتهم، وقد أشار الإمام علي ε إلى الخطوط العامة لثوابت سياسته تجاه المسلمين وذلك في أول خطبة له بعد بيعته فقال: ((أن الله حرما حرما غير

---

[1] سورة المائدة، آية: ٥٤؛ ينظر : القرطبي ،الجامع لاحكام القران ، ج٦/ ص١٣٣.

[2] ابن سلام، الأموال، ١٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥/ص٣١.

[3] الديمقراطية والحريات العامة،المعهد الدولي لحقوق الإنسان،كلية الحقوق بجامعة دي بول، ٢٠٠٥م،ص ٩.

مجهولـة، وفضـل حرمـة المسـلم علـى الحـرم كلهـا، وشـد بـالإخلاص والتوحيـد حقـوق المسـلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب...))[١].

وقد تعامل الإمام ع بهذه السياسة منذ بداية حكمه مع الممتنعين عند بيعتـه، فـاحترم مـواقفهم، وضمن لهم حقوقهم في المواطنة الكريمة فـي كنـف ورعايـة حكومتـه حيث ((لم يهددهم أو يخيفهم ولم يصادر أموالهم أو يقطع عطاؤهم...))[٢].

ومن جانب آخر انتهج الإمـام علـي ع سياسـة العتب والأعذار ممن تخلف عن نصرته في معركة الجمل، ورفض إشارات بعض مؤيديه باللجوء إلـى سياسـة التصفية والقتل بحقهم، وزجر الـذي أشـار عليـه بـذلك وقـال لـه:((سبحان الله يـا مـال، جـزت المـدى وعـدوت الحـد،وأغرقت فـي النزع...))[٣].

ومن الأمثلة على هذه السياسة ـ وطالما تبقى المعارضـة فـي حـدود الاعتـراض والنقد السليم ـ، أبلغ الامام علي عالخوارج بحدود حركتهم السياسية وحريتهم بـالتعبير عن آرائهم بقولـه: ((أمـا لكم عندي ثلاث: أمّـا صـحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم بايدينا ولا نقاتلكم حتى تبدأونا))[٤].

٢ـ الحوار والتفاوض:

إنّ انتهاج الإمام علي ع لهذه الأساليب السياسية بالانفتاح على المناهضين لسياسته ومحاولـة احتوائهم تنبع من احترام الإمام علحقوق الإنسان وإرادتـه فضـلا عن انـه يمثل فـي سياسته المثل الأخلاقية للإسلام حيث ((لم تكن الخدع والحيل من مذهب عليعولم يكن عنده غير مر الحق))[٥] وفي هذا الجانب فتح الامام الحوار مع اصحاب الجمل عن طريق عاملـه علـى البصـرة عثمـان بـن حنيـف(ت٥٧ هـ) ووجهـه بالتوجيـه الآتـي: ((فـان قدموا مصـرك فـادعهم إلـى الحـق والرجـوع إلـى

---

[١] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢١٢.

[٢] الحسناوي،ختام مزهر،المعارضة في الدولة العربية الاسلامية، ص٣٣٤.

[٣] المنقري،وقعة صفين، ص٤، ٦، ٧.

[٤] أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص ٤١٤؛ ابن سلام، الأموال،ص ٢٤٥.

[٥] ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طبطبا، (ت ٧٠٩هـ) الفخري في الاداب السلطانية والدولة الإسلامية، (بيروت، د.ت)،ص ٨٩.

الوفاء بالعهد والميثاق الذي بايعوا عليه فان فعلوا فاحسن جوارهم ومرهم بالانصراف إلى المكان الذي ايتلوا فيه)) [١].

وقام الامام علي ε باجراء سياسة الحوار والتفاوض بنفسه، وذلك حينما دعا الزبير بن العوام(ت٣٦ هـ) في ساحة المعركة بالبصرة وحاوره بإلقاء الحجة عليه،هذا من ناحية، ونجحت هذه السياسة باقناعه في العدول عن رأيه وانسحابه من ساحة المعركة[٢]من ناحية ثانية.

ومن ناحية أخرى فقد فتح الإمام علي ε باب الحوار والتفاوض وفتح المجال لهم بطرح كل ما يؤمنوا به، وحينما قرر الإمام ε بعث((أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج، زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير(ت٣٧هـ)،فدخلا عليه فقالا: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله

فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم علي :قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عهودنا ومواثيقنا...))

وهكذا ركز الإمام ε في ردوده على المتفاوضين على القضايا الجوهرية وهي[٣]:

أ. أن موقف الإمام علي كان كارها ورافضا للحكومة لولا مطالبتكم وعصيانكم رأي.

ب . احترام العهود والمواثيق التي تؤكد عليها الشريعة الإسلامية وعدم تجاوزها.

إنّ انتهاج الامام لهذه السياسة دليل على أنه: ((لم يفقد زمام الموقف على الرغم من تكاثر هؤلاء الخارجين فقد ناقشهم بالحجج والبراهين التي تذرعوا بها))[٤]

لم يكن موقف الإمام ε قاصرا أو مقصرا، بل كان على دراية تامة بأبعاد الخدعة ونتائجها؛ لكن الانقسام في صفوف جيشه أجبرته على الموافقة.

٣ـ سياسة الكتب والمرسلات:

من الدلالات الواضحة على احترام سياسة الإمام علي ε للأفكار المعارضة المناوئة في الساحة السياسية لنظامه، واتخاذه الأساليب الواعية في مواجهتها منها الكتب والمراسلات، ففي

---

(١) الاسكافي،ابو جعفر، المعيار والموازنة،ص ٦٠.

(٢) ينظر: الطبري،تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٥٠١ـ٥٠٢.

(٥) ابومخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص ٤١١,٤١٢؛ ابن دحيه،اعلام النصر، ص١١٧

(٣) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص٤١١، ٤١٢

(٤) بيضون، ابراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص١٣٢.

كتاب إلى كل من الزبير وطلحة ـ لما سمع الإمام علي ε ادعائهم بعدم بيعتهما للإمام ε ـ فرد عليهما بقوله: ((فاني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى اكرهوني، وأنتما ممن أراد بيعتي ورفضكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما...))[١].

وفي محاولة سياسيةأخرى لعلها تجد حلا للازمة كتب الإمام ε إلى السيدة عائشة(ت٥٨ هـ) كتابا فحواه التذكير بتقوى الله ودعوتها لمراجعة نفسها وتذكيرها بمكانتها قائلا: ((فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله محمد β تطلبين أمرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين انك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود العسكر والإصلاح بين الناس كما زعمت والطلب بدم عثمان وعثمان رجل من بني أمية وأنتِ امرأة من بني تيم من مرة ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان، وما غضبت حتى أغضبت، ولا هجت حتى هيجت، فاتق الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك...))[٢]، وتتواصل خطوت الإمام علي ε في حلقات متصلة فيها من الثبات على المبدئية في سياسته بعدم التهور واتخاذ القرارات السريعة غير المدروسة كلما استنفد حلقة أو خطوة تبعها بأخرى، مع من معرفة وعلم الإمام ε بأهداف ونوايا معارضيه.

أمّا بشأن حركة القاسطين بقيادة معاوية بن أبي سفيان الذي يعدّ الخصم الرئيس للإمام علي ε الذي رفع نفس الحجج والدعوات المزعومةمن قبل اصحاب الجمل ولاسيما عندما أحس معاوية ((أن عليا سيعزله فاتخذ قتل عثمان والمطالبة بدمه وسيلة لإثارة الناس على علي...))[٣]. وللحقيقة التاريخية أن معاوية قد خذل الخليفة عثمان ولم ينصره بالرغم من امتلاكه للإمكانيات الكبيرة وربما كان يبغي مقتل الخليفة حتى يدخر هذا الموقف لصالح سياسته ومآربه وفي إيضاح بهذا الشأن أجاب محمد بن مسلمةعلى كتاب معاوية فيما بعد بقوله: ((وأما أنت فلعمري ما طلبت إلا الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى، فان تنصر عثمان ميتا فقد خذلته حيا...))[٤]، ((لكن لم يكن أمام

---

[١] **ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص٧٠؛ ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين، ص٩٤.**

[٢] **ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ص١٧٩.**

[٣] **القضاعي، دستور معالم الحكم،ص ٥٥.**

[٤] **المنقري، وقعة صفين،ص ٧٧.**

معاوية سواه ليواجه به الإمام فهو لا يملك أي مقومات أخرى ليواجهه بها، لا يملك الشرعية... ولا يملك العلم... ولا يملك الرصيد التاريخي...))[١].

وتختلف طبيعة الحوارعن سياسة الكتب والمراسلات هنا للمزايا الشخصية التي يمتلكها معاوية مثل المكر والدهاء، فكان كما يذكر انه ((أقولهم للزور... طاغوت من طواغيت إبليس...))[٢].

وهكذا يتبين ((الفرق بين علي ومعاوية عظيما في السيرة والسياسة))[٣].

وبعد انعقاد البيعة للإمام علي ε لم يبادر معاوية إلى المبايعة،((وكيف يبايع وعينه طامحة إلى الملك والرياسة منذ أمره عمر على الشام،وكان عالي الهمة تواقا إلى معالي الأمور...))[٤]، على الرغم من أن ((لا أبعد مما كان بين بني أمية وبين هذا الأمر، إذ ليس لبني امية سبب في الخلافة، ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا أنا من قريش...))[٥] وهناك سبب اخر لهذا التصدي للإمام ε أنه((لا توجد عائلة على مستوى قريش لديها القدرة على الحفاظ على الخط القبلي ومواجهة آل البيت كالعائلة الأموية...))[٦]، وفي أول انطلاقة بهذه السياسة مع معاوية كان بالمطلب الشرعي الذي تعارفت عليه الأمة وهو اعلان البيعة للإمام علي ε وان يقدم عليه إلى مقر الخلافة بالمدينة مع وفد من أهل الشام ،فكتب إليه الإمام ε بذلك قائلا: ((فبايع من قبلك واقبل إلي في وفد من أصحابك...))[٧]، وحين قدم الإمام علي ε إلى الكوفة عام ٣٦هـ بعد وقعة الجمل ـ ـ وبغض النظر عن المسؤوليات الجمة التي تنتظره في تنظيم شؤون دولته ـ،فقد كتب مرة أخرى إلى معاوية في أكثر من محور منها، إلزامه بالبيعة الشرعية للإمام بقوله: ((فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبو بكر وعمر وعثمان على ما بويع عليه فلم يكن للشاهد أن يختار وللغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على

---

[١] الورداني، صالح، السيف والسياسة،ص ١٢٦.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج ٤/ص٥٥١.

[٣] حسين طه، الفتنة الكبرى،ج ٢/ص ٨٩.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج ١٨/ص٥٣.

[٥] المقريزي،أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ)،النزاع والتخاصم بين أمية وهاشم، قدم له: محمد بحر العلوم ،(بيروت،١٩٨١م)،ص ١٢.

[٦] الورداني، صالح، السيف والسياسة، ص٩٠.

[٧] ا ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج ١٨/ص٥٣.

رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضا...))[١] والمحور الآخر فقد أعطى الإمام علي ε حقا للأمة الديني والسياسي في مجابهة من يخرج على وحدتها وشق عصى المسلمين وإجباره على الطاعة كما جاء في الكتاب: ((فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه، فان أبى قتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين...))[٢]، وفي محور مهم ذَكر الإمام علي ε معاوية بالجزاء الأخروي لمن يشق عصا المسلمين بقوله: ((وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا...))[٣]، وردا على الحجة التي رفعها معاوية بالطلب بدم عثمان حاول الإمام علي ε سد الباب أمام معاوية واسقط ما في يد معاوية فقال له: ((وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم الي أحملك وإياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه فأما تلك التي تريدها، فإنما هي خدعة الصبي عن الرضاع))[٤].

علما أن موقف الإمام علي ε من قتلة الخليفة عثمان رأي شرعي وقانوني إذ((كان على حق في رأيه وعمله لان فريقا من القتلة قتل يوم قتل عثمان، وكان ... يرى أن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينه...))[٥].

ومن محاور المكاتبات التي تضمنتها كتب الإمام علي ε إلى معاوية تجريد معاوية من هالة التقديس،وكشف زيف موقعه وإعطائه المكانة الحقيقية لشخصيته في المجتمع الإسلامي عندما قال له: ((واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى))[٦].

ولم يترك الإمام علي ε عمرو بن العاص[٧] (ت٤٢هـ) القطب الثاني في حركة القاسطين المعارضة، فكتب إليه كتابا يتلاءم مضمونه وشخصيته عسى الإمام ε أن يجد إذنا ... تتفهم حقيقة الأوضاع التي تنتظر الأمة إذا لم يتم إحقاق الحق بالطرق السلمية، جاء فيه: ((فان الدنيا منشغلة

---

(١) م،ن.

(٢) المنقري، وقعة صفين،ص ٢٩.

(٣) م.ن.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال،ص ١٥٧.

(٥) القضاعي، دستور معالم الحكم،ص ٥٥.

(٦)م.ن.

(٧) اختلف في سنة موته، فقيل (سنة اثنين وأربعين، وقيل سنة احدى وخمسين...)، ينظر: ابن قتيبة، المعارف،ص٢٨٦.

عن غير ها، ولم يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له فرصا يزيده فيها رغبة ولن يستغن صاحبها بمال منها عما لم يبلغه ومن وراء ذلك فراق ما جمع فلا تحبط يا أبا عبد الله أجرك ولا تجار معاوية في باطله...))[١].

وتظهر هذه السياسة بشكل جلي وواضح في مكاتبات الامام علي ε ومراسلاته مع معاوية بن ابي سفيان وعمر بن العاص، وقد بلغت عدد هذه الكتب عشرات الكتب[٢]، وأخذت مدة زمنية طويلة قبل وقعة صفين (٣٧هـ)وبعدها؛أي منذ قدوم الامام علي ε ((من البصرة مستهل رجب واقام فيها سبعة اشهر يجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمر بن العاص))[٣].

٤- سياسة الوفود:

من الاساليب السياسية التي عول عليها الامام علي εفي ساحته السياسية المفتوحة لكل الاراء واعطاء الحرية التامة للتعبير عن مواقفهم من دون قيود منها سياسة الوفود التي يوفدها ويستقبلها لطرح الاراء المختلف عليها.

ومن هذه الوفود التي ارسلها الامام علي ε إلى قادة الجمل حيث بعث إليهم ((رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الالفة والجماعة ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف))[٤].

وهكذا تواصلت الوفود بين الفريقين حينما نزلوا البصرة فقد ((مكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم...))[٥] وسار الإمام علي بهذه السياسة مع معاوية بن أبي سفيان بإرسال وفد يضم عددا من وجوه والشخصيات التي لها مكانتها المرموقة بين المسلمين[٦].

---

(١) المنقري، وقعة صفين،ص ٤٩٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال،ص ١٩١.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج ١٤/ص٣١، ٣٥، ٣٩ -ج١٥/ ص٦٠، ٦٣، ٨٩، ١٣٧-١٦ج/ص ١٠٢، ١٠٣، ١٢٤- ج١٧/ص ١٣، ١٤، ١٠٣، ١٩٠ –ج ١٨/ص ١٦، ٤٨، ٥٣.

(٣) المنقري، وقعة صفين،ص٨٠.

(٤) ابن كثير،البداية والنهاية،ج ٧/ص٢٢١.

(٥) المصدر نفسه ،ج ٧/ص٢٢٢.

(٦) ينظر: ابو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص ٢٧.

ودعا الإمام علي المتفاوضين مع معاوية إلى رأب الصدع في الأمة الإسلامية ومحاولة مقاربة وجهات النظر بقوله: ((ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عز وجل والى الطاعة والجماعة... فالقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه...))[١].

وهكذا سعى الامام علي (عليه السلام) لأجل الوصول إلى ((الاصلاح واطفاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير ويلتئم شمل الأمة...))[٢]

٥- سياسة المناظرات:

عندما عاد الإمام علي ε من صفين ودخل الكوفة وفارقته الخوارج ذهب إليهم ودعاهم بقوله:((فأرجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر...))[٣]، فكانت بادرة سياسية وفكرية تعبر عن وعي وحرص القيادة المتمثلة بالإمام ε باحترام التعبيرعن ارائهم .

ويضع الإمام علي ε مفهوم تلك المناظرات وطبيعتها بقوله:((ليخرج اليّ رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول؛ فإن وجبت عليّ الحجة أقررت لكم وتبت إلى الله، وإن وجبت عليكم فاتقوا الذي مردكم اليه))[٤] وبهذه السياسةاستطاع الامامεأن يقنع عدد كبير منهم، ويذكر ان((رجع ان((رجع ثلثهم، وانصرف ثلثهم...))[٥].

وكان يسمع مناظراتهم وأجوبتهم حتى التي فيها مساس لشخصيته ومعتقده، فبينما كان الامام علي εيخطب في مسجد الكوفة فقاطع احد نفرا منهم امام المسلمين وهتفوا بشعار ((المحكمة في جوانب المسجد)) فقال علي ε :((الله أكبر، كلمة حق يراد بها باطل...))[٦].

ويذكر أن الامام علي εلم يهزه هذا الموقف أو يربكه أو يدعوه إلى تغيير سياسته بل ((رجع إلى المكان الذي كان فيه من خطبته))[٧]

---

[١] م.ن.

[٢] ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٧/ص٢٢٢.

[٣] اليعقوبي، تاريخ،ج ٢/ص١٣٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج ٣/ص٢٣.

[٤] الدينوري، الأخبار الطوال،ص٢٠٨.

[٥] الذهبي، تاريخ الإسلام،ج ٣/ص٤٣٢.

[٦] ابن الاثير، الكامل،ج ٣/ص٢١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٦١.

[٧] أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص ٤١٤.

وفي مناظرة علنية أخرى في مسجد الكوفة وفي إحدى خطب الإمامε اعترضه أحد الخوارج بآية قرآنية يدل معناها على اتهام الإمام علي ε بالشرك والخسران ، قائلا:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ومن دون اكتراث من الإمام علي ε لهذا الطرح المتضمن اتهاما صريحا وعلنيا له، وبسرعة البديهية المعهودة لدى الإمام ε أجابه بالرد المناسب وبآية قرآنية أيضا تناسب طرحه ومن دون تشنج فقال له ε:﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2].

٦- رفع راية الأمان:

في اللحظات الحاسمة والحرجة قبل بدء القتال كانت سياسة الإمام علي ε تعطي للرأي الآخر الفرصة لمراجعة النفس والعودة إلى صفوف المسلمين، فأعلن الإمام ε قرار العفو والأمان شريطة أن لا يكون قاتلا أو منتهكا لحقوق المسلمين، فرفعت راية الأمان وأعلن الشروط بقوله:((من جاء هذه الراية منكم، فمن لم يقتل، ولم يستعرض، فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة، أو إلى المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن،إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتله أخواننا منكم، في سفك دماءكم))[3]، وبالفعل فقد أفلحت هذه الخطوة السياسية

---

[1] سورة الزمر، آية: ٥٦. ينظر :أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص٤١٤.

[2] سورة العنكبوت، آية :٦٠. ينظر : أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص٤١٤؛ المسعودي، مروج الذهب،ج ٢/ص٤١٦؛ وفي رواية ابن أبي الحديد:((أنه كان يقرأ في صلاة الصبح وخلفه جماعة من أصحابه، فقرأ واحد منهم رافعا صوته، معارضا قراءة أمير المؤمنين ε :﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[سورة الأنعام، آية ٥٧]، فلم يضطرب ε ولم يقطع صلاته، ولم يلتفت وراءه، ولكنه قرأ معارضا له على البديهية: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ ﴾))،سورة الروم، آية: ٦٠؛ شرح نهج البلاغة، ج٧/ص٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٧/ص٢٦٠.

[3] أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان،ص٤٣٩.

المهمة فخرجت أعداد كبيرة من صفوف الخوارج المارقين، فمنهم من اعتزل قتال جيش الإمام ε ،ومنهم من توجه إلى الكوفة أو عاد إلى الإمام ε[1].

[1] **للمزيد ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال،ص ٢١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٣٦٧.**

الفصل الثاني

الأساس العسكري في فكر الإمام علي ε

المبحث الأول:البعد التعبوي.

المبحث الثاني:البعد الروحي(الديني).

المبحث الثالث:البعد الإنساني.

لا يخفى على احد أن ((الحرب من الوسائل التي لجأ إليها الإنسان لتسوية منازعاته وتحقيق مصالحه منذ القدم ومن اجل أن يتحقق النصر على الأعداء فقد كانت وما زالت قسوة المقاتلين لا نحدها حدود – إلا ما ندر))[١].

وللإمام علي ε مساهمة ومشاركة فعالة في الحروب منذ عهد الرسول β حيث شهد ((جميع حروبه ومغازيه...))[٢]. ومنها ((بدرا وأُحدا والخندق وبيعة الرضوان... إلا تبوك وله في الجميع بلاء عظيم واثر حسن إعطاءه رسول الله β اللواء في مواطن كثير بيده...))[٣].

وعبر هذه السيرة في سلمها وحربها أصبح للإمام علي ε سفرا ثريا يستحق البحث والدراسة من مواقفه ووصاياه، وكتبه يمكن تقسيم فكره ε: على ثلاث مباحث.

---

(١) السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε، ص٣٠٩.

(٢) الاسكافي، أبو جعفر،المعيار والموازنة، ص٩٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، ج٥/ص٧٧.

المبحث الأول

البعد التعبوي

التعبئــة: اصــطلاح عســكري معــروف بمعنــى التجهيــز ((والجــيش: جهــه، تعبــأ تعبئتــه وتعبيئا))[١].

وقد رفد القرآن الكريم الفكر العسكري الإسلامي بالتعليمات العسكرية المهمة، والتأكيد على عنصر التعبئة بالاستعداد النفسي والمادي بقوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٢]،وكان هذا التوجيه الإلهي هو ((المرتكز الأول الذي استندت إليه التعبئة العربية الإسلامية، وهو يعني استخدام الأفضل للأسلحة والقطعات في المعركة؛ مع حشد جميع الطاقات المادية والمعنوية...))[٣].

وللفكر العسكري لدى الإمام علي ε مضامين وأبعاد أفضت بها مواقفه وتوجيهاته في بعض كتبه ووصاياه إلى أمراء جنده، ومنها البعد التعبوي، الذي هو أيضا اخذ أبعادا مهمة منها:

أولا: الصفات القيادية العسكرية:

للقيادة أهمية كبرى ومحلها محل الرأس من الجسد، فالقائد العسكري يكون المثل والرمز للمقاتلين أو الأمة، لذا حرص الإمام علي ε كل الحرص على هذا الموقع الحساس، ففي إشارة له على الخليفة عمر بن الخطاب عندما استشار عددا من الصحابة بخصوص قيادته لجيش المسلمين لمحاربة الفرس فلم يرحب الإمام ε بهذه الفكرة ودعاه للبقاء في المدينة، واختيار من ينوب عنه، لئلا يضطرب أمر المسلمين في الجزيرة العربية فقال له: ((ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابداً. فكن قطبا

---

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، مادة تعبئة ، ص٥٧.

(٢) سورة الأنفال،آية: ٦٠؛ الزمخشري ،الكشاف ،ج٢/ص٢٢٠.

(٣) الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي،ط٢ ،(بغداد،١٩٨٦م)،ص١٦٤.

واستدر الرحبى بالعرب...)) [١].

فلكل معركة ظروفها وحساباتها العسكرية والسياسية، فليس باللزوم أن يكون القائد الأعلى وسط الجيوش لقيادتها، وعند تعبئة الإمام علي ε لجيشه في معركة الجمل اخذ بالحسبان الواقع السياسي والنفسي لجمهور المدينة عاصمة الخلافة حيث عين قوادا ممن لم يسهموا بالفتنة التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان، وتختلف الظروف السياسية والعسكرية في المعارك التي حدثت في عهد الإمام علي ε كونها معارك داخلية بين المسلمين ((أهل القبلة))[٢].

وفيها كثير من الشبهات التي تتلبس على المسلمين مثل أن الخصوم للإمام ε في هذه المعارك هم من رموز المسلمين، فمعركة الجمل كانت بقيادة ام المؤمنين عائشة،والصحابي طلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام[٣] ومعركة صفين فكان واجهتها والي الشام معاوية بن ابي سفيان،وعمرو بن العاص ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب(ت٣٧هـ)[٤]، أمّا الخوارج الذين لهم موقفهم الخاص عندما خرجوا من بين صفوف جيوش الإمام علي ε. فضلا عن الدعوات التي استتر خلفها خصوم الإمام علي ε بالطلب بدم الخليفة المقتول عثمان بن عفان[٥]. مما استدعت الضرورة الدينية والسياسية والعسكرية الإمام علي ε والخليفة والقائد العام للامة أن يقود هذه المعارك ميدانيا بنفسه لضرورات ميدانية لامتلاكه مؤهلات قيادية وغيرها من المؤهلات مثل ((الشدة في البدن، والشجاعة في النفس والعلم بالثقافة والحذر والفروسية، فالشرف في منزلة الجهاد يكون باستعمال آلة، ولقاء الأبطال، وضرب الأقران، والتغرير بالنفس، والقائها بين الأسنة، والأهوال، والمخاطرة وفاءا بعهده.. وكان أبو الحسن لهذه الأمور جامعا...))[٦].

ومما لا ريب فيه أن المواصفات القيادية في شخصية الإمام علي ε هي دروس لغيره من

---

(٤) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ج٩/ص٧٥.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ٤٤٥/٤، أبو يوسف ،يعقوب بن ابراهيم(ت١٨٢هـ)،الخراج،(بيروت، ١٩٧٩م)،ص٢١٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج٩/ص٢٥٢.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٨٧/١؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج٧/ص٢١٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣/ص٣٨٣.

(٤) المسعودي، بروج الذهب، ج٢/ص٣٩٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص٥٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢١٤، ٢١٥.

(٦) الاسكافي، أبو جعفر، المعيار والموازنة، ص٨٩، ٩٠؛ اليافعي، مرآة الجنان،ج١/ص٩٣.

القادة الميدانيين ((باستثناء قيادة رسول الله β، فالمتتبع لأدواره القيادية في الميدان العسكري، يجد فيه ذلك القائد صاحب الارادة القوية العارف بدقائق الأمور العسكرية يملك خيارات عديدة في وقت واحد...))[١]. ومن هذه التوجهات، وضع الإمام علي ε عددا من المميزات والمؤهلات شروطًا لاختيار القادة العسكريين، منها ما يجب أن يتمتع به القائد من ذكاء وفطنه وبعد الرؤية في التعامل مع ظروف المعركة وما يستجد في ساحتها من أحداث مفاجئة وجمع الإمام علي ε هذه المعاني في قوله: ((ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الإسراع اليه احزم ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل...))[٢]، ومن الخصال الشخصية التي أكد عليها الإمام علي ε هي نزاهة القائد وأمانته وابتعاده عن الأطماع والجشع بإشارته ε: ((وأطهرهم جيبا...))[٣]، ليصون ممتلكات الامة التي تحت تصرفه، ثم من الصفات الأخرى المهمة لا بد أن يكون القائد ذا غور بعيد وأناة وصبر وحلم تجعله يقوم بواجباته وفعالياته الميدانية سواء مع أفراد جيشه أو مع حركات جيش العدو حتى لا يقع فريسة للاستفزازات والمكائد والخدع مما يؤدي بجيشه إلى التهلكة، ومردود ذلك على كاهل الأمة فاشتراط الإمام علي ε بقوله: ((وأفضلهم حكما ممن يبطئ عند الغضب...))[٤]، وللصفات الدينية والنفسية في شخصية القائد حيز في فكر الإمام علي ε العسكري فاشترط، أن يكون ذا عدل وتسامح وبالذات مع افراد قطعاته فتكون المعاملة عادلة مع الجميع،والصفح عن المسيء،ويقبل التماسهم وعذرهم، ويرحم الضعفاء وينصفهم، وحازما مع الأقوياء، ويثبت هذه الشروط ε بقوله: ((ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء ويتبدر على الاقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف))[٥]، وللخلفية البيئية والأسرية قدر كبير في مواصفات القائد وشروط الإمام علي ε؛ لان ذلك يبعث على الاطمئنان عند تحمل المسؤولية في الأغلب، فيوصي ε باختيارهم بقوله: ((ثم الصق بذوي المروءات والاحساب، وأهل البيوتات

---

(١) المياحي، شكري أحمد عبد الحسن، الامام علي ε، دراسة في فكره العسكري،ص٨٣.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ / ص٥٦٧ .
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٤١.

(٤) م.ن.

(٥) م.ن.

الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم اهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة...))[١] وفي مخاطبه لأحد عماله: ((أنك في عشيرة ذات صلاح...))[٢].

ومن الصفات العسكرية القيادية المهمة التي يؤكد عيها الامام Eالاستعداد الدائم والحذر في نفسه أو بين قواته، حتى لا يتمادى العدو بالاعتداء على حدود المسلمين وكرامتهم، ففي كتاب للإمام علي E يوبخ به عامله على هيت كميل بن زياد النخعي(ت٨٢هـ) لما بدر منه من عجز ووهن في شخصه أو في استعداد قواته فيقول له: ((فان تضيع المرء ما ولى وتكلفه ما كفي، لعجز حاضر ورأي متبر، وان تعاطيك، الغارة وتعطليك مسالحك التي ولينك لرأي شعاع، فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على أوليائك غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغره ولا كاسر شوكه...))[٣].

وعلى القائد العسكري أن يتحلى بالصدق مع نفسه وافراد قطعاته ومع قيادته وتوجيهاتها في تحقيق ما تصبو إليه، ونشر مبادئ الاسلام العظيمة ليكون المثل والقدوة بين رعيته، وخصومه، ويدعو الإمام علي E إلى الانغماس في هذه السمة الاخلاقية في جملة من وصاياه لاحد قواده، إذ يحثه بقوله: ((والصدق الصدق فلا رأي لكذوب))[٤].

وللايمان العقائدي بالفكرة والهدف والإخلاص اليها من خلال معرفته ويقينه بالله ورسوله وإمامه، فالقيادة ليست منصبا يولى من دون إيمان ثابت على نهج الإسلام الواضح، فيوصي E بهذه السمة بقوله: ((فولِّ جندك انصحهم لله ولرسوله ولامامك))[٥].

ثانيا: الخطط العسكرية:

وهي حلقة من الحلقات العسكرية المترابطة، أن اعدت اعدادا جيدا تكون النتائج جيدة، يرعى فيها الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والنفسية زيادة على الجانب العسكري في تقدير ظروف كل معركة على حده.

---

(١) م.ن.

(٢) اليعقوبي،تاريخ،ج٢٠/ص١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١٧/ص١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ص١٣٩.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٤١.

وتأخذ رسم الخطط العسكرية الحربية في فكر الإمام علي ع حيزا مهما وتركيزا دقيقا سواء في اماكن اقامة المعسكرات أو الاستعدادات والامكانيات المتوافرة للمعركة؛ فكانت للإمام ع خبرة كونه صاحب الفكر والعقيدة والسيف في الحرب.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب حينما استشاره في موضوع مواجهة الفرس عندما تحشدت منهم اعدادا غفيرة للقضاء على الدولة العربية الاسلامية الفتية، فأشار عليه الإمام علي ع بخطة عسكرية دقيقة وشاملة، اخذ الإمام ع بها كل الأبعاد الداخلية والخارجية وضمان امن وحياة المسلمين بجعل قوة احتياطية تحت تصرف الخلافة داخل الاقاليم الاسلامية لتسيير عمل الدولة احتياطية لمواجهة أي طارئ يواجهها، فقال ع: ((أن احببت فاكتب إلى اهل البصرة أن يتفرقوا على ثلاث فرق، فرقة تقيم في ديارها فيكونوا حراسا لهم يدفعون عنهم حريمهم، والفرقة الثانية يقيمون في المساجد يعمرونها بالاذان والصلاة لكيلا تبطل الصلاة ويأخذون الجزية من اهل العهد لكيلا ينتفضوا عليك، والفرقة الثالثة يسيرون إلى اخوانهم من اهل الكوفة، ويصنع اهل الكوفة كصنع اهل البصرة ثم يجتمعون ويسيرون إلى عدوهم... فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته اقبل على الناس وقال ويحكم عجزتم كلكم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ع))[1].

ومن أجل الإحكام والسيطرة في الميدان، نهى الإمام علي ع بعدم تشتيت القوة القتالية المهاجمة من خلال الانفتاح أو التقدم على جبهات متعددة، فقال ع موجها: ((وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين...))[2].

ولضمان التقدم المدروس للقطعات العسكرية بما يظهر هيبته وقوته امام العدو أوصى الإمام علي ع بان تكون مقدمة الجيش قوية ومتسلحة بالدروع، فقال: ((فقدموا الدارع وأخروا الحاسر...))[3].

وينتقل فكر الإمام علي ع العسكري إلى إعطاء الاطمئنان النفسي المستمد من التوكل على الله تعالى، والابتعاد ع الفوضى التي تخلخل صفوف الجيش وتوحي بعدم انضباطه وتنظيمه وربما

---

(١) ابن خياط، تاريخ، ص١٠٤، ابن اعثم، الفتوح، ج٢/ص١٣٩.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ٢٣٥؛ الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ص٢٢٧ .

للمحافظة على سرية تقدم القطعات نحو العدو، فيؤكد لافراد الجيش بقوله: ((غضوا ابصاركم واكثروا من ذكر ربكم وإياكم وكثرة الكلام فانه فشل...))[١].

وعن كيفية تنظيم القطعات العسكرية المهاجمة وشكلها وجه الإمام علي ε، بان يسيروا سيرا بطيئا وصفا واحدا حتى يصعب على قوات العدو اختراق احد اجنحته المتقدمة، فأوعز بقوله: ((التعلم لأهل الحرب إذا قاتلوا أن يمشوا إلى أعدائهم كدبيب النمل صفا واحدا فانه لا يقدر احد على اقتطاع شيء منهم))[٢]، ويؤيد ابن خلدون هذه الخطة في القتال بقوله: ((وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوي كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدما فكذلك تكون اثبت عند المصارع واصدق في القتال وارهب للعدو...))[٣].

وقد راعى الإمام علي εفي تخطيطه الطبيعة الجغرافية واستغلالها استغلالا يخدم القدرة والكفاءة العسكرية لجيوش المسلمين، وقد أشار الإمام علي ε إلى القادة العسكريين المتوجهين إلى ساحات القتال بذلك قائلا:((فإذا نزلتم أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراق أو سفاح الجبال، أو أثناء الانهار، كي ما يكون لكم رداء، ودونكم مردا...))[٤].

ومن وحي فكر الإمام علي ε في جانب التخطيط العسكري تأكيده على ديمومة قوة الجيش والحفاظ على اسلحته وعدم ارهاقه في القتال بشكل مستمر، فأوصى أن تكون طبيعة حركة الجيش وتحركه في المعركة بشكل منظم؛وذلك بتناوب القطعات المشاركة في المعركة،وتخصيص وقت لاستراحة المقاتلين وإدامة الأسلحة في قول ε: ((لا تشدن عليكم كرة بعد كرة، ولا جولة بعد حملة وأعطوا السيوف حقوقها ووطنوا للجنوب مصارعها...))[٥].

ومن فيض وحي القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ

---

(١) الدينوري،الاخبارالطوال،ص١٨١؛ابن اعثم،الفتوح،ج٢/ص٣١٤؛المسعودي،مروج الذهب،ج٢/ص٤٠٠.

(٢) ابن دحيه، أعلام النصر المبين، ص٦٧.

(٣) المقدمة ، ص٢٧١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥/ص١٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١٥/ص٨٧.

بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[1]، فأشار الإمام علي ε إلى مصداق هذه الآية، وحث المجاهدين المسلمين في ساحات الجهاد بقوله:((وأي أمر منكم أحس من نفسه رباط جأش عند اللقاء، ورأى من احد اخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه، كما يذب عن نفسه...))[2].

ومن الأساليب التي تتطلبها ساحة المعركة وظروفها فن الخدعة العسكرية، فقد مارس الإمام علي ε في معركة صفين هذا الأسلوب لظروف اقتضتها المعركة في تقدير الإمام علي ε قائدا ومقاتلا لكسب مزيد من القدرة على العدو، وكان ((علي (رض) يوم صفين على بغلة رسول الله β المسماة بدلدل، وكانوا لا يقدمون عليه عند حملته وهو عليها، فربما تحول عنها إلى غيرها من دواب الناس قصدا وإرادة...))[3].

ثالثا:الاستطلاع والبريد:

إنّ الأسلوب الاستطلاعي ذو أهمية أساسية وعمق سوقي للعمليات العسكرية ،الهدف منها تحصين الجيوش ورفع قدراتها وقابلياتها في حركاتها الدفاعية والهجومية وقد مارستها جيوش المسلمين في معاركها الأولى، وكان الإمام علي ε من القائمين بهذه المهمات الاستطلاعية بنجاح وفقا لتوجيهات القائد الأعلى لجيوش المسلمين الرسول β [4]، ففي فترة خلافة الإمام عليε ومع بداية تمرد والي الشام على الخلافة الشرعية، بادر الإمام علي ε إلى تفعيل النشاط الاستطلاعي لمعرفة حقيقة الأمور بالشام، وتوجهات واليها معاوية بن أبي سفيان فبعث ε رجلا بمهمة استطلاعية وردت إلى الإمام علي ε من أن معاوية بن أبي سفيان سيقوم باستغلال موسم الحج بإرساله عددا من الشاميين مهمتهم نشر الاشاعات التي تخدم توجهات معاوية بين الحجيج، وعلى هذا الأساس كتب الإمام علي ε إلى عامله على مكة يطلعه على تلك المعلومات المهمة لأخذ

---

(١) سورة الصف، آية:٤ ؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٤/ ص٥٢٢.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،ج١١/ص١٠٩.

(٣) ابن دحية،أبو الخطاب عمر بن الحسن(ت٦٣٣هـ)، أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، دراسة وتحقيق : محمد محزون،(بيروت،١٩٨١م)،ص٦٤.

(٤) ينظر:ابن اسحق، سيرةابن اسحق،ص٣٣٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢/١٩٠ص،١٩١،ج٣/ص٨٢.

التدابير اللازمة، لذلك، وجاء في كتاب الإمام علي ع ما يأتي: ((فان عيني بالمغرب كتب يعلمني انه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب الصم الأسماع الكمه الإبصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق.. فأقم على ما في يديك قيام الحازم الطبيب، والناصح اللبيب، التابع لسلطانه المطيع لامامه وإياك وما يعتذر منه، ولا تكن عند النعماء بطرا، ولا عند البأساء فشلا...))[١].

ولأجل أن تقوم قطعات الجيش الزاحف بتحقيق أهدافها وغاياتها بالشكل السليم ابتداء من حركة الجيش وتأمين الطرق التي يسلكها حتى ساحة المعركة، وبناءا على هذا فقد وجه الإمام علي ع بالاعتماد على القيام بالمهمات الاستخبارية والاستفادة من معلوماتها في كل

الصفحات العسكرية. لذا فقد وجه ع بالتوجه التالي:((واعلما أن مقدمة الجيش عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والحجر في كل جانب كي لا يغتركما عدو، أو يكون لكم كيد...))[٢].

وأكد الإمام علي ع على دعوته اتصال القيادات الميدانية بالقيادة العليا من خلال اعلامه بمستجدات الحوادث والوقائع فأمر قادته بقوله:((وليكن عندي كل يوم خبر كما ورسول من قبلكما...))[٣].

وتأكيد آخر في إحدى وصايا الإمام ع العسكرية إلى قادة الميدان المكلفين بمهام عسكرية شدد الإمام ع كونه القائد الأعلى للجيش على رفع المعلومات المتوافرة لدى ذلك القائد بكل الظروف المحيطة به سواء ما يتعلق بجيشه أو بجبهة العدو، فقال له ع: ((واخبارك في كل حين بكل حال...))[٤].

رابعا:الفتوحات العسكرية في عهد الإمام علي ع :

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦/ص١٠٧.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص١٢٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦٦.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص٢٤.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٩.

تتميز هذه الفترة بانحسار الفتوحات ،ولم يكن الإمام علي ε بأقل حماسا واندفاعا باتجاه نشر الدين الإسلامي، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ،وإنما السبب الحقيقي يكمن وراء ((انشغال الإمام ε بالحروب الجانبية الداخلية، أبعدته عند تحقيق أمنيته والوصول إلى أغراضه واهدافه الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها...))[١].

وهذا لا يعني أن الإمام علي ε قد أهمل هذا الجانب نهائيا بل أولاها بعض اهتمامه حيثما يسمح الظرف والضرورة، فحينما نقض بنو تغلب العهد وامتنعوا عن دفع ضريبة الجزية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وقد وضع الإمام علي ε هذه القضية في حساباته العسكرية أيام خلافته فقال:((لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي، لأقتلهن مقاتليهم ولاسبين ذريتهم، فقد نقضوا العهد، وبرئت الذمة حين نصروا أولادهم))[٢].

أمّا جانب الفتوحات فقد كان الإمام علي ε يوليه اهتماما ما استطاع إليه سبيلا، ففي بداية فترة حكم الإمام علي ε:((دعا... جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فعقد له عقدا ولاه بلاد خراسان وأمره بالمسير إليها ليفتح ما بقي منها...))[٣].

وكان أمر سجستان مضطربا منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض)، وحينما تولى الإمام علي ε الخلافة وعندما فرغ من أمر الجمل ((بعث عبد الرحمن بن جزء الطائي إلى سجستان، وكان صعاليك العرب قد تجمعوا مع عسكر حسكة بن عتاب، وعمران بن فضيل البرجمي، وأصابوا من زالق[*]، وقد نقض أهلها وأصابوا منها فقتلوا عبد الرحمن...))[٤] فأردف الإمام ε بجيش آخر بقيادة ((عون بن جعدة بن هبيرة المخزومي إلى سجستان فقتل.. في طريق

---

(١) الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε، روح الإسلام الخالد، ص١٢٥.

(٢) للمزيد ينظر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي(ت٣٢٨هـ)، وقيل(ت٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق : محمد حسين الزبيدي،(بغداد، ١٩٨١م)، ص٢٢٤.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج٢/ص٢٦٨، ٢٦٩.

(*) زالق: (من نواحي سجستان ،وهو رستاق كبير فيه قصور وحصون...).ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان،ج٤/ص٤٦٥.

(٤) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٩٤.

العراق...))[1]، ثم كتب الإمام ε إلى عبد الله بن عباس أن يرسل جيشا في أربعة آلاف، وبالفعل وجه ابن عباس ذلك الجيش، ((فلما وردوا سجستان قاتلهم حسكه فقتلوه...))[2].

وفي عهد الإمام ε أيضا تم فتح السند، وذلك في ((آخر سنة في من ثمانية وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين... توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي، متطوعا بإذن أمير المؤمنين، فظفر وأصاب مغنما جسيما وسبياً...))[3].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٨٣؛ البلاذري، انساب الاشرف، ج٢/ص٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) قدامه ، الخراج وصناعة الكتاب، ص٤١٣، ٤١٤.

المبحث الثاني

البعد الروحي(الديني)

أولا: **الصلاة**:

يروي الإمام علي ε أن آخر كلام للنبي β هو وصيته بالصلاة بقوله: ((الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما مكث ايامكم))[١] ثم أن الإمام ε نفسه اولاها عناية كبيرة فأوصى بها ولديه الحسن والحسين ε بقوله: ((الله الله في الصلاة فانها عمود دينكم...))[٢].

إن هذا الحث والعناية الكبيرة بالصلاة لم يكن كونها فريضة دينية فحسب وإنما لما تتضمنه في جوهرها وأبعادها التطهيرية والاصلاحية للنفس،وذلك لقوله تعالى:﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[٣].

ومن هذا البعد كان التزام الإمام علي ε وتمسكه بالصلاة وخصوصا في الحرب لحضورها في نفس المسلم المقاتل وهو يعيش اعلى درجات الصراع بين المعروف والمنكر والحق والباطل ففي لحظات الصلاة حتما ستكون مراجعة للنفس ليتسلح بالطمأنينة زد على ذلك كونها تبعده عن الظلم والخيلاء والتجبر، وان ((لا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون في ذكره لربه وقيامه وبين يديه زاجرا له المعاصي ومانعا من انواع الفساد))[٤]،وفي مضامين الصلاة مضمون تعبدي عسكري يكمن في بعيدين مهمين هما:

الأول : تربية المسلم المقاتل على التنظيم والالتزام بالتوقيت أمّا البعد الثاني فيكمن في تبيان روح الطاعة وإظهارها لله ،وللإمام بوحدة وتماسك الجيش باصطفائه خلف امامه، وهذان البعدان

---

(١) ابن حنبل، المسند، ج١/ص٩٨.

(٢) الكيذري،قطب الدين، (من أعلام ق٦هـ)، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تحقيق :عزيز الله العطاردي،(قم،١٤١٦هـ)، ج٢/ص٥٠٦.

(٣) سورة العنكبوت، آية : ٤٥؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ /ص٤٥٩.

(٤) الشيخ الصدوق،أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٢٨١هـ)، علل الشرائع، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، (بيروت،د.ت)، ج٢/ص٥٠٦.

يؤديان إلى الامتثال للإمام القائد والحضور الدائم عنده، بهذه المضامين التعبدية والاجتماعية والعسكرية فقد ((عد الإمام على ε الصلاة جزءا لا يتجزأ من سياسته العسكرية ولذلك حرص على الالتزام بها في أثناء حركاته وحروبه...))[١].

فحينما قاد الجيش إلى البصرة كان اول عمل قام به هو الصلاة عندما ((نزلوا بالموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات وعفر خديه بالتراب وقد خالط ذلك دموعه...))[٢].

ثم كان للإمام علي ε مقدمات قبل الصلاة ربما يعلن فيها سلامة موقفه ومدى تطابق موقفه مع نداء السماء للصلاة، وكان ε يعلن ذلك بكل فرح وسرور، ومما يذكر في ايام معركة صفين انه ((لما أذن مؤذن علي حين طلع الفجر...))[٣].

هتف الإمام علي ε قائلا:

يـــا مرحبـــا بالقـــائلين حقـــا وبالصـــلاة مرحبـــا وأهـــلا[٤]

وكان ε كثير الحث لجيشه بالتوجه لأداء فريضة الصلاة، فهي باعث روحي ومعنوي فضلا عن التضرع لله سبحانه وتعالى وطلب العون والنصر منه، فعندما قرر الإمام علي ε في إحدى معارك صفين أن يزج بالمقاتلين جميعا للمعركة في اليوم التالي[٥]، توجه الى أفراد جيشه طالبا منه أن يجتهدوا ويقيموا الصلاة فقال لهم: ((فاطيلوا الليلة القيام...))[٦].

وكان الإمام عليε يؤدي صلاته في أوقات الصلاة جميعا قبل التوجه إلى المعركة، ـ في الأغلب ـ،وعلى هذا النهج والالتزام العالي والتوجه الروحي بالصلاة لجيش الإمام علي ε يتجسد هذا المنهج في ليلة الهرير عندما ((حانت صلاة المغرب فلما صلى بالناس إلا ايماء صلاتي العشاء

---

(١) المياحي، شكري ناصر عبد الحسن، الإمام علي ε دراسة في فكره العسكري، ص٤٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص

(٣) المنقري ، وقعة صفين، ص٣٣٠؛ ابن الوردي زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩ هـ)، تاريخ ابن الوردي ، ط٢ (النجف ١٩٦٩م) ، ج١/ص٢١٠.

(٤) م.ن.

(٥) المنقري، وقعة صفين، ص٢٢٥،

(٦) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٧٩ .

...كذلك وصلى الناس الصبح ايماء وهم في القتال...))[1].

ثانيا:الدعاء:

إنّ للدعاء حيزا كبيرا في حياة الأنبياء ε والأولياء الصالحين تعبيرا عن إيمانهم ونقاء سريرتهم وعظيم ارتباطهم بالله عز وجل في السراء والضراء، وكانت ادعيتهم لها آدابها وسماتها التي أثنى عليها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2].

وللدعاء في فكر الإمام علي ε مفاهيم وقيم عظيمة القدر والمنزلة يذكرها ليعمقها في نفوس المسلمين، ودلالة على ذلك بقول: ((أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى في الأرض الدعاء وأفضل العبادة العفاف))[3].

وزيادة على الجانب التعبدي في الدعاء هناك الجانب النفسي وأثره في بعث الطمأنينة والسكون في القلوب ولاسيما ((عند قدوم أمارات الحرب وإدبار بوادر السلام تكون النفوس مشدودة إلى القتال وما ستؤول إليه الأمور من نتائج ، الإمام ε في هذه المواضع اراد أن تكون العودة إلى الله باللجوء اليه تعالى، وهو الذخيرة الكبرى،والمغنم الجسيم الذي على المقاتلين أن يتوجهوا إليه بنياتهم ومقاصدهم...))[4].

ومن مقاصد الدعاء الرئيسة عند الإمام علي ε في كل الظروف وظرف الحرب خاصة مقصد التوكل على الله القوي العزيز ففيه إشارة وعبرة للمقاتلين بان لا مناص للإنسان مهما بلغت قوته وسلطته. وملكه لله إلا بتوفيق من الله وألطافه ولا بد له أن يتوكل عليه سبحانه وتعالى بطلب الاستعانة وتقريب النصر، ولاسيما عندما ترتبط الغاية بالعمل، واستجابة لأمر الله تعالى من

---

(١) ابن كثير، البداية والنهائية، ج٧/ص٢٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٣/ ص١٣٣.

(٣) ابن طاووس، ابن الهادي علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد (ت٦٦٤هـ)،فلاح السائل ونجاح المسائل تحقيق: غلام حسين المجيدي، (د.ب ، ١٤١٩هـ)، ص٧٢.

(٤) العبادي ، محمد ، الإمام علي ε وتنمية ثقافة اهل الكوفة ، (قم،١٣٨١هـ)، ص٤١.

المؤمنين بالتوكل وحبه للمتوكلين كما في قوله تبارك تعالى:﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

لذا اقترنت فواتح أعمال الإمام علي ε بأدعية خصها للتوكل على الله وكان يؤديها علنا ليقتدي بها أفراد جيشه ويكون أدب الدعاء عندهم سنة محببة كما استنها الإمام ε ،من الأنبياء (عليهم السلام) ومن رسول الله β، فعند التوجه للمعركة وفي بداية كل حركة كان هناك دعاء خاص يتناسب مع تلك الحالة التي هو عليها ε فحينما يضع رجله في ركاب دابته: قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم، فلما جلس على ظهرها، قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وانا إلى ربنا لمنقلبون))[2]، ثم يقول ε: ((اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب...))[3]، أمّا عند اشتداد المعركة فينبرى ε بأدعية الخوف والتضرع يتوجه بها إلى العزيز القدير، منها تضرعه بقوله ε: ((لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين))[4]، وغيرها من الأدعية التي بينها الإمام علي ε في ميدان الحرب وقد ((قفاه... بأبلغ الكلام، وتممه بأحسن تمام...))[5]، فحينما نزل الإمام علي ε البصرة لملاقاة جيش اهل الجمل، توجه لله تعالى بكل أدب وخشوع ثم رفع يديه يدعو: ((اللهم رب السماوات وما أظلت، والارضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذا البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٥٩؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران ،ج٤/ص١٠٧.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣/ص١٣٠؛ الابطحي، محمد باقر الموحد، الصحيفة العلوية الجامعة للأدعية، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي ε (قم،١٤٢٣هـ)،ص٤٩٤.

(٣) العطاردي،شارح ومحقق(من اعلام ق٨هـ)،شرح نهج البلاغة،تحقيق:عزيزالعطاردي(قم-١٤١٧هـ)،ص٤٩٥.

(٤) المنقري، وقعة صفين، ص٣٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٤٣.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣/ص١٢٩.

علي ونكثوا بيعتي، اللهم أحقن دماء المسلمين...))[١].

وكان الإمام علي ε قبل أن يبدأ بقتال عدوه يدعو قائلا: ((اللهم إليك أفضت القلوب ومدت الأعناق، وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وأغطيت الأبدان، اللهم قد صرع مكنون الشنآن، وجاشت مراجل الإضغان،اللهم انا نشكو إليه غيبة ولينا وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا...))[٢].

وكثيرا ما كان الناس يرون الإمام ε حينما يحمي وطيس المعارك أنه قد ((انتقل إلى القبلة يدعو...))[٣].

ومن أدعية الحرب لدى الإمام علي ε التي تحمل كثيرا من المضامين العلمية والأخلاقية ومنها هذا الدعاء: ((اللهم رب السقف المحفوظ المكنون الذي جعلته سقفا لليل والنهار، وجلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم،وجعلت فيه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة، ورب الأرض التي جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام، ولا يحصى مما نرى وما لا نرى من خلقك العظيم ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ورب السحاب المشجر بين السماء والأرض ورب البحر المسجور ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا وللخلق متاعا، أن ظهرتنا على عدونا فنجنا البغي والفساد وسددنا الحق، وان أظهرتهم علينا فأرزقنا الشهادة وجب بقية أصحابي من الفتنة...))[٤]

وهناك أدعية يرددها الإمام علي ε على السرعة والبديهية آنية تتناسب ولغة الحوار والموقف واشبه ما تكون توضيحية تبين سلامة موقفه وتدعم حجته، ففي أثناء حركة جيشه متوجها إلى البصرة، وعندما كان على مشارف الكوفة اخبر الإمام ε بما اقترفه أهل الجمل بالبصرة من ((قتل ومن اخراج عثمان بن حنيف وأخذهم أموال بيت المال...))[٥]، ففي تلك اللحظة دعا الإمام علي ε بدعاء سريع قائلا: ((اللهم عافني مما ابتليت بها طلحة والزبير...))[٦]، والزبير...))[٦]، وعند دعوته للزبير وسط المعركة، وسأله عن المسوغات التي دفعته لحربه له،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨٠.

(٢) الكيذري، حدائق الحقائق، ج٢/ص٤٠٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص١٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٧/ص٢٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٧/ص٢١٩.

(٦) م.ن.

وقد احتج الزبير بالطلب بدم عثمان، وفي هذا الموقف لم يكن جواب الإمام علي ε بجملة أفكار، وإنما أعلن براءته من دم عثمان بدعاء على السرعة قائلا: ((قتل الله أولانا بدم عثمان))[١].

وفي أثناء معركة الجمل ((ضج أهل البصرة بالدعاء، وسمع علي بن ابي طالب الدعاء فقال: ما هذه الضجة: فقالوا عائشة تدعوا ويدعون معها على قتلة عثمان واشياعهم فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان واشياعهم...))[٢].

ولربما امتزج رثاء الإمام علي ε وترحمه على الشهداء بالدعاء ومما يذكر انه حينما وقف في معركة صفين على مصرع هاشم المرقال وبعض القتلى حوله فارتجل الإمام علي ε يقول:

جزى الله خيرا عصبة اسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا نقذ ثناه وذكره إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم[٣]

ومن هذا يتضح ارتباط ((الدعاء بسيرة الإمام علي ε ارتباطا وثيقا، فقد عرف عنه كثير من الأدعية في جوانب متعددة شكلت بمجموعها ثروة علمية تحوي الكثير من المضامين والأبعاد))[٤].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨٢ ، ٣٨٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٥١٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٤٠٤.

(٤) المياحي، شكري ناصر عبد الحسن، الإمام علي ε دراسة في فكره العسكري، ص٤٧.

المبحث الثالث

البــعد الإنســاني

أولا:الحسم العسكري:

يتبين مما تقدم القدر الكبير من سياسته العامة لحرية الرأي الذي منحه لمعارضيه ،أيّا كان العنوان وأيّا كانت المسميات، فقاعدة انطلاق الإمام علي ε ونهجه الذي لا يحيد عنه هو الحق، وعلى أساسه يجاهد لبناء نهضة الأمة الإسلامية وحفظ دماء أبنائها، في السلم والحرب.

وأوضح الإمام علي ε تلك النظرية التي يستند إليها حينما((جاء رجل... بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة، والرسول واحد والصلاة واحدة، والحج واحد، فيم نسميهم، فقال له أمير المؤمنين: سمهم بما سماهم الله عزّ وجلّ في كتابه أمّا سمعته تعالى يقول:﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾[1]، فلما وقع الاختلاف كنا أولى بالله، وبدينه وبالنبي β ، وبالكتاب وبالحق، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله منا قتالهم فقاتلناهم بمشيئته وأمره وإرادته...))[2].

ومع هذا اليقين الراسخ عند الإمام علي ε بمواقفه في السلم والحرب كونه إماما وخليفة وأمينا على هذه الأمة ودينها الإسلامي وحمايته من كل انحراف،يتصدى له الأساليب السلمية عن طريق الحوار((ولم يكن يغلب أمر الحرب والقتال على دعوة السلم والصلاح في إطار منطلق الإمام علي ε الذي يدعو إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول ε :إني نظرت فلم أجد إلا الكفر بالله والجحود بما أنزل الله تعالى أو الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاخترت الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الكفر بالله

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٥٣.

(٢) الشيخ المفيد، الأمالي،ص١٠١.

والجحود بما أنزل ومعالجة الأغلال في نار جهنم، إذا وجدت أعوانا على ذلك))[١].

وتتضح معالم سياسة الإمام علي ε من خلال سيرته التي لا يدخر منها سبيلا، ومنح معارضيه القدر الكافي من الحرية والوقت، فيقول ε :((سأمسك بالأمر ما استمسك، وإذا لم اجد بداً فآخر الدواء الكي))[٢] ،ولعل في هذه المدة فرصة لاحتواء الأزمة وتفادي وقوع الحرب، وفي السياق نفسه يخاطب الإمام علي ε معاوية بقوله:((أنا سرنا مسيرنا هذا إليكم ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار إليكم))[٣]؛ والحسم ياتي:((حينما تنفد الحلول والحجج في إعادة الحق اى نصابه وموضعه، عند ذلك يختار الإمام ε الحل الاستئصالي إزهاقا للباطل، واجتثاثا لجذوره))[٤]، وبعدما يتأكد((من عبث المفاوضات وعقم الحلول الوسطية))[٥]، وحينها تفرض المصلحة الإسلامية العامة على الإمام ε اللجوء إلى الحزم والشدة،واتخاذ الخيار المناسب في حالة تهديد المعارضين أمن الدولة وكيانها أو الإجهاض عليها مستغلين المرونة السياسية للقيادة؛ لكن الإمام علي ε يحذر معارضيه من هذا الاعتقاد بقوله:((والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم، حتى بصل إليها طالبيها ويختلها راصدها...))[٦].

ومن الأمثلة على ذلك واقعة الجمل التي تتجسد فيها الصورة السياسية والتاريخية من ما يعرضه الإمام علي ε بصفته القائد، وما قام به المعارضون من تجاوز على حقوق الأمة قيادة وشعبا بقوله:((أيها الناس أن طلحة والزبير قدما البصرة، وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي فدعوهم إلى معصية الله وخلافي، فمن أطاعهما فهم قتلوه ومن عصاهم قتلوه.. فقد كشفوا الآن القناع وآذنوا بالحرب وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم، وقد أرعد وصاحبه وأبرق.. وقد خرجوا من هدى إلى ضلال، دعوناهم إلى الرضا، ودعونا إلى السخط، فحل لنا ولكم ردهم إلى الحق والقتال، وحل لهم بقصاصهم

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج٢/ص٥٧.

(٢)الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ص٣٠٦ .

(٣) المنقري، وقعة صفين،ص١٦١.

(٤) العبادي، محمد، الإمام علي ε وتنمية ثقافة أهل الكوفة،ص١٥٦.

(٥) بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص١٣٢.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١/ص٤١٢.

القتل...))[1].

وهذا يعني: أن((لجوء قوى المعارضة إلى الخيار العسكري أو المؤامرات الخطيرة التي قد تشق صفوف الأمة وكيانها المادي والمعنوي... فإن الحكومة الشرعية ملزمة بالتصدي لهذا النمط من المعارضة بدرجة من القوة يكفي لرد شرورها عن المجتمع...))[2].

ثانيا:أخلاق المقاتل:

مما لا شك فيه أن ظروف المعارك والحروب تولد حالات نفسية حادة لدى المتقاتلين ومن الصعب التحكم بزمام سلوكهم،فيعيشون حالات الانتقام والحقد والتشفي إلا ما ندر من الفرسان المقاتلين الذين يعصمهم الله سبحانه وتعالى، ويجعلهم ممن لا يرتقي الغضب إلى نفوسهم، فترتقي أخلاقهم وتسموا في المعركة مهما بلغت درجة النصر، ويحتبسون هذه الأخلاق في الإمام علي ε ((فكان يعرف العدو عدوا حيثما يرفع السيف... لقتاله ولكنه لا يعادي امرأة ولا رجلا موليا ولا جريحا عاجزا عن قتال ولا ميتا ذهبت حياته ولو ذهبت في سبيل حربه... بل لعله يذكر له ماضيه يومئذ فيعطف على قبره ليبكيه ويرثيه ويصلي عليه...))[3]، ومن المواقف النبيلة والمشرفة التي أبداها الإمام ε في معاركه التواضع والابتعاد عن الزهو والغطرسة التي يُعرف بها المقاتلون الشجعان وهي جزء من الحرب النفسية في الحروب،وغالبا ما كان يتوارى عن تلك الأفعال ، ومما يذكر في هذا الشأن انه كان يحب ركوب البغال دون الخيل، وهذا من تواضعه وثقته بشجاعته والشجاعة هي منبع الخيلاء و الزهو لدى الفارس المقاتل؛لكن أخلاق الإمام ε كانت على النقيض من ذلك ((وقيل له: انت مجرب مطلوب، فلو اتخذت طرفا[4]. قال: أنا لا افر عمن كر ولا اكر على من فر فالبغلة تكفيني))[5]، ومن ثم أن نبل الإمام ε يبعده عن الحقد واللؤم، فلا يتبع منهزما منهزما امامه بل يتركه إلى سبيله.

---

(١) الشيخ المفيد، الجمل،ص٣٣١.

(٢) السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ، ص١٥٨.

(٣) ابن دحيه، اعلام النصر المبين، ص١٠٣.

(٤) الآبي، أبو سعيد بن منصور بن الحسين(ت٤٢هـ)، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ،(بيروت،٢٠٠٤م)، ج١/ص٢٠٠.

(٥) الطرف:الكريم من الخيل، ينظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مادة طرف ، ص٦٦.

وابتعد الإمام ε عن زهو الفرسان المقاتلين المعروفين باهتمامهم بلباس الحرب من الخوذ، والدرع أو القناع حسبما كانت عليه السياقات، الحربية في عصره فاتخذ درعا بسيطا ويذكر انه ((صدرا بلا ظهر...))[١].

ومن الأخلاق الكريمة والنبيلة التي كان الإمام ε يؤمن بها إيمانا عقائديا ترسخ في روحه وسلوكه، ما كان يقول ε:((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر قدرتك...))[٢].

ومن السياقات المتبعة في المعارك آنذاك سياق طلب المبارزة في الميدان تعبيرا معنويا عن القوة والتحدي الممزوج بالزهو، في حين أن الإمام علي ε رفض مثل هذا السلوك ويعتبره فيه كثير من الظلم والتعدي وربما أخذ بالحسبان الأبعاد النفسية التي فيها شيء من الاحراج للمدعو إلى المبارزة،لذا فقد نهى الإمام علي ε عن هذا السياق وقال:((لا تدعون إلى مبارزة فان دعيت فاجب، فان الداعي باغٍ والباغي مصروع))[٣].

ومن المواقف الإنسانية النبيلة ما أبداه الإمام علي ε في معركة أحد التي انهزم فيها المسلمون وفر اغلبهم من ساحة المعركة[٤]،

الا ثلة قليلة مؤمنة أمثال الإمام علي ε تراه فوق كل موقف متماسك القوى والذهن مبتعدا عن كل شطط ملتزما بأخلاق الفرسان العليا، فهذا حامل لواء المشركين في احد طلحه بن أبي طلحة قد ((حمل عليه فأتقاه علي بالدرجة فلم يصنع شيئا وحمل عليه علي ε وعلى طلحة درع مشمرة فضرب ساقيه فقطع رجليه، ثم أراد أن يقضي عليه فسأله الرحم فتركه علي...))[٥].

وقيل للإمام علي ε: ((أفلا أجهزت عليه؟ فقال: انه استقبلني بعورته، فعطفني عنه

---

(١) ينظر: بن دحيه،أعلام نصر المبين، ص١٠٣؛ ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله مسلم(ت٢٧٦هـ)،عيون الأخبار،شرحه وعلق عليه وقدم فهارسه: يوسف علي الطويل،(بيروت، د.ب)،ج١/ص٢١٣.

(٢) الآبي،نثر الدرر ، ج١/ص٢٠٠.

(٣) ينظر:الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص٦٤٤؛جرداق،الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج١/ص١٦٩.

(٤) ابن إسحق،سيرةابن اسحق،ص٣٢٨؛ هيكل، محمد حسين،حياة محمد β،(القاهرة،١٣٥٤هـ)،ص٢٦٤.

(٥) الواقدي، المغازي، ج١/ص٢٢٥.

الرحم))[1].

وفي معركة الخندق سنة (٥هـ) بدر من الإمام علي ε موقفا جسد فيه مروءته ونبله فعندما((تمكن من قتل عمرو بن عبد ود ا لعامري لم يقتله على الفور فقيل له: لَمَ لمْ تقتله عند أن تمكنت منه؟ فقال: انه في تلك الحال سبني وخشيت أن اقتله لأجل غضبي فتركته حتى سكن غضبي وقتلته غضبا لله تعالى...))[2]، ولهذه الشهرة والشجاعة والشرف والنبل في القتال، فقد عد المقتول بسيف الإمام علي ε حائزا على المجد والشهرة أيضا[3]، ومن هذا المبدأ قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثي أخاها:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيت ابدا ما دمت في الابد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضه البلد[4]

وفي وقعة الجمل سنة (٣٦هـ) وانطلاقا من ثوابت الإمام ε الأخلاقية والإنسانية في الحرب، استدعى الزبير بن العوام، وذكره بحديث النبي β للزبير بمقاتلته الإمام ε وهو ظالم له، فتذكر الزبير ذلك الموقف، وأعلن انسحابه من المعركة إلا أن ابنه عبد الله قد عيره بالجبن، وأراد الزبير أن يبرهن بأسه وشجاعته أمام ابنه بالهجوم على جيش الإمام ε، فقدر الإمام ε ذلك الموقف عندما قال الزبير لابنه: ((أبالجبن تعيرني لا أبالك؟ ثم أمال سنانه وشد في الميمنة فقال علي: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسرة، ثم رجع فشد في القلب، ثم عاد إلى ابنه، فقال: ايفعل هذا جبان؟ ثم مضى منصرفا...))[5].

وهكذا عالج الإمام علي ε موقف الشيخ نفسيا بان يحفظ له كرامته.

وبعد الانتصار الكبير الذي تحقق لجيش الإمام على خصومه في معركة الجمل لم تخالج روح الإمام ε ولو للحظة واحدة روح الانتقام والظلم أو زهو القائد المنتصر، بل على النقيض من ذلك

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٣/ص٦٤؛ القضاعي، دستور معالم الحكم، ص٢٧.

(٢) المحلي،أبوعبدالله بن أحمدالمستشهد(ت٦٥٢هـ)،محاسن الإزهارفي مناقب الابرار،تحقيق:محمدباقر المحمودي،(قم،١٤٢٢هـ)،ص٤٦٣.

(٣) ينظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١/ص٢٥٤.

(٤) بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١/ص٤٦.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨٢.

تماما دعا إلى ما تمليه عليه إنسانيته وشريعة إلا سلام الحقيقية فنادى موصيا أفراد جيشه: ((لا تتبعوا مواليا ولا تجهزوا على جريح ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن...))[١].

وفي معركة صفين تكررت مواقف مشابهة لموقف طلحة الآنف الذكر وذلك عند اشتداد المعارك واجتلاد المقاتلين من اهل العراق والشام فلما ((حمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاتجلدوا، وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه عليه.. ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارنت، فقال القوم: افلت الرجل يا أمير المؤمنين قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا قال: فانه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه))[٢].

وفي وقعة صفين أيضا لم يكن بسر بن ارطأة بأوفر نصيبا ممن سبقه من الذين دفعوا الخطر،وطلبوا النجاة من سيف الإمام علي ε بذات السلوك الشائن[٣] لمعرفتهم بسمو أخلاق الإمام علي ε فلا يأخذ الغضب من حمله وان كان هو المنتصر فالحرب عند الإمام علي ε هي حرب لتأسيس مجتمع إسلامي تترسخ فيه الفضيلة والإيمان بدلا من الرذيلة ومواريث الجاهلية، فانتصار الفضيلة والإيمان هو الانتصار الحقيقي عند الإمام ε.

وعلى هذا الأساس فكان الإمام علي ε قبل كل معركة يدعو إلى مبادئ الفضيلة والإنسانية وشرف المقاتل ونبله في ساحة المعركة، ومن بعض دعواته قوله: ((ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً...))[٤].

وأخلاق الحرب عند الإمام علي ε نهجاوسلوكا فعليا((فلم يقاتل قوما قط من اهل القبلةممن خالفه حتى يدعوهم، وانه لم يتعرض بعد قتالهم وظهوره عليهم لشيء من مواريثهم ولالنسائهم ولالذراريهم،ولم يقتل منهم أسيرا ولم ينفق على جريح،ولم يتبع مدبرا...))[٥].

---

(١) الدينوري، الإخبار الطوال، ص١٤٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/ص١٤٠.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص٤٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٤٤.

(٣) ينظر: المنقري، المصدر نفسه، ص٤٦٠، ٤٦١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨١.

(٥) أبو يوسف ، الخراج، ص٢١٤.

هذا السلوك الإنساني الخلقي لدى أمير المؤمنين ε لم يكن للدعاية الإعلامية العسكرية والسياسية والكسب والتأييد الشعبي المزيف القائم على المكر والخديعة فيقول ε: ((لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة))[١].بل أن الإمام يسعى إلى بناء مجتمع قائم على العقيدة الاسلامية أصولا وفروعا من خلال جهاده بالكلمة الصادقة أو السيف على حد سواء ((وكان... لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة...))[٢].

وفي بداية وقعة صفين ((سبق جيش معاوية جيش الإمام علي ε إلى نهر الفرات فاخذوا مواقعهم وسيطروا عليه ومنعوا جيش الإمام ε منه لأيام حتى توسل الناس إلى معاوية وقالوا: لا تقتل الناس عطشا، فيهم العبد والأمة والأجير فأبى معاوية.. فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل إلى الفرات، وغلبهم على المشرعة، قال أصحاب معاوية: انه لا قوام لنا وقد اخذ علي الماء! فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أن عليا لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه، فأطلق علي الماء ...))[٣].

ولو أراد الإمام أن يمنعهم الماء لكان القصاص على أقل تقدير، ومن ثم انه لو منع الماء عنهم لاستطاع أن يضعف جيش معاوية وقومه بسهولة، لكن شرف علي ε وأخلاقه أنبل وأسمى من أن يمنع المباح واللازم مثل الماء والأكل، وهذه نابعة من تكامل مكارم الأخلاق الذي إذا رجعت إلى الخصائص النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها[٤].

ثالثا: موقف الإمام عليε من القتلى :

بعد انتصار جيش الإمام علي ε في معركة الجمل يعلن الإمام ε تمسكه بأخلاقه ويقتل نشوة النصر في نفسه بوصفه القائد لهذا النصر، فراح يظهر الحزن والأسى بدلا من إظهار الحقد والتشفي، ويندر أن يعرف التاريخ قائدا يتوجع على القتلى من اعدائه ولاسيما بعدما ألبو

---

(١) ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦/ص١١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج١٠/ص١٧٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٠.

(٤) أي الواضح الأمر، وطلاع الثنايا: الأنجد،... مجرب للأمور ركّاب يعلوها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه والذي يؤم معالي الأمور .ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة طلاع ، ص٦٨٧.

عليه وارهقوا الأمة الإسلامية واستنزفوا دمائها وطاقاتها المادية والمعنوية. لكن الإمام ε ذهب إلى مضاجع القتلى وفاض وجده بقوله: ((شقيت نفسي وجدعت انفي...))[١].

وفي ظلمة تلك الليلة خرج الإمام علي ε بصحبة ((مولاه وبيده شمعه يتصفح وجوه القتلى حتى وقف على طلحه بن عبيد في بطن الوادي متعفرا فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول أعزز عليّ يا أبا محمد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الأودية إنا لله وإنا إليه راجعون))[٢].

وفي مكان آخر من المضاجع قال الإمام علي ε: ((أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش تحت بطون الكواكب...))[٣].

وهكذا ((كان علي بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه.. وقد مر على ما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال لهفي عليك يا أبا محمد...))[٤].

رابعا: سياسة معاملة الأسرى:

إن سياسة الإمام علي ε مع أسرى الحروب والمعارك هي من مضامين فكره السياسي،إذ تكشف عن طبيعة ذلك الفكر الإنساني الخلاق الذي يمثل جوهر الإسلام وروحه الحقيقية التي تتجاوز الحدود الضيقة للنوازع البشرية، كالأحقاد وروح الانتقام، فبعد الهزيمة المرة التي مني بها جيش الجمل، لم يدع الإمام علي لعنفوان النصر أي مكان له في نفسه و روحه في تعامله مع أسرى هذه المعركة وبالأخص مع السيدة عائشة التي أحاطها بالإجلال والتقدير وبما يليق بمكانتها كزوجة لرسول الله β متناسيا مواقفها في التحضير والتأجيج لهذه المعركة وما خلفته من آثار سلبية وخيمة في جسد الأمة الإسلامية فآثر الإمام علي ε إلا أن يقصدها بنفسها زائرا في البيت التي تقيم فيه[٥]، فوجدت الإمام علي ε ((الرجل الذي حاربته بالبغضاء فحاربها بالحلم والمروءة، وغالبته بالعنف والتآمر فغلبها بأريحية نفسه وصفاء قلبه

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٩١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٢٧. وينظر: ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد(ت٣٢٨هـ)العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، (بيروت، ١٩٩٩م)،ج٤/ص١٢٨.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١/ص٩٤، ابن الوردي، تاريخ، ج١/ص٢١٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٢٨.

(٥) للمزيد ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص٩٨؛ القضاعي، دستور معالم الحكم، ص٦٨,٦٩.

من الحقد والضغينة...))[1].

وهيأ لها الإمام علي ε موكبا مهيبا لعودتها إلى بيتها في المدينة بعدما سألها ε: ((أترحلين، قالت: ارتحل، فبعث معها... أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائن، ويتقلدن السيوف، وان يكن من الذين يلينها، ولا تطلع على انهن نسوة، فجعلت عائشة تقول في الطريق: فعل الله في ابن ابي طالب وفعل، بعث معي الرجال، فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها، فقالت: جزى الله ابن أبي طالب الجنة...))[2].

وفي وجه آخر لمعاملة الإمام علي ε الإنسانية للأسرى، وغيرهم على هامش المعارك ما كان من ابتدار النسوة اللواتي كن في الدار التي فيها السيدة عائشة حيث استقبلنه عند دخوله و((صحن في وجهه وقلن: يا قاتل الأحبة، فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت...))[3]، وكان الإمام علي ε يعلم أن كلا من مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير(ت٧٣هـ) وعبد الله بن عامر(ت٥٩هـ) قد لجأوا للاختفاء في الدار التي فيها السيدة عائشة[4].

وفي خلافة الإمام علي ε ـ وبعد وقعة صفين ـ، حدث تمرد في خراسان، قادته ابنة كسرى، وتم القضاء على هذا التمرد، وجيء بابنة كسرى أسيرة إلى الكوفة، وأدخلت على الإمام علي ε فخاطبها قائلا: ((أتحبين أن أزوجك من ابني هذا الحسن، قالت لا أتزوج احد على رأسه احد، فان أنت أجبت رضيت بك، قال: اني شيخ كبير وابني هذا من فضله كذا وكذا، قالت أعطيتك الجملة، فقام رجل من عظماء دهاقين الفرس يسمى نرسي، فقال: يا أمير المؤمنين قد بلغك أني من سنخ المملكة وانا قرابتها فزوجنيها، فقال هي املك بنفسها، ثم قال لها: انطلقي حيث شئت وانكحي من أحببت لا بأس عليك))[5]، ويؤشر موقف الإمام علي ε هذا انموذجا لفكره الحضاري باحترام مشاعر الأسير الإنسانية وصيانة كرامته وحريته.

---

(١) عبد المقصود، عبد الفتاح، الإمام علي بن أبي طالب،ج٢/ص٢٧٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج١/ص٩٨؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٢٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨٩ ؛ القضاعي، دستور معالم الحكم، ص٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٢٩.

(٤) ينظر:ابن اعثم، الفتوح،ج٢/ص٣٣٨؛القندوزي، سليمان بن الشيخ ابراهيم الحسيني(ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة، صححه وعلق عليه: علاء الدين الأعلمي،(بيروت، ١٩٩٧م)، ج١/ص١٧٦، ١٧.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال ،ص١٥٤.

وفي معركة صفين كان عدد من أسرى جيش الشام تحت قبضة جيش الإمام علي ع، فلم يتعرض احد منهم لأي أذى جسديٍّ أو المساس بكرامته؛ لكن الإمام علي ع قام بإجراء عسكري مهني بأخذ تعهد منهم بأن لا يعودوا للحرب ضده مرة أخرى ثم ((أخلى سبيلهم فأتوا معاوية وكان عمرو بن العاص يقول لأسرى أسرهم معاوية: اقتلهم، فما شعروا بأسرهم قد خلى سبيلهم علي، فقال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر... إلا تراه قد خلى سبيل أسرانا...))[1].

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٣/ص٥٧١ ؛ أبو يوسف، الخراج، ص٢١٥.

الفصل الثالث
الأساس المالي والاجتماعي في فكر الإمام عليε

المبحث الأول: **الأساس المالي في فكر الإمام علي** ε.

المبحث الثاني: **الأساس الاجتماعي في فكر الإمام علي** ε .

المبحث الأول

الأساس المالي في فكر الإمام علي ع:

أولا: موارد بيت المال:

تنوعت موارد بيت مال المسلمين، وذلك نتيجة للفتوحات وامتداد الدولة الاسلامية في ارجاء شتى؛إذ تدفقت الاموال والثروات الهائلة على المسلمين.

وقد عدت هذه الاموال ملكا للمسلمين، لا يحق للامام التصرف بها إلا بمعرفتهم، وقد وضعت التشريعات الإسلامية أسس تقسيمها بين المسلمين بالعدل.(١).

وكانت موارد بيت المال في خلافة الإمام علي ع هي:

١- الخراج:

ويعد الخراج موردا مهما وكبيرا لبيت مال المسلمين، ويقصد بالخراج ضريبة كل ارض أخذت عنوة مثل ارض السواد والشام...(٢)،وبصورة عامة فهو ما وضع على رقاب الأرض تؤدي عنها...(٣)،وجاء في قوله تعالى:﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٤).

والخراج احد الحقوق التي ((اوصل الله سبحانه وتعالى المسلمين اليها من المشركين))(٥)،ويفرض الخراج على ((كل ارض تؤخذ عنوة فهي لمن قاتل عليها بمنزلة الاموال اربعة اسهم لمن قاتل عليها وسهم لله وللرسول ولذي القربى والمساكين...))(٦).

وان تحديد مقدار ضريبة الخراج تقدر وفقا لاجتهاد الامام(٧)، لذا فقد روعيت أوجه عدة في الارض الخراجية عند تحديد مقدار ضريبتها ومن هذه الوجوه ((ما يختص الارض من جودة يذكو

---

(١) ينظر: الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى الرابع الهجري، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص١٣٩ .

(٢) ينظر: البلاذري،فتوح البلدان،ص٤٢٩.

(٣) ينظر:الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٤٦.

(٤) سورة المؤمنون،آية: ٧٢؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٣/ ص١٣٣.

(٥) الماوردي،الأحكام السلطانية ، ص١٤٢.

(٦) ابو يعلى، ، الاحكام السلطانية،ص١٤٦.

(٧) الماروردي، الاحكام السلطانية، ص١٤٢.

بها زرعها أو رداء يقل بها ريعها، والثاني ما يختص بالزرع من اختلاف انواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه، ويكون الخراج بحسبه، والثالث بالسقي والشرب، لانما التزم المؤنة في سقيه بالنواضح والد والي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح والامطار))[١].

ثم ((أن اسلم الرجل من اهل العنوة اقرت ارضه في يده يعمرها ويؤدي الخراج عنها... وقال قوم: يكون عليه الخراج ويزكي بقية ما تخرجه الارض عند اخراج الخراج فاذا بلغ خمسة اوسق...))[٢]، لكن الامام علي ε كان ((لايأخذ من ارض الخراج إلا الخراج وحده ويقول: لا يجتمع على المسلم الخراج والزكاة جميعا...))[٣].

وقد حدد مقادير خراجها، ((توضع على كل جريب من الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب الكريم ستة دراهم وعلى جريب الرطاب ستة دراهم...))[٤].ويبدو أن الإمام عليا ε لم يجر أي تعديلات على مقادير هذه الضريبة، الضريبة، لتوافق رأيه مع رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لأن الامام ε كان من الذين أشاروا إليه بمثل هذه الاجراءات[٥].

وهنا لابد من الإشارة إلى انخفاض واردات بيت مال المسلمين من هذه الضريبة لخروج أرضي: الشام ومصر فيما بعد من سيطرة الدولة الإسلامية لتمرد واليها معاوية بن أبي سفيان على الخليفة الشرعي الإمام علي ε ،وانحسار الفتوحات الإسلامية[٦].

وفي تقويم اقتصادي عام لأهمية ضريبة الخراج وتأثيرها في الحياة العامة للمسلمين يقول

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٢) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(٤) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله (ت٣٣٠هـ)، المسالك والممالك(د.ب،د.ت)،ص١٤؛ الجريب: (مكيال قدره قدره اربعة أقفزة...)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة جريب ،ص٥٧.

(٥) ينظر: ابن أدام، يحيى القرشي(ت٢٠٣هـ)، االخراج، صححه وشرحه: ابو الاشبال أحمد محمد شاكر،(بيروت،١٩٧٩م)،ص٢٣.

(٦) ينظر: ياسين، نجمان، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة الراشدية،(الموصل، ١٩٨٨م)، ص٣٠٣.

الإمام علي ε :((الناس كلهم عيال على الخراج وأهله...))[١].

٢ـ ضريبة الجزية:

لم تكن هذه الضريبة من اجتهادات الرسول β أو الخلفاء ، بل فرضها الله تعالى على أهل الكتاب الذين لم يسلموا سنة(٩ هـ) بقوله تعالى:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[٢] ،وبهذا التشريع أصبحت((الجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممن في السوادوغيرهم من أهل الحير وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسمرة ما خلا نصارى بني تغلب وأهل نجران خاصة...))[٣]، والمعلوم أن الجزية تفرض على الرؤوس وأن((اسمها مشتق من الجزاء إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم منهم رفقا...))[٤]. ومن أهداف فرض الجزية على الذميين ايجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ، ((فالمسلمون والذميين في نظر الإسلام رعية واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة ومنتفعون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة، ومن هنا فرضت الجزية على أهل الذمة مقابل فرض الزكاة على المسلمين، وكانت الزكاة معنى تعبدي بينما في الجزية معنى قانوني دولي))[٥].

وكذلك فقد تضمن تشريع هذه الضريبةجوانب انسانيةواجتماعية،ولم تشمل أهل الذمة جميعا، وقدوجبت على((الرجال منهم دون النساء والصبيان...ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى لا حرفة له...ولامن مقعد،والمقعد الزمني إذا كان لهما يسار أخذ منهما...وكذلك أهل الصوامع إن كان لهم غنى ويسار،وإن كانوا قد صيروا ما كان لهم لمن ينفقه على الديارات ومن فيها من المترهبين والقوام أخذت الجزية منهم...))[٦]، وزيادة على ذلك فقد روعي التفاوت الاجتماعي ومستوى دخل الفرد في فرض مبلغ هذه الضريبة، وقد وجه الإمام

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص٥٦.

(٢) سورة التوبة، آية : ٢٩؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٢/ص٢٤٩.

(٣) أبو يوسف، الخراج،ص١٢٢.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية،ص٤٣.

(٥) الصالح، صبحي، النظم الإسلامية ، ص٣٦٣.

(٦) أبو يوسف ، الخراج، ص١٢٢.

علي ε عمال الجباية بأن يفرضوا على ((الدهاقين الذين يركبون البراذين ويختمون بالذهب ثمانية واربعين في السنة، وعلى أواسطهم من التجار، على الرجل اربعة وعشرون درهما... على الأكرة وسائر من بقي منهم على الرجل اثنا عشر درهما))[١].

وكان الإمام علي ε يتقبل من أهل الجزية السلع والمواد كل حسب صنعته عوضا عن مبلغ الجزية ويعطيها ضمن اعطيات المسلمين، ويذكر أنه قد أعطى((لنساء المهاجرين ورس وأبر))[٢].

وشكلت ضريبة الجزية دعما كبيرا لبيت مال المسلمين لأن ((وارد الدولة في هذه الفترة المبكرة لم يكن معتمدا على الخراج فقط، بل وعلى الجزية أيضا، ذلك أن الكثير من المناطق المفتوحة صولحت على جزية معينة تدفعها، كما أن أهل الذمة لم يسلموا بأعداد كبيرة كما حصل فيما بعد، ولهذا بقي واردها كبيرا...))[٣].

٣ـ الزكاة:

الزكاة فريضة وركن من((أركان الإسلام الخمسة وفريضة اساسية من فرائضه، أمر بها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله:﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤]...))[٥]. كما ويطلق عليها((الصدقة، وهي أول ضريبة اسلامية فرضت على الأغنياء الأغنياء ومقاديرها وتحديدها عرفت بالسنة النبوية لا بنص القرآن...))[٦].

واختصت هذه الضريبة المفروضة على أموال المسلمين بحسب ما شرعها ((الإسلام في تسعة اشياء في الدراهم والدنانير والابل والبقر، والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب، ولا تجب الزكاة في شيء سوى هذه الاجناس...))[٧]، وتقسم أموال الزكاة على نوعين:((ظاهرة

---

(١) قدامة، الخراج وصناعة الكتاب ، ص ٣٦٨.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢/ص٣٧٤؛ ابن عبد البر،الاستيعاب في معرفة الاصحاب،ج٢/ص٥٤.

(٣) الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال،ص ٨٩، ٩٠.

(٤) سورة النور، آية: ٥٦.

(٥) الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال،ص١٠٢.

(٦) الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٦٣.

(٧) الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق في الاعتقاد،ص٤١٩.

وباطنة، فالظاهرة لا يمكن اخفائها من الروع والثمار والموشي، والباطنة ما امكن أخفاءه من الذهب والفضة وعروض التجار وليس لوالي الصدقة الباطنة وارابه أحق باخراج زكاته، إلا أنه يبذلها ارباب الأموال طوعا فيقبلها منهم، ويكون في تفريقها عونا))[١].

ويذهب فكر الامام علي ε إلى أهمية هذه الفريضة بقوله:((إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الاسلام، فما أعطاها طيب النفس بها، فإنها تجعل له كفارة، ومن النار حجازا ووقاية...))[٢].

وبالرغم من أن ضريبة الزكاة تعدّ موردا من موارد بيت المال،لكن يمكن للدولة أن تحتسبها من ميزانيتها للمال العام ، بل يمكن تسميتها ضريبة دينية اجتماعية تؤخذ من المكلفين الذين يجب عليهم هذه الضريبة ويتم صرفها في حدود تشريعاتها على مستحقيها وفي الغالب تصرف في نفس المكان الذي تجمع منه[٣]، وأما مستحقيها فهم:((الثمانية اصناف الذين ذكرهم الله تعالى في آية الزكاة...))[٤].

وبحسب قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٥] ، وفي مضمون أحد كتب الإمام علي ε يتبين حرصه على هذه الأموال ووجوه توزيعها فينبه أحد عمال جباية الصدقات بقوله:((إن لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة، وإنا موفوك حقك فوفهم حقوقهم...))[٦].

٤ـ الفيء والغنائم:

وهذان الموردان لا يعدّان من الموارد الثابتة لبيت مال المسلمين، فهما يحصل عليهما المسلمون عند الفتوحات عنوة أو الصلح عند دخول أرض أو بلاد.والفيء هو ما يحصل عليه

---

(١) أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص١١٥.

(٢) الشريف الرضي ، نهج البلاغة، ص٤٠٠.

(٣) ينظر: الدجيلي، خولة، بيت المال، ص١٠٢.

(٤) الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٤٢٥.

(٥) سورة التوبة، آية : ٦٠؛ الزمخشري ، الكشاف ،ج٢/ ص٢٦٩.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٣٩.

المسلمون من دون قتال، أمّا الغنيمة فإنه مأخوذ بقتال أو قهرا[١].

وعن تقسيم الفيء فإن تشريعاته بحسب بنص القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٢].وأما تقسيم أموال الغنيمة فقد((تولى الله سبحانه وتعالى قسمة الغنائم كما تولى قسمة الصدقات، فكانت أول غنيمة خمسها رسول الله β بعد بدر غنيمة بني قنيقاع))[٣].

وتشريع تقسيم الغنائم في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٤] .

وتصنف الغنائم على اربعة أصناف هي: ((اسرى، سبي، اراضين، أموال...))[٥]. أما الفيء الفيء فيقسم ((على خمسة أسهم متساوية، أسهم منها ما كان لرسول الله β ... والسهم الثاني سهم ذو القربي... والسهم الثالث لليتامى ذوو الحاجات، والسهم الرابع للمساكين، وهم الذين لا يجدون من يكفيهم من أهل الفيء لأن مساكين الفيء يتميزون عن مساكين الصدقات لاختلاف مصارفهما، والسهم الخامس لأبناء السبيل وهم المسافرون من أهل الفيء لا يجدون ما ينفقون...))[٦].

إن هذه التشريعات ودوافعها تظهر أن ((الزكاة والخمس... واجبان لا مجال للتساهل معهما، وهي في واقع الأمر وسيلة إلى سعادة المجتمع ورفاهه لأن الباذل لهذه الأموال سيشعر من جانبه بالطمأنينة والراحة النفسية، إذ يرى ثمار أمواله قد أشبعت الجياع وكست العراة وفي الوقت نفسه سيزيد هذا المال في الحركة الاقتصادية ويدفع بالمجتمع الفقير إلى النشاط بدلا من الجمود بسبب الافتقار إلى السيولة المادية...))[٧].

---

(١) للمزيد ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٦.

(٢) سورة الحشر، آية : ٧؛ الزمخشري ، الكشاف ،ج٤/ص٥٠١.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣٩.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤١؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٢/ ص٢٠٩.

(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٣١.

(٦) المصدر نفسه،ص١٢٦، ١٢٧.

(٧) الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،(بيروت،٢٠٠٢م)،ص١٥٩.

٥ـ العشور:

ومن الموارد الأخرى لبيت مال المسلمين العشور[١]، وتنقسم على قسمين هما:

أ ـ عشور الأراضي:

وفرضت هذه العشور على الأراضي ومن العرب الذين فرض عليهم ضريبة الجزية، ويذكر أبو يوسف أنها((كل أرض أسلم عليها وهي من أرض العرب أو أراضي العجم فهي لهم، وهي أرض عشر، بمنزلة المدينة حين اسلم عليها وبمنزلة اليمن وكذلك كل من لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل ومن عبدة الأوثان من العرب فأرضهم أرض عشر، وإن ظهر عليها الامام لأن رسول الله β قد ظهر على أراضٍ من أرض العرب وترك فهي عشر...))[٢].

وتصنف اراضي العشر((ستة أضرب، من ذلك الارضون التي أسلم عليها أهلها وهي في أيديهم مثل: اليمن والمدينة، والطائف، فإن الذي يجب على هؤلاء فيها العشر، ومنم ذلك ما يستحييه المسلمون من الأراضي الموات التي لا ملك لأحد من المسلمين والمعاهدين فيها، فيلزمهم العشر من غلاتها، ومن ذلك ما يقطعه الأئمة لبعض المسلمين فإذا صار في يديه تملك الاقطاع لزمته فيه الزكاة أيضا، وهي العشر أيضا ومن ذلك ما يحصل ملكا لمسلم فما تقسمه الأئمة من أراضي الصفوة بين من أوجف عليها من المسلمين ومن ذلك ما يصير في يد مسلم من الصفايا التي أصفاها عمر بن الخطاب من أراضي السواد وهي ما كان لكسرى وآله خاصة. ومن ذلك ما جلا عنه العدوان أراضيهم فحصل في يد من قطنه وأقام به من المسلمين مثل الثغور...))[٣].

ب ـ عشور التجارة:

بعد أن تجاوزت الدولة العربية الإسلامية حدود الجزيرة العربية وأصبح كيانها السياسي والإداري واسعا، أخذت باكتساب بعض السياقات السياسية والإقتصادية مثل ضريبة العشر التي أقرت على التجارة الصادرة والواردة إلى بلدان الدولة العربية الإسلامية ،وأقرت هذه الضريبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن كتب إليه والي البصرة أبو موسى الأشعري(ت٤٢ هـ وقيل٥٢ هـ) بأخذ الضريبة من التجار المسلمين خارج حدود الدولة العربية الإسلامية فكتب إلى

---

(١) ينظر: الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال،ص١٠٩.

(٢) الخراج،ص ٦٩.

(٣) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٠٤.

الخليفة عمر بن الخطاب يقول:((إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر))، فكتب إليه الخليفة بالتعامل بالمثل وأمره ان((خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين كل أربعين درهما درهما، وليس دون المائتين شيئا، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسانه))[١].

والمعلوم أن أهل الذمة((ليس في شيء من أموالهم الرجال منهم والنساء زكاة إلا ما اختلفوا به في تجارتهم فإن عليهم نصف العشر، ولا يؤخذون مال حتى يبلغ مائتي درهم أو عشرين مثقالا من الذهب...))[٢].

٦ـ الموارد المتفرقة:

ربما لا تمثل هذه الموارد نسبة مهمة من موارد بيت المال إلا أنها تحتسب من موارده، وهي كالآتي:

أ ـ الهدايا:

ويذكر أن الإمام علي ε شوهد في ((يوم نيروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا...))[٣].وهناك حادثة تدلنا على أن الهدايا من موارد بيت المال فيذكر عبد الله بن سفيان (ت٣٩ هـ) أن((أهدي اليّ دهان من دهاقين السواد بردا والى الحسن والحسين(عليهما السلام)بردا مثله، فقام علي يخطب في المدائن يوم الجمعة فرأه عليهما فبعث اليّ والى الحسن والحسين فقال: ما هذا البردان؟ قال: بعث اليّ والى الحسين والحسين دهقان[*] من دهاقين السواد فأخذهما فجعلهما في بيت المال))[٤].

ب ـ ريع ممتلكات الدولة:

أصبحت الدولة الإسلامية في هذه المدة مترامية الأطراف وامتلكت الممتلكات التي ربما تؤجرها أو تستثمرها، ويذكر أن الإمام علي ε ((أنه وضع على أجمة برس اربعة آلاف درهم

---

(١) أبو يوسف، الخراج،ص١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٣) ابن سلام، الأموال، ٢٨٤؛ ابن الجوزي،صفوة الصفوة، ج١/ص١٣٣، ١٣٤.

(*) الدهقان:(زعيم فلاحي العجم، ورئيس الأقاليم).الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة دهقان ، ص١١٠٤.

(٤) ابن مردويه، مناقب الإمام علي بن أبي طالب ε ،ص٩٧.

وكتب لهم كتابا في قطعة ... دفعها اليهم معاملة في قصبها))[1].

جـ ـ أموال المواريث:

وأما أموال المواريث فتعد ضمن أموال بيت المسلمين، ويذكر قدامة أن ((ما يؤخذ من مواريث من يموت ولا يخلف وارثا لماله فهذه وجوه الأموال...))[2].

ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية قضت((للإمام أن يفعل بميراث من لا وارث له ما شاء...))[3].

ثانيا:النفقات:

١ـ العطاء:

إن النصيب الأول من هذه الأموال التي تصرف من بيت مال المسلمين لمن لهم الفضل في الحصول على هذه الأموال وهم: المجاهدون المقاتلون في سبيل الله، وأكد على هذه الحقيقة الإمام علي ε بأن يكون الجند هم أولى الطبقات المعنيين بنظام العطاء، شرط أن يكون هذا العطاء مجزيا ليس يكفيهم فقط، وإنما لمن خلفهم من العوائل حتى يضمنوا معيشة كريمة لعوائلهم، ويتفرغوا للجهاد، والقتال وحفظ أمن هذه الأمة، فيوصي مالك الأشتر بقوله:((فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة، وعز الدين وسبل ألأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم...))[4].

أمّا الشرائح الأخرى التي تأتي بالأهمية بعد الجند المقاتلين وكما صنفهم الإمام علي ε عمال الخراج والصدقات، ومن بعدهم القضاة والعمال والكتاب ثم طبقة المعوزين والمحتاجين من المساكين الذين لهم حق في هذه الأموال كما شرعت في القرآن الكريم بقوله ـ عزّ شأنه ـ :﴿إِنَّمَا

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٧٨، ٨٨؛ ابن آدم ،يحيى، الخراج،ص٣٢؛ الأجمة: الشجر الكثير الملتف. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة أجمة،ص٩٩٢.

(٢) الخراج ،وصناعة الكتابة، ص٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٥٥٠، ٥٥١.

الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١]، فأقر الإمام علي ε هذه الأحكام لوصاياه إلى عماله التي تتضمن المدلول الديني و الاقتصادي وتشتمل على المضمون الاجتماعي أيضا فيشير الى نصه:((ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويمنحون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها... ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكلِ سعة...))[٢].

وأما عطايا القضاة وارزاقهم من بيت المال فهي أيضا أعطيات مجزية حيث يؤكد ε على هذه الفئة بقوله:((وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس))[٣]. ومن نفقات بيت المال أعطيات الجند فيأمر الإمام ε ((ثم أسبغ عليهم الأرزاق...))[٤].

وأصبح واضحا في هذا التصنيف أن لكل((فرد من أفراد المجتمع قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده وفريضته في كتابه وسنة نبيه، أي لكل صنف من أصناف المهن سهما ماليا يتناسب وطبيعة عمله...))[٥].

٢ـ نفقات الرعاية الاجتماعية :

زيادة على النفقات المفروضة من الناحية الشرعية من بيت المال هناك وجوه أخرى لنفقات الدولة تنبع من مسؤوليتها وتقديرها للجانب الاجتماعي الذي يحتاج لدعمها لحاجات إنسانية واجتماعية يتطلبها الواقع الاجتماعي للرعية، ويذكر أن الإمام علي ε قد أعاد بناء السجن الذي كان مبنيا من القصب و((وكان الناس يفرجونه ويخرجون منه فبناه... بالجص والآجر))[٦]، زيادة زيادة على الانفاق على المسجونين، وعلى سبيل المثال كان الإمام ε يأمر بأن((يخرج المحبوسين

---

(١) سورة التوبة، آية : ٦٠؛ الزمخشري ، الكشاف ، ج٢/ ص٦٩.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٥٥١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٤٧.

(٤) المصدر نفسه،ج١٧/ص٥٤.

(٥) جعفر، نوري، فلسفة الحكم عند الإمام علي ε ،ص٩٧.

(٦) ابن هلال، الغارات،ص٧٩.

في الدّين يوم الجمعة ويوم العيد إلى العيد، فيرسل معهم فإذا قضوا الصلاة والعيد ردهم إلى السجن))[١]

وقد فرضت سياسية الإمام علي ع الاصلاحية في المجتمع نفقات أخرى، فإذا وجد بالمجتمع من هو مشهور بالفساد يأمر بحبسه،ويذكر ((أنه قضى أن يحجر... حتى يعقل))[٢]، ومن جانب آخر هناك دية القتيل العمية ، فإن ديته من بيت المال، ويذكر أبو يوسف أنه((لم تزل الخلفاء تجري على السجون ما يقوتهم في طعامهم وآدامهم وكسوتهم الشتاء والصيف، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب ع ... بالعراق))[٣].

ويقول الإمام علي ع :((قتيل عميه لا يدري من قتله، فدفع ديته إلى اهله من بيت المال))[٤].

وهناك نفقات يفرضها في الجانب الاجرائي للقضاء، مثل احكام دية المقتول خطأ فتصبح ديته من بيت مال المسلمين، وكان الإمام علي ع يقول: ((من ضربناه حدا من حدود الله فمات فلا دية له علينا، ومن ضربناه حدا في شيء من حقوق الناس فمات فديته علينا))[٥].

وكذلك ((إذا وجد القتيل في سوق المسلمين، أو في مسجد جماعتهم، فهو على بيت المال))[٦].

ومن القضايا الاجتماعية التي اولاها الامام علي ع اهتماما كبيرا قضية العوائل المتعففة التي يفتك بها الفقر، فالفقر في رؤية الامام ع آفة اجتماعية لها اثار نفسية واجتماعية وخيمة

---

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه،(بيروت،٢٠٠٥م)،٣ج/ص٤٣٩.

(٢) المصدر نفسه،ج٣/ص٤٣٨.

(٣) أبو يوسف ، الخراج،ص١٤٩.

(٤) الدينوري، الاخبار الطوال، ص١٦٤.

(٥) الطوسي،أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار،(بيروت ،٢٠٠٥م)،ص٨٢٧.

(٦) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٧٣.

وربما لا يوجد نص لوصف الفقر ابلغ مما وصف الامام ε بقوله:((الفقر الموت الاكبر))[١]، لذا اوعز الامام علي ε إلى عماله وولاته بمواجهة هذه الآفة الخطيرة ومعالجتها والتصدي لها، انطلاقا من تقدير الامام علي ε إلى هذه القضية تقع ضمن مسؤوليات وواجبات الدولة، وان ((هذه المسؤولية لا تفرض على الدولة ضمان الفرد في حدود حاجاته الحياتية فحسب، بل تفرض عليها أن تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه افراد المجتمع الاسلام...))[٢]، فأوعز الامام علي ε لمالك الاشتر قائلا: ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمني، فكأن في هذه الطبقة قانعا ومعتراً...واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد...))[٣].

وهناك شريحة اجتماعية أخرى هي احوج ما تكون إلى رعاية الدولة ومد يد العون لها من اليتامى والمسنين المقعدين عن العمل، فيسهم فكر الامام ε بتحفيز عمل مؤسسات الدولة لرعايتهم، فيأمر بتكليفهم قائلا: ((وتعهد اهل اليتم، وذوي الرقة في السن، ممن لا حلية له، ولا يتصب للمسألة نفسه...))[٤].

ويذكر أن الامام علي ε كان يباشر رعاية الايتام بنفسه ليخفف الام اليتم والحرمان، بشتى الوسائل، ومنها اقامة مآدب خاصة لهم وبحضرته فكان ((يدعو اليتامى فيطعمهم العسل وما حضر، حتى قال بعضهم لوددت اني كنت يتيما...))[٥].

ومن أوجه الرعاية الاجتماعية التي تبناها الإمام علي ε هو التنمية وتطوير الجانب الاجتماعي والعلمي لأفراد المجتمع، ويذكر أن الإمام علي ε قد شجع متعلمي القراءة وفرض

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٨/ ص٣٠٩.

(٢) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، تحقيق: مكتب الاعلام الاسلامي فرع طهران، (طهران، ١٤١٧هـ)، ص٧٧٧.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج١٧٧/ص٦٦.

(٤) م . ن .

(٥) الاسكافي،ابو جعفر، المعيار والموازنة، ص٢٥١.

لهم عطايا لتقديره وتشجيعه لهؤلاء الأفراد،إذ((فرض... لمن قرأ ألفين ألفين))[١].

واهتم الإمام علي ε بالجانب الأسري ولاسيما المرأة، فضلا عن النفقات المقررة للمسلمين إلا أن هناك كانت عطايا أخرى تعبر خير تعبير عن الاهتمام بالجانب الاجتماعي، وعن خارجة بن مصعب* عن أبيه((كان علي يقسم بيننا كل شيء حتى العطور بين نسائنا)).وقيل ((قسم عليّ فينا ورس وزعفران))[٢].

٣ـ النفقات على المنشآت العامة:

وهناك أبواب أخرى للنفقات تقع مسؤوليتها على الدولة ويكون الإنفاق من بيت المال، ويحدد بعض الباحثين ذلك بقولهم:((كانت الدولة مسؤولة ودار الرزق والسجن، وربما بعض الجوامع... وهي مسؤولة أيضا عن حفر وصيانة بعض القنوات العامة...))[٣].

ونظرا لما يمثله المسجد الجامع من قدسية في حياة المسلمين ولما يؤديه من وظائف دينية وسياسية واجتماعية وعلمية، فقد اهتم الإمام علي ε ببناء المسجد وأولاه اهتماما، ويقول سابق البربري(ت نحو ١٠٠هـ):((رأيت عليا ε أسس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزياتين قدر شبر شبر...))[٤].

ومن نفقات بيت مال المسلمين على المنافع العامة ودعمها للزراعة واستطلاح الأراضي الزراعية الخراجية وتقديم القروض والمعونات للمزارعين برفع قابلياتهم باستثمار وتطوير قدراتهم الزراعية.

وشكا رجال من أهل الذمة إلى الإمام أن هناك نهرا في أراضيهم قد أطمر ويحتاج إلى الكري، فكتب الإمام علي ε إلى عامله يأمره بالنفقة على إعادة شق هذا النهر بقوله:((فإن قوما من أهل عملك أتوني فذكروا لي أن لهم نهرا عفا ودرس وأنهم إن حفروه واستخرجوه عمرت

---

(١) ابن هلال، الغارات، ص٧٨.

(*) هو:((من بني شجنه... وكان من افقه اهل خراسان وارضاهم عندهم، وكان ابوه مصعب بن خارجه مع علي بن ابي طالب(رض)، وعقبه بخراسان))، ابن قتيبة، المعارف، ص٤٦٨.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢/ص٣٧٤.

(٣) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والإدارية في البصرة في ق ١هـ،(بغداد،١٩٣٥م)،ص١٤٧.

(٤) ابن هلال، الغارات، ص٧٨.

بلادهم وقووا على خراجها وزاد في المسلمين قبلهم، ويسألوني الكتابة الكي لتأخذ بعمله وتجمعهم لحفره والانفاق عليه... لأن يعمروا ويقووا أحب اليّ من أن يضعفوا...))[١].

وبالسياسة التشجيعية نفسها الداعمة لموارد المسلمين وازدهار حياتهم دعا عماله بمراعاة المزارعين والتخفيف عنهم فأوصاهم بقوله:((فإن شكوا ثقلا أو علة، أو انقطاع شرب، أو بالة، أو احالة ارض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما نرجو أن يصلح به أمرهم.ولا يتعلق عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك...))[٢].

ولا ريب أن هناك نفقات على لوازم الكتابة في دواوين الدولة وفروعها المحلية، ويستدل على ذلك من توجيهات الإمام علي ε لكتابه باستخداماتها الجيدة بقوله:((ألق دواتك، وأطل جلفت قلمك...))[٣]، وقال ε :((ادقوا اقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا من فضولكم واقصدوا قصد المعاني، واياكم والاكثار فان اموال المسلمين لاتحتمل الاطراء)) [٤].

ثالثا: سمات السياسة المالية للإمام علي ε

من المميزات البارزة لسياسة الإمام علي ε المالية هي:

١ـ سياسة المساواة في العطاء:

انتهج الإمام علي ε سياسة المساواة مع المسلمين جميعا كما في عهدي الرسول β والخليفة الأول أبي بكر[٥]،((فألغى الإمام علي ε كل أشكال التمييز مؤكدا أن التقوى والسابقة في الإسلام والصحبة من رسول (ص) أمور لا تمنع أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا وإنما تلك المميزات ثوابها في الآخرة))[٦] وعند الاعتراض على هذه السياسة ومطالبة الإمام ε بالتفضيل

---

(١) البلاذري، أنساب الاشرف، ج٢/ص٣٩٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص٥٦.

(٣) المصدر نفسه،ج١٩/ص١٨٩.

(٤) كاشف الغطاء، هادي، مستدرك نهج البلاغه، ص١٠٥.

(٥) ابن هلال، الغارات،ص٣٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص٩٣، ١٠٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢/ص٥٤.

(٦) الزهاوي، حكومة علي الشرعية، وملامح التطبيق ، (قم، ٢٠٠٠م)، ص١٢٦.

بالعطاء قال ε :((أيها الناس عباد الله المسلمون، والمال مال الله نقسم بينكم بالسوية، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى للمتقين عند الله الجزاء وأفضل الثواب...))[١].

ومن دواعي انتهاج الإمام علي ε لهذه السياسة هو الحد من((التفاوت الكبير الذي أحدثه الخليفة عثمان بن عفان ومن قبله الخليفة عمر بن الخطاب عند استحداث نظام لتقسيم مكانة الشخص ومنزلته وقد ادى ذلك إلى تجميع الأموال عند البعض وضمورها عند البعض الآخر))[٢].

وقد رفض الإمام ε أية أثرة سواء كانت من جانب السابقة أو العصبية لقرابة أو لمذهب ديني أو سياسي، وتعالى ε على العنصرية ولم يفضل العربي على الأعجمي فالكل عنده سواسيا ويصف الاسكافي هذه السياسة بقوله:((كان ممن يقسم بالسوية، وعدل في الرعية، ولم يرزأ من مال الله شيئا، ولم تدع عليه زلة...))[٣].

وحاول أخوه عقيل بن أبي طالب أن يستميل الإمام علي ε بشكايته بزيادة عطائه لكثرة عياله، فلم يؤثر الامام ε صلة الرحم على سياسة العدالة .وائتمان المسلمين له على أموالهم، وأعلن الإمام ε رفضه من طلب أخيه بقوله:((والله لقد رأيت عقيلا قد أملق حتى استماحنى من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم... وعاودني مؤكدا وكرر القول مرارا فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، واتبع قياده مفارقا طريقتي...))[٤].

ولم يكن موقفه مع ابن أخيه عبد الله بن جعفر(ت٨٠هـ) بأقل صلابة من موقفه مع أخيه عقيل حينما طلب منه نفقته أو معونة مالية فأجابه الإمام ε :((لا والله ما أجد لك شيئا إلا أن تأمر عملك أن يسرق فيعطيك))[٥].

---

(١) ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين،ص٩١؛ الآبي، نثر الدر ، ج١/ص٢١٦.

(٢) الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، ص٩٩.

(٣) الاسكافي،ابو جعفر، المعيار والموازنة، ص٢٢٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢/ص٥٩.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١/ص١٨٨؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة،ص١٣٢.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢/ص١٦٠.

حتى قيل في سياسته هذه أنه كان((صلبا في دينه لا يداهن ولا يصانع ولا يخشى في إقامة الحق لومة لائم، ولا يمنعه عن إقامة العدل رحم أو قرابه ولا صلة ولا صداقة))[١].

ولم تثن الإمام عليا ε المحاولاتُ والمناوراتُ السياسية من أصحاب المطامع الشخصية عن هذه السياسة المبدئية التي مثلت خطرا وتهديدا لمركز الإمام ε وخلافته، لأن نظرته وتقديره للأمور لم تكن قصيرة المدى أمدها التمسك بالسلطة والمحافظة على مركزه، فلما طالبه بعض المستفيدين من سياسيات التفاوت في العطاء في العهود السابقة بالعودة إلى تلك السياسة، وترك ما في أيديهم من أموال تكدست،لكن تصدى لهذه المحاولات بكل صلابة بقوله:((وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين ، فالعدل يسعكم...))[٢].

ثم أن((طائفة من أصحاب علي مشوا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين أعطِ هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف العرب، وقريش على الموالي والعجم ومن يخافه من الناس قراره... وإنما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع بمن أتاه...))[٣]. ويرفض الامام هذا العرض بقوله:((أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليهم))[٤].

ومن جانب آخر فأن الإمام عليا ε لم يشمل بالعطاء من لم يؤازر المسلمين ويحمل السلاح مع المجاهدين، وعندما بعث إليه أسامة بن زيد مطالبا بعطائه، أجابه الإمام علي ε :((إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن لي مالا بالمدينة فأصب منه ما شئت))[٥].ولم يقم الامام ε بالتسليف من بيت المال لنفسه.

وكان في((وسع الإمام أن يأخذ من بيت المال بالدين ليحتسب من حقه عند محله))[٦]، وغالبا ما كان ينتظر((نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع وكان يطعم الناس الخبز واللحم، ويأكل

---

(١) القضاعي، دستور معالم الحكم، ص٦٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤٢.

(٣) الشيخ المفيد، الأمالي، ص١٧٥؛ الآبي، نثر الدر، ج١/ص٢١٦.

(٤) الشيخ المفيد، الأمالي، ص١٧٥؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٢٣١.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٤/ص٧٨.

(٦) الكنجي،كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص٣٦٤.

هو الثريد))[١].

أمّا من ناحية مواقيت العطاء فلم تحدد بوقت معلوم، وإنما كان الوقت تحدده وصول الأموال إلى العاصمة فحال وصولها يشرع الإمام علي ε بتوزيعها على المسلمين، فقد قام الإمام ε بتوزيع أربع عطاءات في سنة واحدة[٢].

فإذا ورد المال عليه يقول:((أيها الناس هلموا اليّ مالكم فخذوه فإنما أنا لكم خازن. ثم يقسم على الأحمر والأسود حتى لا يبقى شيء...))[٣].

ثم((أن عليا ـ كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالماء وثم يصلي ركعتين ثم يقول: تشهد لي يوم القيامة))[٤].

ولم يدع الإمام علي ε أموالا مهما كان ثمنها ونوعها فيقول ε :((قد تأتينا أشياء تستكثرها إذا جاءتنا ونستقلها إذا قسمناها وأنا لتقسيم القليل والكثير...))[٥].

وفي حالة كون الأموال كثيرة يقوم الإمام علي ε بتقسيمها إلى سبعة أقسام متساوية تمثل أسباع مدينة الكوفة احتياطا للعدل والمساواة ويذكر أنه((جاء مال من أصفهان، فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا أمراء الأسباع ، فأقرع بينهم...))[٦].

ثم شمل الإمام علي ε بالعطاء من بيت المال أطفال المسلمين ضمن ضوابط حددها الإمام علي ε بقوله:((أما الصبي الذي أكل الطعام وعض الكسرة أحق بهذا العطاء من المولود الذي عض الثدي))[٧].

ونبه الإمام علي ε المسلمين إلى حقهم في هذا العطاء ومبادرتهم إلى أخذه، وحذر

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونيه، ج١/ص١٠٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢/ص٥٩.

(٢) ينظر: ابن سلام، الأموال،ص٢٨٤.

(٣) الاسكافي،ابو جعفر، المعيار والموازنة،ص٢٥٢.

(٤) ابن هلال، الغارات، ص٣١؛ ابن عبد ربه،العقد الفريد، ج٤/ص١٢٣.

(٥) الاسكافي،ابو جعفر، المعيار والموازنة، ص٢٥١.

(٦)؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١/ص٦٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢/ص٥٩

(٧) المتقي الهندي،كنز العمال، ج٤/ص٢٤٨.

المسلمين في حالة وجود السياسات المنحرفة عن الدين فتجعل من العطاء ثمنا لشراء المواقف وكم الأفواه وسلاحا ضد الخيرين من المسلمين، ويقول الإمام ε بهذا الصدد:((خذوا العطاء ما كان طعمة، فإذا كان عن دينكم فارفضوه أشد الرفض))[١].

إن انتهاج سياسة المساواة في العطاء من قبل الإمام علي ε قد((خلقت له المصاعب، فقد فسدت عليه جيشه وتنكرت له الوجوه والأعيان... لقد تبنى هذا العملاق العظيم مصالح البؤساء والمحرومين وآثرهم على كل شيء.. لقد أدت هذه السياسة المشرفة التي انتهجها الإمام إلى إجماع القوى المنحرفة والباغين على الإطاحة بحكومته وشل فعاليتها...))[٢].

٢ـ السياسة الضريبية:

مثلت الضرائب المورد الرئيس في بيت مال المسلمين، ونتيجة لكثرة الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة أصبح من اللازم أن تحتاج الدولة إلى عدد كبير من الموظفين والعمال لجباية هذه الضرائب، يعملون وفقا لنظرة الخليفة ومفهومه ـ في الأغلب ـ، وخص الإمام علي ε هذا الجانب أهمية كبيرة إذ:((قامت سياسة الإمام في أخذ الضريبة على قاعدة إنسانية مثلى قلما نجد لها نظيرا))[٣].

فكان مما جاء به فكر الإمام علي ε في هذه السياسة وصاياه للولاة والعمال، حاثا على سياسة العدل والإنصاف في استحصال وجباية الضرائب من مستحقيها، ففي توجيه بليغ لأحد عماله يقول:((استعمل العدل واحذر العسف والحيف بأن العسف يود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف))[٤].

وفي هذا السياق أكد الإمام علي ε على المعاملة الإنسانية في تحصيل الضرائب وجبايتها من قبل العاملين، وأن لا يسيئوا استخدام السلطة التي منحتها إياهم الدولة، فيجبروا الناس على بيع ممتلكاتهم اللازمة وأن لا تتعدى سياستهم إلى الضرب ولا فرق في ذلك بين المسلم والذمي

---

(١) م.ن.

(٢) القرشي، باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين ε ،(د. ب، ٢٠٠٢م)، ج١١/ص٣٨.

(٣) الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، ص٩٩.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠/ص٢٠٤.

فيحذرهم الإمام علي ε في وصية لهم بقوله:((ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ، ولا عبدان ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم...))[١].

وقد سبق الإمام علي ε المشرعين في السياسة الضريبية بأن لا يكون المال المستحصل من الضريبة على حساب الإنتاج وإيقاع الضرر على المنتج،لأن للدولة الإسلامية نظرية اقتصادية تطمح إلى تنمية موارد الدولة والعمل على رفاهية الفرد المسلم وهذا ما ((يمكننا أن نلمحه بوضوح من خلال التطبيق العملي في عهد الدولة الإسلامية وفي التعليمات الرسمية... فمن تلك التعليمات البرنامج الذي وضعه امير المؤمنين علي ε ...))[٢] ومن تلك التعليمات ما أوصى به الإمام علي ε مالك الاشتر بقوله:((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومنة طلب الخراج بغيرعمارة أخرب البلاد وأهلك العباد...))[٣].

ولم يشمل الإمام علي ε في فكره الإنساني في هذا الجانب الإنسان والإنتاج فقط، وإنما شمل الحيوان وحقوقه في الرحمة والرأفة ولاسيما عندما تكون موارد ضريبية وتصبح بحوزة عامل الدولة فيوصيه ε :((فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه لا يحول بين ناقة وبين فصليها، ولا يحصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفه على اللاغب، وليستأن بالنقب والضالع، وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق ليروحها في الساعات، وليحملها عند النطاق والأعشاب...))[٤].

وبالرغم من وصايا الإمام علي ε الإنسانية فلا يعني ذلك أنه لا يبدي بالمقابل اهتماما بالموارد الضريبية ونوعيتها فيؤكد حرصه على نوعية وجودة الأموال الضريبية بوصيته لعمال

---

(١) الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ج٢/ص٥١٤؛ ابن رجب الحنبلي،أبو فرج عبد الرحمن(ت٧٩٥هـ)، الاستخراج لأحكام الخراج، حققه : أياد عبد اللطيف بن ابراهيم القيسي،(لبنان،٢٠٠٤م)، ص٢٠٩.

(٢) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا،ص٧٢٢.

(٣) الزمخشري،ربيع الأبرار ونصوص الأخبار،ص٢٤٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٥/ص١١٦.

الجباية قائلا:((ولا تأخذن عودا ولا هرقة ولا قلنسوة، ولا مهلوسة ولا ذات عور...))[١].

وعزز الإمام علي ε تلك الوصايا لعماله بضوابط وتعليمات يسيرون عليها((وكان يفرض الضرائب وفق موازين العدالة، ويعمد إلى توزيعها لكي يحافظ على مقادير الواردات، دون أن يتلاعب بها الولاة... وقد استهدف ε من هذه الدقة في الأموال لأنها عائدة إلى بيت مال المسلمين حيث يقوم بتوزيعها وفق العدالة...))[٢].

وعلى هذا الأساس فقد ميز الإمام علي ε في مقادير الضرائب،فأمر أن يضع((على البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشر دراهم، وعلى كل جريب الكرم إذا كانت علية ثلاث سنين ودخل الرابعة عشرة دراهم، وأن ألغي كل نخل شاذ عن إلى يأكله من قربه إلا أن أضع على الخضروات مثل المعاثي والحبوب والسماسم والقطن...))[٣].

وبهذا فإن هذه الضوابط قد تميزت بين البساتين المثمرة التي تجمع بين النخيل والشجر وكذلك ميزت بين محاصيل الحبوب وفقا لتسعيرة خاصة، راعت هذه التعليمات النخيل والثمار التي تقع على طريق السابلة بإعفائها من الضريبة مراعاة إنسانية يعود مردودها على الفلاح والمسلمين السالكين تلك الطرق.

ومن ناحية أخرى فإن هذه السياسة تحتاج إلى موظفين أكفاء وأمناء ليقوموا بالعمل على تنفيذ تلك التعليمات الصادرة من الخليفة والتي تعود على أطراف العملية الاقتصادية كالدولة والأرض والإنتاج والفلاح والمواطن وعلى هذا فأن الإمام علي ε ((كان دقيقا في اختيار الأمناء الثقاة لإدارة مال المسلمين))[٤].

واشترط الإمام علي ε على الولاة أن يختاروا للعمل في الجباية إلا من كان ((ناصحا

---

(١) م.ن.

(٢) الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد،ص١٢٩.

(٣) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة،ص ٣٦٨.

(٤) الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد، ص١٢٩.

شفيعا وأمينا حافظا غير معنف، ولا مجحف ولا ملعب، ولا متعب))[١].

أمّا سياسة الإمام علي ε مع أهل الذمة في هذا الجانب فقد سارت على السياسة الإنسانية نفسها التي ترمي إلى احتواء أبناء الديانات الأخرى وحفظ حقوقهم وإنسانيتهم ودفعهم للانصهار بالمجتمع الإسلامي عن طريق التسامح والمرونة في التشريعات المفروضة عليهم فيوصي ε عماله بهذا المضمون الإنساني بقوله:((ولا تمسن مال أحد من الناس ... ولا معاهد إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام ...))[٢].

وعندما ((اسلم دهقان من أهل عين التمر فقال له علي ε أما جزية رأسك فنرفعها وأما أرضك فللمسلمين، فإن شئت فرضنا لك وإن شئت جعلناك قهرمانا لنا، فما أخرج الله من شيء أتيتنا به))[٣].

وهكذا كان الإمام علي ε :((يأخذ الجزية من كل ذي صنع: من صاحب الإبر إبرا ، ومن صاحب المسان مسان، ومن صاحب الحبال حبالا...))[٤].والهدف من هذه السياسة هو((إنما كان يأخذ من هذه الأمتعة بقيمتها من الدراهم التي عليهم من جزية رؤوس ألموال ولا يحملهم على بيعها، ثم يأخذ من ذلك من الثمن، ارادة الرفق بهم، والتخفيف عليهم...))[٥].

وبهذا((طرح أمير المؤمنين ε قاعدة اقتصادية وإدارية رصينة في آن واحد فهي تلتقي مع النظرية الحديثة القائلة بأن الحكومة ليست تاجرا أي لا يكون مقصدها الربح بل تشرع وتستنتج منها ما يوطد المصلحة العامة))[٦].

٣ـ رعاية المهن الصناعية والتجارية وسياسة السوق:

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٥/ص١١٦.

(٢) الكنيدري، حدائق الحقائق،ج٢/ص٥١٤.

(٣) ابن رجب الحنبلي، الاستخراج، ص١٣٦.

(٤) ابن سلام، الأموال، ص٤٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،ج٢/ص٥٥.

(٥) ابن سلام، الأموال،ص٤٩.

(٦) الزهاوي، حكومة علي ε الشرعية وملامح التطبيق، ص١٢٢.

من الخطأ الفادح أن تعتمد السياسة الاقتصادية في دولة ما في أي زمان ومكان على جانب اقتصادي واحد في إيراداتها، بل عليها الانفتاح على باقي الجوانب الاقتصادية وتشجيعها ودعمها وتنميتها من أجل تنشيط الحياة الاقتصادية عامة لتحقيق الغاية القصوى في تحريك عوامل النشاط الاقتصادي الكامن في مرافق الدولة ((فالمزارع منتج والصناعي منتج والتاجر منتج، وهؤلاء جميعا بحاجة إلى مؤازرة من قبل الدولة لأنهم يتعرضون إلى مشاكل مالية ونفسية أيضا فلا بد من رعاية شؤونهم وتفقد أحوالهم باستمرار حتى تظل حركة الإنتاج مستمرة دون انقطاع))[١]، ومن هذا المفهوم أشار الإمام علي ε إلى متابعة هذه الصنوف المنتجة وتسهيل عملهم وتذليل الصعوبات أمامهم وجاءت إشارته في وصاياه إلى مالك الأشتر((ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيرا، المقيم منهم والمضطرب بماله، والمفترق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يحترفون عليها، فأنهم سلم لا تخاف بائعته لا تخشى عائلته...))[٢].

ومع اهتمامه بالتجار فإنه ناهض ضعاف النفوس الذين يعتاشون على قوت الشعوب ومكائدهم، ويتحينون الفرص لجني الأرباح الفاحشة على حساب أبناء جلدتهم وهم موجودون في كل العصور، وقد شخص الإمام علي ε هذا المرض الخطير الفتاك في جسم الدولة والعملية الاقتصادية ؛لأنه يرتبط مباشرة بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية وربما تؤدي احتكاراتهم للسلع والبضائع إلى اضطراب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فأوصى إلى مراقبتهم بقوله:((وتفقد أمورهم في بلادك، واعلم ـ مع ذلك ـ في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في المبيعات مضرة للعامة...))[٣].

ومن واجبات الدولة حماية المواطن المستهلك من جشع التجار فأوصى الإمام علي ε ((وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف))[٤].

إن هذه التعليمات تشمل مراقبة الأسعار،وجعلها أسعارا تتماشى مع دخل المواطن وتضمن

---

(١) الموسوي، محسن، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،ص١٠٧.

(٢) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ،ص ٥٥٩ .

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص٦٤.

(٤) م.ن .

ربح البائع أو التاجر بما يحقق النشاط الاقتصادي السريع والبيع والشراء وتضمن حقوق الطرفين((فكلما ارتفعت الأسعار تأثر الدخل الحقيقة يعاني منه أصحاب الدخل المتوسط مقابل السلع التي يشترونها))[١].ثم ركز الإمام علي ε على ناحية الموازين والمكاييل وعدم الغش بها خوفا من جلب المضرة إلى المستهلك وإشاعة تعامل الغش في البلاد الإسلامية وقد أوصى الإمام ε بمعاقبة المفسدين المتلاعبين في السوق ولكن ليس بالعقوبة الانتقامية وإنما عقوبة تقويمية، فيشير إلى ذلك بقوله:((وعاقبه من غير إسراف)) [٢]. ومما يجدر ذكره كون((الأسعار لها أثر كبير في النظام الاقتصادي فهي السبب المباشر للركود والفقر والتفاوت الطبقي ولما كانت الأسعار تخضع لميزان العرض والطلب فهي تنشئ في حالة مضطربة مسببة تقلبات اقتصادية في سوق المستهلكين والتجار...))[٣].

ونظرا لأهمية السياسة النقدية في النشاط الاقتصادي فقد أجاز الإمام علي ε هذه السياسة التي هي((مجموعة من الإجراءات التي تتخذها الدولة في إدارة النقود والائتمان وتنظيم السيولة الاقتصادية ... وقد أجاز الإمام أمير المؤمنين معاملة السفتجة وهو أن يرفع التاجر مالا في وطنه لشخص كان ليكتب ماله ورقة يأخذ بموجبها في مكان ثان عند شخص ثالث وبهذا الخطوة عمم الإمام أمير المؤمنين ε حركة النقود بصورة جيدة من مكان إلى آخر في الوقت نفسه حافظ على الأمن الاقتصادي.. وكان هذا العمل فاتحة خير في علم الاقتصاد الإسلامي)) [٤]. وفي هذا الاتجاه الاقتصادي((قضى أمير المؤمنين ε فيمن أعطى رجلا ورقا بوصف إلى اجل مسمى فقال صاحبه نقد لا أحد وصيفا خذ مني قيمة وصيفك اليوم ورقا قال: لا يأخذ إلا وصيفه أو ورقه الذي أعطاه أول مرة، ولا يزداد عليه شيئا... وقال أمير المؤمنين ε من اشترى طعاما أو علفا فإن لم يحد شرطه وأخذ ورقا لا محال قبل أن يأخذ شرطه، فلا يأخذ إلا رأس ماله ولا تظلمون ولا

---

(١) الخاطر، حسن سعيد محمد، الأمير تراث الإمام علي ε ، (بيروت ، ٢٠٠٥ م) ،ص١٠٤.

(٢) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٧/ص٦٥ .

(٣) الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،ص١٠٢.

(٤) م . ن .

تُظلمون))[1].

من الجوانب المهمة في السياسة الاقتصادية هو التخطيط في إنفاق الأموال على نطاق الدولة أو الأفراد وفقا لتقدير الأموال وتوجيهها، وأكد الإمام علي ε على هذا الجانب الحيوي بوصاياه فيقول:((فدع الإسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا، وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك...))[2].ويريد الإمام ε من ذلك إشاعة ثقافة التخطيط والموازنة في دخل وحياة المسلم الاقتصادية ، فينهى ε عن الإسراف من دون النظر إلى غده إلى حاجاته الضرورية، ثم لا بد له من أن يكون لديه مالا احتياطيا للظروف الطارئة التي تفاجئ الإنسان أو المجتمع أو الدولة ((فإن القصد هو الطريق المعقول والسبيل الحكيم...))[3].

وأوصى ε أن لا يصرف المال في أوجه غير لازمة أو ليس بالحاجة إليها فيقول:((من كان له مال فإياه والفساد فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو وإن كان ذكرا لصاحبه في الدنيا فهو يضيعه عند الله عزّ وجلّ ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم إن كان لغيره درهم فإن بقي معه يودّه ويظهر له الشكر فإنما هو ملق وكذب...))[4].

وهنا يوضح الإمام النتائج السلبية الاجتماعية لمن لا يضع أمواله في غير حقها للتقرب والملق والذكر بين الناس للمنفعة الذاتية وليس للمنفعة العامة التي تعود بفائدتها على المجتمع والتقرب إلى الله تعالى وبذلك نضمن الحياتين الدنيا والآخرة بسعادة وشكر الله تعالى.

---

(١) الطوسي، الاستبصار، ص٥٠٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٥/ص١٠٧.

(٣) الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة،ص١٢.

(٤) الشيخ المفيد، الأمالي، ص١٧٦.

المبحث الثاني

الأساس الاجتماعي في فكر الإمام علي ε

أولا: المجتمع الإسلامي في فكر الإمام علي ε :

إن المجتمع هو البيئة الحاضنة لكل التفاعلات والنشاطات والعلاقات الإنسانية بصورة عامة، لذا أولت الرسالات السماوية هذا الجانب العناية الكبيرة سواء عن طريق دعوات الأنبياء حملة تلك الرسالات أو في مضامين تلك الرسالات، فأنيط الدور للفرد والجماعة مسؤولية صلاح تلك العلاقات لتأتي ثمارها على واقع الحياة، وقد دعا القرآن الكريم البشر والجماعات كافة إلى هذا الدور الرائد بقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[١]، ومن مضمون هذه الآية الكريمة أوكل النبي β تلك المهمة الجسيمة إلى أفراد المجتمع بقوله:((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته))[٢].

فالانطلاقة الأولى تبدأ من((المحتوى للإنسان هو أساس البناء الاجتماعي الفوقي بكل تفصيلاته، وهو المحرك الأساس لمسيرة الأمة تاريخيا، واذ أي تغيير في الأمة يجب أن يبدأ من ذلك المحتوى الداخلي للإنسان ثم على ضوئه تتغير جميع العلاقات الفوقية في الأمة هي الحكومة والنظام والعلاقات والمؤسسات وكل أوجه الحياة الاجتماعية وركائزها...))[٣].

وكثيرا ما كان الإمام علي ε يسعى إلى تأسيس اللبنة الأساس للمجتمع وواقعه، على تلك المضامين الجوهرية في بناء الفرد والمجتمع الإسلامي السليم بقوله:((عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوا قبل أن تحاسبوا...))[٤].

ومن إحدى فيوضات العقل المنظر لبناء المجتمع الإسلامي وأسسه تسبق كلماته الداعية إلى ذلك العقل والزمان بدعوته بأن تكون المؤهلات الشخصية تتعدى كل المعايير والموازين التي في ضوئها يكون التقييم الحقيقي بعيدا عن البناءات الهشة مثل العنصرية والقبلية والمذهبية والإقليمية بقوله ε :((قيمة كل امرئ ما يحسنه))[٥].

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١؛ ينظر: السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، طبعة جديدة خرج أحاديثها : نجدت نجيب، تقديم : عبد الرزاق المهدي، (بيروت،٢٠٠١م) ،ج٢/ص٥٦٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج١/ص٣٠٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١٢/ص٤٥٤.

(٣) الصدر، محمد باقر،مجتمعنا، إعداد : محمد علي أين، تقديم: جواد سعدي،(بيروت، ٢٠٠٨م)،ص ٣٢.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦/ص٣٠٦.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص٦١٣.

أو في إحدى وصاياه إلى مالك الأشتر بأن يتحرر من الموروثات الاجتماعية الضيقة والضعيفة التي تنخر بأواصر بناء المجتمع وأن تحل محلها الأواصر الإنسانية العالية القيمة بقوله:((إمّا أخ لك في الدين،وإما نظير لك في الخلق...))[١].

وفي نظرة تقويمية للمجتمع يلغي الإمام علي ε الطبقية الاجتماعية ويذهب إلى تمييزه وتقويمه على أساس المؤهلات العلمية والمعرفية التي تتميز بها وهي إما((عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق... لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق...))[٢].

وإذا كانت هناك إشارات من الإمام علي ε إلى وجود الطبقات فهذا لا يعني المفهوم الاجتماعي القائم آنذاك؛ وإنما الطبقات أو الشرائح التي أوجدتها الحالة الجديدة في النظام الاجتماعي عن طريق قيام الدولة ومؤسساتها وعلاقاتها بالمجتمع، وهنا يدعو الإمام علي ε إلى دعم الطبقات التي ترابطت مع بعضها وظيفيا، بقوله:((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة...))[٣].

ثانيا: البناء الأسري:

١ـ مكانة المرأة في فكر الإمام علي ε :

الأسرة اللبنة الأساس في قيام علاقات اجتماعية سلمية، والمرأة أحد العنصرين الرئيسين التي يقوم عليها بناء الأسرة الصالحة، لذا أولى الإمام علي ε عنايته بالمرأة، وينبه إلى أثر المرأة الكبير وصلاحها يعني صلاح الدنيا والآخرة إلى حدّ ما، فيقول ε :((المرأة الصالحة ليس من

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٢٧.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٢/ص٤١؛ أبو نعيم ؛ احمد بن عبد الله الاصبهاني (٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط٢ ، (بيروت ، ٢٠٠٢ م)،ج١/ص١٢١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص٣٩.

الدنيا إنما هي من الآخرة، لأنها تفرغك لها...))[1]، ومن أجل شد وتقوية أواصر الحياة الأسرية واستمرار ديمومتها على طريق السعادة، فيصف الإمام ε أثرها بالجهاد فيشير إلى ان((جهاد المرأة حسن التبعل))[2].

ونظرا لدورها الكبير وأثرها في الأسرة وعدم جرها إلى اهتمامات خارج حدود وظيفتها الرئيسة إلا في الحالات اللازمة وشريطة أن يكون لها المعرفة والتجربة وممن عرفت بالعقل الراجح، فيوصي ε بقوله:((إياك ومشاورة النساء، إلا من جربت بكمال عقلها فإن رأيهنّ يجري إلى الأفن، وعزمهنّ إلى وهن، وقصر عليهن أجنحتهن فهو خير لهن... لا تملك المرأة أمرها ما يجاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها وبالك، إنما المرأة ريحانة وليست قهرمانة...))[3].

ودعا الإمام علي ε إلى تقدير التكوين النفسي للمرأة، فأوصى إلى المعاملة الوديعة معها وعدم خدش مشاعرها وكيانها،لأن ذلك يظهر على طبيعة العلاقات الأسرية، فقال ε :((إياك والتغاير في غير موضع غيره، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم... وأقل الغضب عليهن إلا في عيب أو ذنب... فألطفوا لهن على كلّ حال لعلهن يحسن الفعال...))[4].

وفي سبيل المحافظة واحترام هذا الكيان المهم في المجتمع بصورة عامة وفي الأسرة بصورة خاصة، نهى الإمام علي ε عن بعض السلوكيات التي تستفز مشاعرها؛ وربما يؤثر على الحياة الأسرية، فقال ε :((غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان))[5].

أمّا بالنسبة لطبيعة التعامل معها بشكل عام فقد أوصى الإمام ε بالابتعاد عن السلوك القاسي وأن لا يتناولها أحد بأذى، وفي موقف ينسجم ودعوات الإمام علي ε باحترام المرأة، فبعد معركة الجمل سنة ٣٦هـ وعند دخول الإمام علي ε الدار التي نزلت فيها السيدة عائشة في البصرة، تعرضت له إحدى النساء بالدعاء عليه عند دخوله وخروجه فقال له من كان بصحبته((والله لا

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار،ص٢٩٥.

(٢) م.ن.

(٣) الكراكجي، كنز الفوائد،ص٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه ،ص٣٧٢.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٨/ص٢٥٠.

تغلبنا هذه المرأة، فغضب وقال:لا تهيجن امرأة بأذى وأن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحائكم فإن النساء ضعيفات، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف إذ هن مسلمات))[1].

وفي مقارنة نفسية واجتماعية بين الصفات الحميدة والذميمة عند الرجل والمرأة، يقول الإمام علي ε :((خير خصال النساء شر خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها))[2].

٢ـ العلاقات الأسرية:

لقد نظر الفكر الإسلامي الى طبيعة الحياة الأسرية ، التي ترتبط ببعضها عن طريق رابطة الدم والمسؤولية والحقوق بين الوالدين والأبناء، ووضعت الشريعة الإسلامية تلك الحقوق وفقا لضوابط تنظيمية متبادلة بين الوالدين والأبناء تؤدي بالنتيجة إلى تماسك أسري يقوم على قاعدة الاحترام والطاعة من قبل الأبناء للوالدين، وهو أداء شرعي فرضه الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[3]، هذا من جانب حقوق الوالدين على الأبناء.

أمّا حقوق الأبناء على الوالدين، ففي مقدمتها تأتي التربية الصحيحة والتنشئة السليمة التي تصيرهم عناصرا بناءة خلاقة سالمين من العيوب الخلقية والنفسية، وأكد الإمام علي ε على هذه العلاقة العضوية المتبادلة في الاسرة بقوله ε :((إن للوالد على الولد حقا، إن للولد على الوالد حقا، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلا في الله سبحانه وتعالى، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه ويعلمه القرآن))[4].

ومما لا شك فيه أن إشارات الإمام علي ε إلى التربية السليمة وفقا لما تمليه الشريعة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/ص١٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج٧/ص٢٢٩.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩/ص٥٩.

(٣) سورة الإسراء، آية : ٢٣؛ ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ج٥/ص٢٢٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٩/ص٢٩٩.

الإسلامية أمر لا بد منه، لكن الإمام ε يشير إلى احترام هذا الكيان الناشئ ورعايته حتى قبل أن يولد، لمالها من تأثير يظهر في طبيعة الشخصية، إذ يوصي ε أن ((سموا أولادكم فإن لم تدروا ذكرا أم أنثى فسموهم بالأسماء التي تكون للذكر الأنثى فإن إسقاطكم إذا لقوكم في القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: إلا سميتني وقد سمى رسول الله β محسنا قبل أن يولد))[١].

وفي التفاتة موضوعية وعلمية للأسس التنشئة السليمة من الإمام علي ε راعى فيها حركة الزمن والتطور الذي يطرأ على المجتمع أخلاقيا وحضاريا، مع بقاء الثوابت الدينية كما مر في حقوق الوالدين، فقد نهى الإمام علي ε عن أسلوب التنشئة القسرية التي ينطلق منها الوالدان إلى دعوة أبنائهم بالتمسك بالطبائع والسلوكيات التي كانت عليها أجيالهما فيحذر ε من ذلك وما يسببه من مردوداته على طبيعة النشء سلبية بقوله:((لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم))[٢].

أمّا على الصعيد تقوية الأواصر الأسرية وإشاعة روح المحبة والعواطف والمتبادلة بين أفراد الأسرة، فيحث الإمام ε على ذلك بقوله:((قبلة الوالدين عبادة وقبلة الوالد رحمة،وقبلة الولد رحمة...))[٣].

ثالثا: العمل في فكر الإمام علي ε:

لم يكن الفكر الإسلامي فكرا عباديا متحجرا بمعزل عن النواحي الأخرى في حياة الإنسان، فالحقيقة تشير إلى((أن الإسلام ثورة لا تنفصل منها الحياة عن العقيدة ولا ينفصل فيها الوجه الاجتماعي عن المحتوى الروحي...))[٤]، وهناك كثير من الإشارات القرآنية التي تدفع بالمسلم وتشجعه على الحياة المتحركة عن طريق العمل، وجاء في قوله تعالى:﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

---

(١) الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن الحسن ، (ت ٣٨١هـ) ، كتاب الخصال، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، ط٦، (قم، ١٤٢٤هـ)، ج٢/ص٦٩٤.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٢٠/ص٢٢٣.

(٣) الثعالبي، آداب الملوك،ص٥٣.

(٤) الصدر، الإسلام يقود الحياة،ص٣٣.

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1] ، وقال عز من قائل:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ويتبين مما تقدم أن العمل من صلب العقيدة الإسلامية لبناء مجتمع ينتفع فيه الجميع، وبهذا الاتجاه يستنهض الإمام علي ε المسلمين الشروع بالعمل على الرغم من كفالة الله سبحانه وتعالى لأرزاق الخلائق فيناشدهم بما نصه:((قد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل، فلا يكونن المضمون لكم أولى بكم من المفروض عليكم عمله... فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل...))[3].

ولتشجيع المسلمين وتحفيزهم على النزول إلى ميادين العمل والكسب الشريف مهما كان مركز الإنسان من علو جاه أو سمو منصب، فضرب الإمام علي ε مثلا رائعا بنبي الله داود ε فيقول:((أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود أنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا، قال: فبكى داود، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الحديد أن لنْ لعبدي داود، فلانَ.. فكان يعمل كلّ يوم درعا فيبيعها...))[4].

وتشير الروايات التاريخية إلى أن الإمام علي ε من المسلمين السابقين إلى ميدان العمل للنفع والانتفاع، بتوفير العيش الكريم ويقول ε :((جعت مرة بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلب عملا في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت قدرا فظننتها تريد يلـّه فأتيتها، فقطعتها كلّ ذنوب على تمرة، فمددت ستة عشرة ذنوبا حتى حجلت يدي ثم أتيت الماء فأصبت نمنه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها... فعدّت لي ستة عشرة تمرة فأتيت النبي β ،فأكل معي منها))[5].

وذكر أبو نيرز:((جاءني علي، وأنا أقوم بالضيعتين... فقال لي: هل: هل عندك طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لك يا أمير المؤمنين، قرع من قروع الضيعة... ثم أصاب من ذلك شيئا... فغسل يديه بالرمل حتى أنفاهما... وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله،ثم أخذ المعول وانحدر في العين وجعل بضرب فأبطأ عليه الماء فخرج وقد نضح جبينه عرقا فانتكف العرق ثم أخذ المعول

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٥؛ ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ج٤/ص٢٥٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٢؛ ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ج٧/ص٢٠٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٧/ص١٩٦.

(٤) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٨١.

(٥) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج١/ص٣٤؛ أبو نعيم ،حلية الأولياء،ج١/ص١١٢.

وعاد إلى العين ثم أقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فاثالت العين كأنها عنق جزور...))[١].

وهكذا كان الإمام علي ε دؤوبا ساعيا في طريق العمل قاهرا الظروف مهما كانت صعوبتها، فكان ε ((يخرج في الأجرة في الحاجة قد كفيها يريد أن يراها الله تعالى يتعب نفسه في طلب الحلال))[٢].

وشوهد الإمام الحسن بن علي ε يعمل وقد أرهق، فطلبوا منه ترك العمل، فقال ε :((عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه ...رسول الله β ...وآبائي كلهم قد عملوا بأيديهم وهو عمل النبيين والمرسلين والصالحين))[٣].

رابعا: المشكلات الاجتماعية :

لقد شخص فكر الإمام علي ε ـ في الجانب الاجتماعي ـ بعض المشكلات الاجتماعية التي تخلق آثارا وخيمة في المجتمع وربما تقف حائلا بوجه حركته وتطوره، منها ما استنكرها ونهى عنها الإمام ε ومنها ما أعطى الحلول المناسبة لمعالجتها.

ومن بعض هذه المشكلات الاجتماعية التي استنكرها الإمام ε ونهى عن العمل فيها ظاهرة التنجيم التي إن شاعت سوف تبعد الإنسان عن حياة الحقيقة والواقعية وتقوده إلى ظاهرة الشعوذة والخرافات فقد رفض الإمام علي ε دعوة أحد المنجمين إليه للعمل برأيه، ثم حذر الناس بقوله:((أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى بها في برّ أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على اسم الله))[٤].

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي يشجبها الإمام وينهى عنها التجمعات العشوائية غير الهادفة، التي تجلب الضرر للمجتمع وتعطل نشاطه في الحياة، فقد رفض الإمامε هذه الظاهرة التي تؤدي إلى ترك الناس لأعمالهم من دون مسوغ يدعوهم إلى ذلك، وقد وصف هذه الظاهرة

---

(١) الآبي، نثر الدر، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج٣/ص٤٨٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٦/ص١٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٢٦.

بالغوغاء وقال فيهم:((إذا اجتمعوا ضروا، فإذا تفرقوا نفعوا، فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة تفرقهم؟ فقال: يرجع أهل المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم...))[١].

وتصدى الامام عليε إلى آفة اجتماعية خطيرة، وهي ظاهرة تفشي الأمية والجهل بين الناس، فضلا عن التكبر على العلم والإصرار على الجهل، يقول الإمام ε:((ولا يستحي أن يقول لا أعلم إذ هو لا يعلم ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم))[٢]

ومن المشكلات الاجتماعية التي تنتشر في واقع المجتمع الإسلامي وقد تناولها الامام ε وهي كثرة عدد أفراد الأسرة مع ابتلائها بالفقر الذي ربما يتسبب لها بالتعاسة والحرمان من العيش الميسور، فأشار الإمام ε إلى معالجة هذه المشكلة بقوله:((قلة العيال أحد اليسارين))[٣]، ويقول ε أيضا:((أن اليسار الثاني كثرة المال ...إن قلّ العيال مع الفقر كاليسار الحقيقي مع كثرتهم...))[٤].

ومن الافرازات الاجتماعية الخطيرة تعرض الأنظمة السياسية الجديدة للأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع والمساس فيها مما يخلق حالة من الخلل الاجتماعي فقد حذر الإمام ε مالك الأشتر من التعرض إلى هذه الأعراف والتقاليد الاجتماعية والمحافظة عليها فيؤكد ε أن :((لا تنقصن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، لا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن...))[٥].

ومن الأمراض الاجتماعية التي تفتك في جسد المجتمع وهي ظاهرة النفاق التي تشوه صورة ذلك المجتمع وتقف حائلا بوجه تقدمه ، وغالبا ما تبرز هذه الظاهرة في المجتمعات التي تحكمها أنظمة سياسية لا تستند إلى الاسس الدينية والأخلاقية وتتعمد في سياستها إلى تهميش القيم المثالية للمجتمع ولم تنظر إلى الإنسان غاية بل وسيلة وبالنتيجة يؤدي ذلك إلى ((ضياع الشخصية

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ص٣٥٣.

(٢) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة(ت ق٤هـ)، تحف العقول عند آل الرسول β ، قدم له: حسين الأعلمي ، (د.ب، ١٣٨٤هـ)،ص١٥٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨/ص٢٧٢.

(٤) م.ن.

(٥) المصدر نفسه:ج١٧/ص٣٨.

المستقلة بفكرها وعقيدتها وحريتها في متبنياتها والتعبئة العمياء التي يهدف إليها المستكبرون...)) [١].

وقد حذر الإمام علي ε من هذا المرض ودعا المسلمين إلى التحصين والوقاية منه فقال ε:((إياكم وتهزيع الأخلاق واجعلوا اللسان واحدا ...وان لسان المؤمن من وراء قلبه، وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيرا أبداه وان كان شرا واراه ، وان المنافق يتكلم بما اتا على لسانه ما يدري ماذا قال وماذا عليه ...)) [٢].

ومن ثم يوضح الإمام عليε مدى الخطورة الكبيرة على مصير الامة الإسلامية إذا تفشى هذا المرض بين أفراد الامة فأبدى مخاوفه للمسلمين بدعوته للابتعاد عن هذا السلوك المشين الذي لا يمت لثوابتها وقيمها ألأخلاقية التي تربط الفرد بمصير حياة الجماعة ومستقبلها ، فقد دعا المصريين بكتابه إليهم حينما ولى عليهم محمد بن أبي بكر بقولهε :((إني لا أخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا ،أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ،وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني أخاف عليكم من منافق الجنان ، عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون .)) [٣].

---

(١) الصدر ،المجتمع الفرعوني ،ص٨٠ .
(٢)الشريف الرضي ،نهج البلاغة ،ص٣١٨ ـ ٣١٩ .
(٣)الشريف الرضي ،المصدر نفسه ،ص٤٨٧ .

الفصل الرابع

الأساس الإداري والقضائي في فكر الإمام علي ε

المبحث الأول: الفكر الإداري عند الإمام علي ε:

المبحث الثاني: القضاء في فكر الإمام علي ε :

المبحث الثالث:الانظمة المساعدة على تحقيق العدالة.

المبحث الأول

الفكر الإداري

أولا ـ التنظيم الإداري لدولة الخلافة في عهد الإمام علي ع من سنة(٣٥هـ/٦٤٥م ـ ٤٠هـ/٦٦٠م):

إن أولى أولويات الإمام علي ع حين تقلد منصب الخلافة هو تنظيم الجهات التنفيذية والتشريعية لدولته؛ لأن ((الإمام هو أعلى سلطة إدارية في الدولة تنتهي إليه جميع السلطات وتستمد العناصر الإدارية سلطاتها، وبقدر ما يكون الإمام منبيا إلى القانون والنظم يكون المجتمع منتظما سائرا في طريق التوازن الاجتماعي والاقتصادي))[١].

وانطلاقا من ذلك فقد توجه الإمام علي ع في مستهل سنة ٣٦هـ إلى((بعث...عماله على الأمصار...))[٢]، وكان قد ورث أعباء ثقيلة من العهد السابق ولاسيما ولاة الخليفة عثمان المطعون في سيرتهم وسياستهم التي كانت في مقدمة الأسباب للثورة على الوضع السائد آنذاك، فأصبح((القرار التغييري الأكثر إلحاحا حينذاك هو إعادة النظر في الجهاز الإداري ، كونه الأداة التنفيذية المسؤولة للخلافة...))[٣].

وكان الإمام علي ع قد اسند مهام الحكم في عهده في المدن والأقاليم إلى كلٍّ من أبي أيوب الأنصاري (ت٥٢هـ) على المدينة[٤]،وقيل:إنه ولي عليها تمام بن عباس ((عندما سار من المدينة نحو البصرة))[٥]،وقثم بن العباس (ت٥٥هـ) على مكة والطائف[١].

---

(١) الموسوي، محسن باقر ، الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ع ، (بيروت،١٩٩٨م)،ص١٢٦.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين ابن الفرج عبد الرحمن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : سهيل زكار،(بيروت، ١٩٩٥م)، ج٣/ ص٣٤٥.

(٣) السعد،غسان، حقوق الانسان عند الامام علي ع ،ص١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص١٥٥.

(٥) ابن خياط، تاريخ خليفة خياط، ص١٥٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/ص١٢٨.

أما العاصمة الكوفة فقد تعاقب عليها عدد من الولاة، وكان أولهم أبو موسى الأشعري[٢]، وعمارة بن شهاب [٣]، وقرظة بن كعب الأنصاري(ت ٤٠هـ)، وأبو مسعود البدري(ت٤٠هـ)، وهاني بن هوذة النخعي(ت٤٠هـ)[٤]، وقلد ولاية البصرة وكور الأهواز وفارس وكرمان إلى عدد من الولاة منهم عثمان بن حنيف الأنصاري(ت٥٧هـ)[٥]، وعبد الله بن عباس،(ت٦٥هـ وقيل ٦٨ هـ)[٦].

ويذكر أن ابن عباس قد ((جمعت إليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها...))[٧]، وسمرة بن جندب (ت العقد ٦هـ)[٨]، وعين على المدائن سعد بن مسعود عم المختار الثقفي[٩]، أمّا ولاية الموصل وما يحيط بها حتى معركة صفين سنة (٣٧هـ)، فقد أسندت إلى مالك الاشتر(ت٣٨هـ)[١٠].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٣/ص٤٠٥؛ (تمام بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي : ولد بمكة لأم ولد واستعمله علي ε على المدينة، وأدرك النبي β ،إن = علياε لما سار إلى العراق استعمل تمام، وكان للعباس عشرة من الولد وكان تمام أصغرهم مات ولا عقب له...)). ينظرالأميني، محمد هادي ،اصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه،(بيروت،١٩٩٢م)، ج١/ص٨٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢/ص١٢٤.

(٣) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٣هـ) الولاة والقضاة، تحقيق : محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد المزيدي،(بيروت،٢٠٠٣م)،ص١٩؛ عمارة بن شهاب :((كان له هجرة واستعمله الإمام علي على الكوفة))، ينظر ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، (بيروت ، ١٩٩٢م) .

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٨٧.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٤

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ص١٠٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٣/ص٢٦٣.

(٨) اليعقوبي، تاريخ،ج٢/ص١٣٩.

(٩) الدينوري، الأخبار الطوال،ص٥٤، ينظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ /ص٥٦٥ ؛ سعد بن مسعود : وهو ((عم المختار بن ابي عبيدة بن مسعود الثقفي ، من الاحلاف ويقال : أن مسعوداً جده هو عظيم القريتين ،فولد مسعوداً سعداً وابا عبيدة ...)) ؛ ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٠٠، ٤٠١ .

(١٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٥٤ .

وولي على مسلحة عين تمر مالك بن كعب الارحبي[١]، في حين أسندت ولاية البحرين إلى عمر بن مسلمة(ت٨٣هـ)، وقدامة العجلان، والنعمان بن العجلان الأنصاري(ت بعد سنة٣٧هـ)،[٢]، وعلى عمان الحلو بن عون الأزدي، وبعد مقتله توجه معقل بن قيس الرياحي(ت٤٢هـ)، عندما((وثبت بنو ناجية... وارتدوا عن الإسلام))[٣].

وعقد الإمام علي ε ولاية مصر إلى قيس بن سعد (ت٥٩هـ)، وبعده((بعث علي على أمرة مصر مالك الأشتر النخعي فسار إليها... فلما بلغ القلزم شربه شربة من عسل فكان فيها حتفه... فلما بلغ عليا مالك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر (ت ٣٨هـ) على أمره مصر، وقيل وهو الأصح أن عليا ولي محمد بن أبي بكر بعد قيس بن سعد...))[٤].

وعهد بولاية اليمن الى كل من عبيد الله بن العباس (ت ٨٥هـ) ، وقثم بن العباس[٥].

أمّا الشام فقد اسند ولايتها إلى سهل بن حنيف (ت ٣٨هـ)، ولكن لم يتسنَ له الوصول وتسليم مقاليد الأمور[٦].

في حين ولي إقليم فارس إلى ((خليدة بن قرة اليربوعي وقيل ابن أبزي(*)))[٧]، ثم تولاها زياد بن أبيه (ت ٥١هـ) بعد سنة (٤٠هـ) بعدما ((طمع أهل فارس وأهل كرمان فغلب أهل كل

---

(١) اليعقوبي، تاريخ،ج٢/ص١٣٥؛ مالك بن كعب الهمداني الأرحبي: ((استعمله علي على دومة الجندل، وحين وحين بعث معاوية مسلم بن عقبة المري اليها، ... وخرج في ألف فارس واقتتلوا يوما ثم انصرف منهزما، وهو من العشرة الذين شهدوا في صحيفة التحكيم في صفين...))، ينظر: الأميني، محمد هادي، أصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه، ج٢/ص٩٠٥.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٥١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٥

(٤) ابن كثير،، البداية والنهاية، ج٧/ص٢٣٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ص١٥٥؛((قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي،: أمير أدرك صدر الإسلام في طفولته... وولاه...علي بن أبي طالب على المدينة فاستمر إلى أن قتل علي ، فخرج في أيام معاوية الى سمرقند، واستشهد بها...))، الزركلي، أعلام، ج٥/ص١٩٠

(٦) الدينوري، ألأخبار الطوال، ص١٥٤

(*) ابن بزي وهو: ((عبد الرحمن بن بزي الخزاعي، مولى نافع عبد الحارث الخزاعي، سكن لاكوفة واستعمله علي على خراسان،وأدرك النبي β وصلى خلفه...)) ، ينظر: ابن عبد البر، (ت٤٦٣هـ)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب،(بيروت،٢٠٠٢م)،ج١/ص٤٩٥.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣/ص٣٩٥

ناحية على ما يليهم وأخرجوا عمالهم...))[١].

وأما إقليم خراسان فقد((بعث علي خليدة بن قرة اليربوعي ويقال خليدة بن طريف ...)) [٢]، وولي على اصفهان عمر بن مسلمة (ت٨٦هـ)[٣]، وعقدت ولاية الري إلى يزيد بن حجية التميمي[٤]، وكان على إقليم اصطخر المنذر بن الجارود(ت٦١هـ) ، وعلى أذربيجان ولى الإمام علي ε الاشعث بن قيس (ت ٤٠١هـ)[٥]، وعقد لمصلقة ابن هبيرة(ت نحو٥٠هـ)، على اردشير طره[٦].

أمّا مهمة القضاء في العاصمة فقد اسندها الإمام علي ε طلية عهده إلى أكثر من قاضي في مقدمتهم شريح القاضي (ت٧٦هـ)، ومحمد بن يزيد بن خليدة الشيباني[٧] وسعيد بن نمران الهمداني(ت٧٠هـ)، وعبيدة السلماني(ت ٧٢هـ)[٨]، وتولى قضاء البصرة عدد من القضاة، منهم أبو الأسود الدؤلي(ت٦٧هـ)، وقيل الضحاك بن عبد الله الهلالي ويقال: عبد الله بن فضالة الليثي[٩].

---

(١) المصدر نفسه،ج٣/ص٤٠١

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص٥٥٨ . خليدة بن طريف وهو :((من أصحاب أمير المؤمنينε بعثه إلى خراسان بعد وقعة الجمل، وكانوا قد ارتدوا وعصوا ففتحها ـ وقيل إنه بعث خليدة بن قرة اليربوعي**... ويقال خالد بن قرة بن طريف أو خالد بن طريف بن قرة نسبة تارة إلى أبيه وأخرى إلى جده...)) ، الأميني، محسن ، أعيان الشيعة، حققه:حسن الأمين، ط٥ ، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١٠/ص١٢١.**

(٣) ابن ألأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ص٣٦٤.

(٤) المصدر نفسه،ج٣/ص١٧١. هو ((يزيد بن حجية بن ابي عبيد الله بن خالد بن عائد بن ثعلبة بن الحارث بن تيم اللات بن ثعلبة ... ويقال يزيد بن ربيعة التميمي وقد شهد وقعة صفين مع الإمام عليε وكان احد الشهود في كتاب الصلح ...)) ، ينظر : الشاهرودي ، علي النمازي ، مستدركات علم رجال الحديث ، (طهران ، ١٤١٢هـ) ، ج٨/ص٢٤٩ .

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٩، ١٤١.

(٦) المصدر نفسه ، ج٢/ص١٤٠.

(٧) وكيع، محمد بن خلف بن حبان (ت٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، مراجعة : سعيد اللحام، (بيروت،٢٠٠٢م)،ص (بيروت،٢٠٠٢م)،ص ٥٨.

(٨) م.ن.

(٩) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٥١. هو ((عبد الله بن فضالة الليثي : ولدت في الجاهلية فعق عني عني ابي بفرس ...)) ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣/ص٩٦٢ .

وكانت الحجابة من مسؤولية قنبر، مولى الإمام علي ε [١].

وتولى مهام الكتاب لدى الإمام علي ε عدد من الكتاب، كان أشهرهم عبد الله بن أبي رافع (ت ٤٠هـ)[٢]، ثم سعيد بن نمران الهمداني[٣]، وعبد الله بن جعفر(ت٨٨هـ)، وعبد الله بن جبير(ت٨١هـ)[٤].

وكان صاحب الشرطة في عهد الإمام علي ε كل من: معقل بن قيس الرياحي(ت٤٢هـ)، ومالك بن حبيب اليربوعي[*] ، وعلى شرطة الخميس الاصبغ بن نباتة بن نباتة[**][٦].

واسند الإمام علي ε مهمة خزانة بيت المال إلى أبن أبي رافع (ت٤٠ هـ)[٧] وأصبحت الخارطة الجغرافية لدولة الخلافة في هذه المدة هي((الحرمان والمصران ،والحجازان،واليمن،والبحران ،وعمان ، واليمامة ،ومصر ،وفارس ،والجبل وخراسان...)) [٨].

ومن الدعائم التي يستند عليها الحاكم هم الوزراء والأعوان، والمستشارون، وقد أولى الإمام في فكره الإداري هذه الناحية أهمية كبيرة، وأدرجها ضمن فقرات دستوره الشامل لعامة الحكام والولاة ليس لمالك الاشتر فحسب، فأوصى ε باختيار هؤلاء الوزراء والأعوان والمستشارين بمواصفات غاية في الدقة ولاسيما ممن لم تكن لهم سوابق ومؤشرات مشينة في العهود التي

---

(١) م.ن.

(٢) ابن الكازروني، مختصر التاريخ،ص٧٧.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٧.

(٤) الجهشياري،الوزراء والكتاب، ص٢٣.

(*) مالك بن حبيب اليربوعي:((كان صاحب شرطته في الكوفة، ولما قدم أمير المؤمنين ε الكوفة بعد حرب البصرة يوم الاثنين... ٣٦هـ، صعد المنبر وخطب أهل الكوفة فقال: والله إني لأرى الهجر واسماع المكروه لهم قليل والله لئن امرتنا لنقتلنهم...)) ، ينظر : الأميني، اصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه، ج٢/ص٥٠.

(**) ((وكان من خاصة أمير المؤمنين وعمر بعده، روى عنه الأشتر ووصيته إلى ابنه محمد...)) ، ينظر : النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس(ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، ط٥ ، (قم المقدسة ،١٤١٦هـ)،ص٨.

(٥) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥١.

(٦) أبن الجوزي ،المنتظم ، ج٣/ص٤٠٧.

(٧) الدينوري ،الاخبار الطوال،ص١٥٦.

(٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٣٤.

سبقت، فيكونوا ممن حسنت سيرتهم وسلوكهم فيوصيه ε أن :((شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرا ومن شركهم في الآثام فإنهم أعوان الآثمة وإخوان الظلمة...))[١].

وبالرغم من عدم ظهور منصب الوزارة في تلك المدة، إلا أن أثره كبير فيعدّ((الوزير عونا على الأمور وشريك في التدبير على السياسة ومفزع عند النازلة))[٢].

وكان الإمام علي ε قد سبق ولاته وعماله في التطبيق العملي لهذه الفقرة من الدستور أو العهد الذي نظرهُ، فقد اتخذ الإمام علي ε وزراء وأعوانا ومستشارين من((أهل البصائر واليقين من المهاجرين والأنصار، مثل: عمار بن ياسر(ت٣٧هـ)، والمقداد(ت٣٠هـ)وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت(ت٣٧هـ) وابو الهيثم بن التيهان، وقيس بن سعد، ومن أشبه هؤلاء من أهل البصيرة والمعرفة))[٣].

وتلي هذه الحلقة حلقة أخرى من المستشارين والأعوان وهم على درجة كبيرة من الاستعداد لتقديم العون والمشورة ومنهم الحسن والحسين(عليهما السلام) وصعصعة بن صوحان(ت٥٦هـ)، ومالك بن الاشتر وغيرهم[٤].

ويستدل على نشاطهم في المعاونة والمؤازرة كتابه ε الذي عاتب فيه أحد أبرز وزرائه ومعاونيه ابن عمه عبد الله بن عباس بقوله((فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعارا من بطانتي، ولم يكن من أهلي أوثق منك، لمؤاساتي ومؤازرتي...))[٥].

ويعد التنظيم الإداري هو الخطوات الأولى لحكم الإمام علي ε للانطلاق إلى ميدان أوسع بالمهمات والمسؤوليات والعمل ووفقا لما تنبئ به ظروف التغيير للواقع السياسي وفقا لرؤية الإمام علي ε السياسية والإدارية((على جادة الخلافة، ويحاول ما وسعه الجهد أن يجعل الحكم والرعية كليهما يعملان في نطاق دين الله، ويسيران على ما شرعه الإسلام...))[٦].

---

(٢) الطرطوشي، سراح الملوك،ص٢١١.

(٣)الاسكافي،أبو جعفر، المعيار والموازنة،ص٩٨.

(٤) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ص٣٧٨.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦/ص١٣٠.

(٦) عبد المقصود، عبد الفتاح، المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب،ج٤/ص١٠٢.

ثانيا: السياسة الإدارية في فكر الإمام علي ε :

١ـ الضوابط والمواصفات الشخصية لاختيار الولاة العمال:

مما تقدم يبدو أن الإمام عليا ε كان ممعنا في اختيار عماله لإيمانه بالشخص الوالي من تأثير في الرعية عن طريق المؤهلات الذاتية والتي تمنحها له السلطة،فيقول في هذا الشأن:((فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة...))[١]، وتؤكد بعض المصادر أنه لم يول إلا((ممن عرفوا بالصلاح...))[٢]،و((أهل الديانات والأمانات...))[٣]، أمّا بشأن تولية بعض المقربين من الإمام علي ε وهو من الأمور المنكرة على الخليفة عثمان، فيبرر العقاد هذا الإجراء بقوله:((فهو إذن يضع ما أنكره على حكومة عثمان من إتيان الأقرباء بالولايات وإقصاء الآخرين عنها... ولكنها مقارنة بالاشكال والحروف دون البواطن والغايات لأن المقارنة الصحيحة بين العمليتين تسفر عن فارق كبير كالفارق بين النقيض والنقيض، فبنو هاشم، لم يكن لهم متسع لعمل أو ولاية في حكومة غير الإمام ولم يكن الإمام معتمدا على غيرهم بعد أن حاربته قريش وشاعت الفرقة والشغب بين أعوانه من أبناء الأنصار... وهم مع هذا لم يؤثروا بالولايات كلها...))[٤].

إن الضوابط والمؤهلات الشخصية للعامل أو الولي، التي يؤكد عليها ε أن يكون من أصحاب المروآت وممن صهروا في البيوتات الصالحة ومن لها سبق في الدين الإسلامي وجاءت هذه الصفات الحميدة في قول الإمام علي ε :((وتوخَ من أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقا وأصلح أعراضا،وأقل في المطامع أشرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظرا))[٥].

وللكفاءة وأمانة الشخص المراد توليته، فإنهما صفتان غاية في الأهمية والخطورة عند تسلمه زمام المسؤولية ،ويبدو أن الإمام عليا ε يشير إلى قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب ويتبين ذلك من وصيته ε :((ولكن أختبرهم بما ولوا الصالحين قبلك، فأعمد لأحسنهم كان

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١/ص٧٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٢٤.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج٢/ص٥٤.

(٤) العقاد، عبقرية الإمام علي، ص١٦٨،١٦٩ .

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج بالبلاغة، ج١٧/ص٥٤.

في العامة أثرة، وأعرفهم بالأمانة وجها...))[١].

وللشخصية القويمة العارفة بقدر نفسها وقدر الآخرين، في سلوكه وسياسته بإدارته لمهامه في إطار الدولة والمجتمع، فيشير الإمام علي ε إلى ذلك بقوله:((لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل))[٢].

واشترط الإمام علي ε أن تكون النزاهة من الشروط والمواصفات الرئيسة لعمال الدولة وموظفيها وحدد الإمام علي ε الشخص النزيه بأن((يكسر نفسه عن الشهوات وينزعها عن الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء...))[٣]، فيكون مترفعا عن كل النزوات النفسية المعنوية مثل بهرجة الحكم أو أبهته أو النزوات المادية بتصرف بأموال الأمة التي قيد أوامره وعليه أن يحترم ذمم الرعية، ويذكر أحد المفكرين عن هذه الحالة الخطرة والمهمة للجهاز الإداري للدولة بقوله:((وكسر النفس عن الشهوات التي هي التعفف في الموظف الإداري على طرفي نقيض، أو من المستحيل أن يكون عفيفا حتى استرسل مع شهواته وانقاد إلى نفسه الأمارة بالسوء المغتر بالإمارة والجاه الطويل العريض، وهل معنى ايصائه بردع نفسه عند الجمحات إلا تحذيره من التهور في المسائل الإدارية والعسكرية وأن يتصف بالمتانة والتبصرة المشترطين في كل إداري...))[٤]، ويحذر الإمام ε من أحد أمراض الفساد الإداري وهي قبول الموظف الهدية أو أخذ الرشوة فيقول:((وأن أخذ هدية كان غلولا، وإن أخذ رشوة فهو مشرك))[٥].

وللصفات الأخلاقية جانب كبير من الأهمية تبعد صاحبها عن الشبهات والأساليب الدنيئة والملتوية، فمتى كان الموظف صادقا ورعا كان أشد حرصا على شؤون البلاد والعباد وتفضليه المصلحة العامة على موقعه الوظيفي، فضلا عن أن الورع يدفعه إلى الإخلاص فيشير الإمام علي ε بقوله:((وألصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على إلا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله...))[٦].

ومن الصفات الإنسانية للحاكم الإسلامي أن يكون متواصلا مع شعبه ورعيته واقفا على

---

(١) المصدر نفسه:ج١٧/ص٥٩ ؛ ينظر: الكنيدري، حدائق الحقائق، ص٤١٩، ٤٣٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٥٩.

(٣) المصدر نفسه :ج١٧/ص٢٦.

(٤) الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية ، ص٢٥.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة أخبار الأئمة الأطهار، ج٧٢/ص٣٤٥.

(٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٣٦ .

حوائجهم سواء في حدود موقعه أو عند من تبعه من في دائرته أو رقعته الجغرافية، وهذه صفات القيادي الناجح القريب من شعبه ومن الله سبحانه وتعالى، ويقول الإمام علي ε :((أيما والي احتجب عن حوائج الناس احتجب الله يوم القيامة عن حوائجه...))[١] ، وثم يذكر الإمام علي ε الحاكم ويحذره من نفسه بقوله:((وإياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه))[٢].

ولابد لعامل الدولة الإسلامية في أي مفصل من مفاصلها الحكومية أو الإدارية أن يكون على درجة من احترام الذات والابتعاد عن التكلف والتكبر وأن يكون كيسا غير مبتذل في سلوكيات تصغره عند العامة، وهذه النظم من عناصر النجاح الإداري، فيشير الإمام علي ε إليها في وصاياه إلى أحد عماله على الصدقات ان((أمضِ إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم))[٣].ودعم الإمام علي ε الشروط والمواصفات أعلاه بأن يجري استعمال العمال عن طريق الاختيار والابتعاد عن الشفاعة العصبية القبلية أو الاجتماعية فأشار بقوله:((ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة))[٤].وفي ضوء ما تقدم فإن الإمام علي ε قد((وضع...أسسا متينة للنظام الإداري في الإسلام عند تولية الخلاقة عام ٣٥هـ...))[٥].

٢- سياسة الإمام علي ε مع عماله:

أ - سياسة الثواب والعقاب.

ب - سياسة التفتيش والمراقبة.

جـ - التوجيهات الإدارية للإمام علي ε إلى الولاة والعمال.

أ - سياسة الثواب والعقاب:

لقد اتسمت سياسة الإمام علي ε مع عماله بين جانبي اللين والشدة كل جانب يقدر ويقوّم

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢/ص٣٤٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٨٧ .

(٣) المصدر نفسه، ج١٥/ص١٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١٧/ص١٥٤ .

(٥) الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد، ص١٢٥.

ويأخذ استحقاقه من سياسة الإمام علي ε لأن((أمير المؤمنين حينما تولى الحكم، لم يكن يستهدف من تولي الحكم تحصين التجربة أو الدولة، بقدر ما كان يستهدف المثل الأعلى للإسلام...))[١].

وانطلاقا من جوهر هذا الهدف، كان الإمام علي ε يحث عماله بتحقيق الأفضل لرضى الله سبحانه وتعالى ولخدمة المسلمين، ففي أحد كتب الثناء والتقدير لأحد العمال المتفانين في واجبهم وعملهم يقول له ε :((أمّا بعد فقد وفرت على المسلمين فيئهم، وأطعت ربك ونصحت إمامك فعل المتنزه العفيف، فقد حمدت أثرك ورضيت إمامك وأبيت رشدك، غفر الله لك والسلام.))[٢].

وضمن سياسة الثواب هذه وتثمينا وتشجيعا من الإمام علي ε لكل عامل مخلص في الدولة عسى غيره من الولاة والعمال أن يحتذي به ، فقد أرسل كتابا إلى أحد العمال الأكفاء في ادارتهم يبلغه فيه رضاه عنه قائلا:((فإنك قد أديت خراجك، وأطعت ربك، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك، وحسن مآبك))[٣].

أمّا من الجانب الآخر فإن الإمام عليا ε اتبع سياسة الحزم والعقوبة وتفاوتت مساحة هذه السياسة بين العتب والتوبيخ إلى الحبس، فالولاة جميعهم في نظر الإمام علي ε على السواء، إلا في تقييم أداء العمل، ويضع الإمام علي ε هذه الحقيقة أمام عين العمال والولاة فيقول لهم:((وإن تكونوا عندي في الحق سواء فإذا فعلت ذلك وجبت عليك النعمة ولي عليكم الطاعة وأن لا تنكصوا عند دعوة ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أنتم لم تسمعوا لي على ذلك، لم يكن أحد أهون عليّ من فعل ذلك منكم ثم أعظم فيه العقوبة...))[٤].وفي تقريع وتوبيخ لأحد عماله، لما بلغه عنه من أعمال لا ترضي، وأنه سوف يتخذ أقصى العقوبات بحقه عندما يتحقق من الأمر، جاء في الكتاب:((إن صلاح أبيك غرني فيك... ولئن كان ما بلغني حقا لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، فأقبل اليّ حين يصل اليك كتابي...))[٥].وبعد التحقيق قرر الإمام

---

(١) الصدر، محمد باقر، الإمام علي ε ،سيرة وجهاد، ص٦١.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٢/ص٣٨٧

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٣٩.

(٤) الاسكافي، أبو جعفر، المعيار والموازنة، ص١٣٠

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨/ص٤١

علي ع عزله وتقريعه وحبسه[١].

ولم يتسم موقف الإمام علي ع بالتهاون مع ابن عمه عبد الله بن عباس عندما علم ع أنه قد أخذ أموالا من بيت مال المسلمين، بعث إليه كتابا شديد اللهجة وفيه من التهديد والتوعد باتخاذ أقصى العقوبات بحقهن وأقسم على ذلك قائلا:((فوالله لو أن حسنا وحسينا فعلا مثل الذي فعلت لما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني برخصة حتى آخذ الحق لمظلومهما...))[٢].

وعندما بلغ الإمام علي ع أن مصقلة بن هبيرة[*] يقسم الفيء بين أبناء عشيرته، فقام الإمام علي ع بإنذاره في الكتاب الذي بعثه إليه مبلغه موقفه منه بقوله:((فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك عليّ هوانا، فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين عملا))[٣].

ومن مواقف العدالة الملفتة للنظر في سياسة الإمام علي ع وعدم تهاونه مع أي انحراف صغيرا كان أو كبيرا في سياسة الولاة والعمال، ففي كتاب فيه الكثير من التقريع والوعظ، لا لخيانة أمانة أو تجاوز على حقوق المسلمين بل لكونه استجابة لدعوة حضور وليمة، ويعدّ الإمام علي ع هذه الدعوة ليس لشخصه عثمان بن حنيف بالذات بل تمثل دعوة لمنصبه في الدولة، فكتب إليه:((أما بعد يابن حنيف، فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ...))[٤].

---

(١) للمزيد ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤٢

(٢) التوحيدي،البصائر والذخائر، ج٢/ص١٨٩.

(*) مصقلة بن هبيرة(نحو ٥٢هـ)، وهو((مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني من بكرب وائل، قائد من الولاة، كان من رجال علي بن أبي طالب، وأقامه علي عاملا على بعض كور الاهواز، وتحول إلى معاويةبن سفيان... فكان معه في صفين... وولاه طبرستان فتوجه وتوغل في بلادها ومضايقها...فيما هو عائد تسلط عليه العدو فقذفوه بالحجارةوبالصخور من الجبال فقتلوه...))، ينظر : الزركلي،اعلام،ج٧/ص٢٤٩

(٣) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ،ص٥٢٧.

(٤) ابن حمدون،التذكرة الحمدونية، ج١/ص٩٨

وهناك العديد من المواقف الأخرى في سياسة الإمام علي ع هذه مع عماله وولاته[١].

ب ـ سياسة التفتيش والمراقبة:

وضمن حلقات سياسةالإمام علي عالإداريةكانت حلقةالتفتيش والمراقبة،لمالهذاالاسلوب من أثر ايجابي على سيرالأعمال الإداريةفي زمن((لم تكن الإدارةفي الإسلام قد بلغت هذاالمستوى من التطور...))[٢].وكانت سياسةالإمام عليعفي هذاالجانب سياسة دقيقة يحاول فيهاعأن لايسمح لأي انحراف يضر بالمنفعة العامة للمسلمين ، ويتوضح ذلك في كتاب لأحد عماله فيقول:((فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشا شافيا))[٣].

ومن أساليب التفتيش الإداري الذي انتهجه الإمام علي ع ، هو التفتيش الميداني بإرسال المفتشين، ويمكن القول(اللجان التفتيشية) إلى أماكن العمل الاداري، ومن ذلك ما أمر به الإمام علي ع عامله كعب بن مالك(ت٥٦هـ)، ليترأس مجموعة تتولى مهمة التفتيش الميداني، ويبلغه الإمام علي ع توجيهات وتعليمات عمله بقوله:((أمّا بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم...))[٤].

ولم يكتفِ الإمام علي ع بأسلوب التفتيش العلني بل كان يعتمد على أسلوب التفتيش السري للمراقبة والاطمئنان لسياسات العمال العادلة وسلامة حقوق المسلمين، فيوصي عامله على مصر مالك الأتشر بقوله:((ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأمور حدوو لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية...))[٥]، اي((اجعل عليهم طرفا أو ناظرا يحفظهم ويخبرك بأحوالهم وأفعالهم))[٦].

إن استخدام الاشخاص الذين حسنت سيرتهم في المراقبة السرية كي((يزودوا الوالي أو الخليفة بأوثق الأخبار وأدق المعلومات عن الموظفين،لأن تقاريرهم وأخبارهم يتوقف على مصير الموظف في حالتي الثواب والعقاب... والغاية من مراقبة الموظفين... هي أن تقدم تقارير سرية

---

(١) ينظر:ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،ج١٦/ص١٢٧؛القندوزي،ينابيع المودةلذوي القربى،ج١/ص٤٣٩.
(٢) شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الإسلام ، ٥٤٢.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٤٠.
(٤) أبو يوسف، الخراج، ص١١٨.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٥٤.
(٦) الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،ص٥٤٥.

وهم على حقيقتهم غير متظاهرين أو مغالطين))[١].

جـ - توجيهات الإمام علي ε الإدارية :

حرص الإمام علي ε على أن تكون متابعته وتوجيهاته لعماله منذ اللحظات الأولى لاستعمالهم، إذ يقوم الإمام علي ε باستدعاء العامل ليملي عليه توجيهاته الخاصة بعمله وسياسته في إدارته، ويذكر أنه((أراد أن يستعمل رجلا دعاه فأوصاه وقال: عليك بتقوى الله الذي لابد من لقائه... وعليك فيما آمرك به بما يقربك من الله))[٢]، ولم يكن الإمام علي ε موجها فقط، بل كان منكبا أيضا على وضع الخطط والسياقات الإدارية للدولة بشكل عام، ومنها ما أشار ε إلى أعماله للتخصص بالعمل وتقسيمه وتحديد المسؤولية بقوله:((وأجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا، لا يقهره كبيره، ولا يتشتت عليه كثيرها...))[٣]. وهذا يدل((من الناحية التنظيمية والإدارية المعاصرة ، يقوم بجعل الأعمال الموكولة للأفراد على شكل دوائر متشابهة ولجميع الأعمال المتماثلة، بدائرة واحدة، ولكل عمل يحدد له رئيس من الكتاب بقسم ذلك التقسيم بالقدرة على ضبط الأعمال الموكولة بحيث لا تكون كبيرة يتعذر على الرئيس ادارتها ولا تخرج عن قدرته بتشتتها...))[٤].

ومن الإشارات التنظيمية الدقيقة والمهمة التي حذر الإمام علي ε عماله وولاته من ظاهرة خطيرة غالبا ما تسبب بالاستئثار بمصالح الدولة والرعية، وهي ظاهرة النفعيين والوصوليين الملتفين حول العامل أو الوالي أو أي رئيس عمل، فيحذر الإمام علي ε من ذلك بقوله:((ثم أن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة انصاف في معاملة ،فأحسم مؤونة أولئك يقطع أسباب تلك الأحوال...))[٥].

ومن توجيهات الإمام علي ε في السياسة الإدارية ، دعوته إلى الوالي أن يتمتع

---

(١) جعفر، نوري، فلسفة الحكم عند الإمام، ص٥٥.

(٢) ابن عيد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهامس،ج٣/ص٤٨.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٧/ص٥٩.

(٤) حمود، خضير كاظم، السياسة الإدارية في فكر الإمام علي ε بين الأصالة والمعاصرة ، (بيروت، ١٩٩٩م)،ص٧٠.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٧٤.

بالصبر،ويبتعد عن اتخاذ القرارات المتسرعة وغير المدروسة التي ربما تعود بالضرر على الدولة والرعية في آن واحد، ويوجه الإمام علي ε في ذلك بقوله:((وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها... فضع كل امر موضعه وأوقع كل عمل موقعه))[١].

وفي تنبيه إداري محضّ أشار الإمام علي ε على الرئيس الأعلى أو الوالي بالاشراف المباشر والاطلاع المستمر بكل شؤون دائرته ومعرفة حاجات الموظفين وخلق الانسجام الوظيفي، فلا يكون بعيدا أو متكلا على غيره، وبهذا الخصوص وجه الإمام علي ε التوجيه التالي:((ثم أمورك لابد من مباشرتها ، منها إجابة عمالك بما يعيا كتابك وفيها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك...))، ومن الأهداف التي يتوخاها الإمام ε في متابعة العامل شؤون عماله((حتى لا تخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء لا يترك واحدا منها بغير جزاء، فإن ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل...))[٢].

ويعد التنظيم دلالة من دلالات رقي وتطور الدولة في فكرها وسياستها، وقد سبق الإمام علي ε المشرعين السياسيين والإداريين جميعا بالإيعاز إلى الاهتمام بالوقت وتنظيم العمل، منذ البداية حتى تكون النتائج سليمة ومسددة في عملها وفي علاقتها بالرعية عن طريق الأعمال والخدمات المقدمة لها، فيوصي الإمام علي ε بهذا التوجيه:((وأمضِ لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه))[٣].

ومن التوجيهات القيمة التي أشار إليها الإمام علي ε ((هو التذكير بالجانب العبادي الذي هو صلب وجوهر العمل للدولة الإسلامية ، فحث الإمام ε الولاة والعمال بأن يجعلوا اوقاتا خاصة للعمل العبادي والفرائض المكلفين بها، عسى أن تكون فيها خير مراجعة مع النفس، فيوصي ε بقوله:((وأجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى افضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الاقسام، وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية))[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج٧/ص٨٧.

(٢) القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، ج٢/ص٣٢٥.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١٧/ص٦٩.

المبحث الثاني

الفكر القضائي عند الإمام علي ε

أولا: أثر الإمام علي ε القضائي في عهد الرسول β والخلفاء الراشدين(رض):

١ـ الأحكام القضائية للإمام علي ε في عهد الرسول β :

إن النظام القضائي((يعد... من الوظائف المهمة والخطرة في الإسلام لأهميته في تحقيق العدالة والمساواة، وقد أهتم الرسول β في حل الخصومات والنظر في الدعاوى، كما أسند بعض الصحابة مهمة القضاء بين المسلمين في مقدمتهم الإمام علي ε مما أكسبه خبرة واسعة في الجانب العملي، فضلا عن سعة علمه في أحكام الشرع الإسلامي...))[١].

ويذكر أن الرسول β أسند إليه قضاء اليمن فقال ε :((بعثني رسول الله β إلى اليمن، فقلت يا رسول الله أنك بعثتني، وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء، قال: انطلق فإن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، قال : فما شككت في قضاء بين اثنين))[٢].

وفي اليمن مارس الإمام علي ε وظيفته القضائية بأحسن وجهة، وقضى في قضايا كثيرة ونادرة، فتوافقت أحكامه مع أحكام الرسول β .

وقد أجاز الرسول β قضاء الإمام علي ε ، ويبدو ذلك واضحا فيما ذكر عن زيد بن أرقم(ت٦٨هـ)، قال:((كنت عند النبي β إذ أتاه كتاب من علي باليمن، فذكر أن ثلاثة نفر يختصمون في غلام، وذكر نحوا من القضية وقال: فضحك الرسول β حتى بانت نواجذه، ثم قال: لا أعلم فيها إلا ما قضي علي))[٣].

حتى قال النبي β :((الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود ε

---

(١) العيساوي، علاء كامل صالح، النظم المالية والإدارية في عهد الإمام علي ε (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة البصرة، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م، ص٢٧٣.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج١/ص١٠٥؛ آبادي ، ابو الطيب محمد بن شمس الدين ، عيون المعبود في شرح سنن بن داود، شرح : شمس الدين بن القيم الجوزي ، ط٢ ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ج٩/ص٣٦١.

(٣) وكيع،اخبار القضاة،ص٦٨.

وسبيله في القضاء))[١].

وهناك أحكام قضائية معقدة تحتاج إلى فكر واسع وقد كانت له القدرة على الإحاطة بأبعاد القضايا وكشف غموضها، ومنها ما اعترض عليها أصحاب القضية أنفسهم على حكم الإمام علي ε بعد ما عرضت عليه وقضى فيها قضاء صحيحا شكوا هذا القضاء إلى رسول الله β فأجازه وأقر قضاء الإمام علي ε عندما قال له:((رجل من القوم أن عليا قضى فينا، فقصوا عليه القصة فأجازه الرسول β))[٢].

وعليه((يبدو واضحا أنه بظهور الإسلام، تم إرساء قواعد القضاء على أسس متينة وواضحة، وأحكام ثابتة تلزم المحكوم عليه بدفع الحق الذي ثبت عنده، ويلزم المحكوم عليه بقبول الحكم، وبفضل القرآن لكريم، أمام النبي β أساسا جيدا للأمة موحدة قوامها العدل، فاطمأن الضعيف على حقه ويئس القوي أن يعتدي على غيره، وتعد هذه أول خطوة على نطور النظام القضائي الإسلامي...))[٣].

٢ـ الأحكام القضائية للإمام علي ε في عهد الخلفاء الراشدين:

ويستمر نشاط الإمام علي ε في عهد الخلفاء الراشدين على هذا السياق ففي عهد الخليفة أبي بكر كان أغلب أصحاب رسول الله β أحياءا يرزقون، لكنهم كانوا يفزعون إلى الإمام علي ε عند عجزهم عن الافتاء والحكم في قضية ما، ويذكر((أن رجلا رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحد فقال له: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن، فارتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه ولم يعلم وجه القضاء فيه فأشار إليه بعض من حضر أن يستخبر أمير المؤمنين ε عن الحكم في ذلك فأرسل إليه من سأله عنه، فقال أمير المؤمنين مر رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان له على مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله

---

(١) الشيخ المفيد،الارشاد، ص١٠٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حنبل، المسند، ج١/ص٩٧.

(٣) مشعان، محمود شاكر، القضاء في الكوفة النشأة والتطور، دراسة تاريخية(١٧-١٣٢هـ/٦٣٨-٧٤٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٧م، ص٣٣.

β فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخل سبيله ففعل ذلك أبو بكر... وسلم لعلي ε في القضاء به))[١].

وعندما أشكلت على الخليفة عمر قضايا عدة وتبين عجزه فيها فكان يفزع إلى أمير المؤمنين علي ε ، ومن تلك القضايا ان((امرأة قد نكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها من بيت المال، وقال: لا أجير مهرا رد نكاحه وقال لا يجتمعان أبدا... فبلغ ذلك عليا ε ، فقال: وإن كانوا جهلوا السنة فلها المهر بما استحل فرجها ويفرق بينهما فإذا انقضت عدتها فهو الخاطب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة وردوا قول عمر إلى علي))[٢].

وقضى الإمام علي ε في قضية المرأتين اللتين تنازعتا((على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما لها بغير بينة ولم ينزعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع فيه إلى أمير المؤمنين ε فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع والاختلاف فقال ε عند تماديها في النزاع آتوني بمنشار فقالت المرأتان ما تصنع، فقال: أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه فسكتت احديهما وقالت الأخرى الله الله يا ابا الحسن إن كان لابد فقد سمحت به لها، فقال الله أكبر هذا ابنك ودونها ولو كان ابنها لرقت عليه واشفقت، فاعترفت المرأة بأن الحق مع صاحبتها والولد لها دونها فسر عمر ودعا لأمير المؤمنين بما فرج عنه ε في القضاء))[٣].

وهم الخليفة عمر بن الخطاب أن يقيم الحد على((مجنونة فجربها رجل وقامت البينة عليها بذلك، فمر بها أمير المؤمنين... فقال ما بال مجنونة آل فلان تقتل فقيل له: إن رجلا فجر بها وهرب وقامت البينة عليها فأمر عمر بجلدها، فقال لهم: ردوها إليه وقولوا له: أمّا عملت أنها مجنونة آل فلان وأن النبي β قال: يرفع القلم عن المجنون حتى يفيق أنها مغلوبة على عقلها ونفسها، فردت إلى عمر وقيل له ما قال أمير المؤمنين ε ، فقال: فرج الله عنه لقد كدت أن أهلك في جلدها فرد عنها الحد))[٤].

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٠٧.

(٢) الجويني،فرائد السمطين، ص١١٠.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١١٠.

(٤) الخوارزمي، مناقب، ص٥٤٤؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥/ص٢١٩ ؛قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٧.

وهناك قضايا كثيرة في الحد والمواريث والقطع عجز عنها الخليفة عمر فتصدى الإمام علي ε لها ويضع الأحكام في نصابها الشرعي والانساني، مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب أن يقول أقواله المشهورة منها قوله:((عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب)) [١]، و((لولا علي لهلك عمر))[٢]، وقوله:((أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن))[٣].

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي((ولى زيد بن ثابت(ت ٤٥هـ) على القضاء... وضمه إلى علي بن أبي طالب حتى كثر الناس...))[٤]، وللعلم الجم الذي يحمله الإمام علي ε ،زيادة عدالة الأحكام التي يقضيها فقد كان((لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان الحاكم الفاضل في أحلك القضايا وأخطرها...لأنه وضع الضوابط الإسلامية نصب عينيه، ولم يساوم أحدا ولم يغمط حق أحد...))[٥]، ولم يقتصر نشاط الإمام علي ε في المشاركة في إصدار الأحكام القضائية، بل المحافظة على الأحكام الشرعية الإسلامية من الضياع ولاسيما عندما يشوبها الغموض واللبس، فيبادر إلى استنباط الأحكام الشرعية الصحيحة وتبيانها للمسلمين فعندما ألتبس الحكم على الخلفية عثمان بن عفان (رض)و((رجم...امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت له في ستة أشهر فدخل عليه علي فقال:إن الله يقول:(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)[٦]فأرسل في أثرها فإذا قد رجمت))[٧].

رجمت))[٧].

ولم يكن إسهام الإمام علي ε الفكري في القضاء والفتيا يتعدى مؤسسة القضاء بتنفيذ العقوبات الصادرة بحق الجناة ولاسيما عندما تعجز الأجهزة التنفيذية من القيام بنشاطها، لأي سبب من الأسباب، ومن أبرز هذه القضايا التي حدثت في عهد الخليفة عثمان وفي سنة ٢٦ هـ

---

(١) ينظر: الشيخ المفيد ،الارشاد، ص١٠٨.

(٢) الجويني، فرائد السمطين، ج١/ص٣٥١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ والأمم، ج٣/ص٣٢٠.

(٤) م.ن ؛ ينظر: العمر، سمير صالح حسن، عثمان بن عفان(رض)سيرته ودوره السياسي،ص٧٢.

(٥) الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد، ص٤٨.

(٦) سورة الاحقاف، آية: ١٥.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣/ص٢٥٨

عندما ((ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط [*]الكوفة... وصلى الغداة بالناس، وهو سكران، أربع ركعات ثم تهوع في المحراب،والتفت إلى من كان خلفه فقال: أزيدكم؟... وكتبوا إلى عثمان مع رسلهم فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه، فلما قدم الوليد قال عثمان : من يضربه؟ فأحجم الناس لقرابته، وكان أخا لعثمان لأمه، فقام علي فضربه...))[١].

وهكذا أصبح الخلفاء والمسلمون في المدينة بحاجة ماسة لقضاء الإمام علي ε فقد((كان أبو بكر وعمر يشاورونه ويرجعان إلى رأيه، وكان كل الصحابة مفتقرا إلى علمه...))[٢].

وتؤكد الحاجة إلى فكر الإمام علي ε القضائي قول الخليفة عمر((اجعل بيني وبينك في كبا أمرنا ـ إذا اختلفنا في كل أن نحكمه في كل شيء يعني عليا...))[٣].

إن هذا العطاء الفكري في الجانبين النظري والاجرائي جاء نتيجة((للخبرة الواسعة والمكانة البارزة التي وصل إليها الإمام علي ε في القضاء وتثمين الرسول β لذلك لم يكن للخلفاء الراشدين الاستغناء عن الإمام علي ε بهذا الجانب))[٤].فأصبح ε ((أقضى أهل المدينة...))[٥].

وهناك بعض الأحكام القضائية التي انفرد في صيغة الحكم بها، ومعالجتها، وابداء وجهة نظره فيها، إذ إن المتأمل في هذه القضايا ليستغرب حقا من مجريات الحكم واستنطاق الشهود

(*) ((الوليد بن أبي معيط بن عمر بن أبيه بم عبد شمس.. وكان الوليد يكنى بأبي وهب، وهو أخوعثمان بن عفان لأمه أروى بنت كريز، اسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله β مصدقا إلى بين المصطلق فأتاه، فقال: منعوني الصدقة ـ وكان كاذبا ـ فأمر رسول الله β بالسلاح إليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه:﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾، ووقع بينه وبين علي بن أبي طالب كلام، فقال: لا أنا أرد للكتيبة، وأضرب لهامة البطل المشيح منك، فأنزل الله عزّ وجلّ:﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ ﴾... ولاه عمر صداقات بني تغلب. وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص،... ولم يزل بالمدينة حتى بويع علي فخرج إلى الرقة... ومات بناحية الرقة. وقبره على البليخ)) ، ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣١٨، ٣١٩.

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١١٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣/ص٣٢٢.

(٣) وكيع، اخبار القضاء، ص٦٥.

(٤) العيساوي، علاء كامل صالح، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ε ، ص٤٤.

(٥) وكيع، اخبار القضاة، ٦٥ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢/ص٥١.

واثبات الأدلة فيها،إذ نجدها قد اتخذت مستندا اعتمد عليه الفقهاء فيما بعد بالمتشابه منها في الأحكام[١].

ومن هذا((أصبحت فتاوى الإمام علي ε سوابق قضائية لا يتعداها فقيه أو مجتهد...))[٢].

ثانيا:القضاء في عهد الإمام علي ε من(٣٥هـ/٦٥٥م ـ ٤٠هـ/٦٦٠م):

تبين في المباحث السابقة الأثر الريادي للإمام علي ε ولاسيما في عهد الخلفاء الراشدين الذين سبقوه، لذا((أسهم في منحه القدرة على الإصلاح والتطوير بعد توليه الخلافة، وقد شملت إجراءات الإمام علي ε كافة الجوانب ذات الصلة مؤسسة القضاء...))[٣]، وهي:

١ـ مؤهلات القاضي وصفاته في فكر الإمام علي ε:

لقد أعطى الإمام علي ε للقاضي مكانة مرموقة ليقوي موقعه بين عمال الدولة والمجتمع، ففي واحدة من وصايا الإمام علي ε المهمة التي تدل دلالة واضحة على سمو شخص القاضي ومكانته يوصي قاضيه شريح بقوله:((يا شريح قد جلست مجلسا ما جلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي))[٤].

وفي كتابه إلى مالك الأشتر يوصيه باختيار القاضي بقوله:((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك... وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك...))[٥].

وللإمام علي ε تأكيد واضح على ثقافة من يعمل بالقضاء وعلميته،لكيلا يتسبب في ظلم

---

(١) للمزيد ينظر: المفيد، الإرشاد، ص١٠٥؛ الطوسي، الاستبصار، ص٨٣، ٨٣٥؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٤، ٤٤٠ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥/ص٣٣٤؛ الباعوني، شمس الدين أبو البركات أحمد الدمشقي(ت٨٧١هـ)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالبε، تحقيق : محمد باقر المحمودي،(قم،١٤١٥هـ)، ج١/ص٢٠٦.

(٢) الحكيم، حسن عيسى، الإمام عليε روح الإسلام الخالد، ص٥١.

(٣) العيساوي، علاء كامل صالح، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام عليε ، ص٢٧٣.

(٤) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٠.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٤٧.

وجور فرد أو جماعات لظهور ذلك على امر الأمة برمتها ويوضح الإمام علي ε في ذلك بقوله:((ورجل قمش جهلا،موضع في جهال الأمة... قد اسماه أشباه الناس عالما، وليس به... حتى ارتوى من آجر، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات، هيأ لها حشوا رثا من رأيه، ثم قطع به فهو من لبس الشبهات... جاهل خباط جهالات... لم يعض على العلم بضرس واسع.. تصرخ من جور قضائه الدماء وتضج منه المواريث إلى الله...))[١].

ومن سمات القاضي المهمة في فكر الإمامε التي تقوي قوة القضاء وقراراته، هو أن يتمتع بالذاكرة القوية وأن يكون فطنا عند تعامله مع قضاياه مهما كثرت وتعقدت ويشير الإمام علي ε إلى هذه السمة بقوله:((لو اختصم اليّ رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا أحوالا كثيرة ثم أتيا في ذلك لقضيت بينهما قضاء واحدا...))[٢].

ومن السمات الضرورية في شخصية القاضي أن يكون ورعا ملتزما أشد الالتزام بالشريعة الإسلامية ، متنكرا لذاته، ولا يمل من عمله ويحدد الإمام علي ε معالم تلك الشخصية بوصيه لمالك الأشتر بتأكيده على تلك السمات بقوله:((أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذ عرفه...))[٣].

وتعدّ النزاهة وعفة النفس من السمات الأخلاقية الواجب توافرها في شخصية القاضي، ومؤشرا مهما على سلامة العملية القضائية ففي إحدى وصايا الإمام علي ε في اختيار القاضي أكد على تلك السمة بقوله:((ولا تشرف نفسه على طمع.. ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء...))[٤].

وعلى القاضي أن يتمتع بالمبدئية والحزم لكي يمضي في الأحكام وإقامة دولة الحق والعدل وأن لا تأخذه الرأفة والرحمة على من تثبت ادانتهم، ويذكر((أن علي بن أبي طالب ε ... أقام الحد على رجل فقال: قتلتني يا أمير المؤمنين، فقال له: الحق قتلك، قال: فارحمني، قال:الذي

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية،ج١/ص٨٤، ٨٥.

(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص٢٨٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٤٦.

(٤) م.ن .

أوجب عليك الحد أرحم بك مني...))[١].

وعلى القاضي أن يكون لديه المعرفة التامة باللغة وبفقرات القانون المستمد من القرآن والسنة النبوية الشريفة، وأن يكون صيغة النطق بقرار الحكم واضحة وصريحة لا تحتمل التأويل، وأكد الإمام علي ε على هذه الفقرة المهمة بقوله:((إذا كان الحد لعل أو عسى فالحد معطل))[٢].

٢ـ وصايا الإمام علي ε في القضاء:

أما من حيث سير العملية القضائية وسلامتها فقد منح رعايا دولة الخلافة الإسلامية مسلمين وغيرهم حق التقاضي الذي((يعد... من أهم الحقوق التي دعا الإمام علي ε ضرورة أن ينعم الإنسان بها كون القضاء العادل هو انعكاس لهم لحق الإنسان في المساواة والعدل ومن جهة أداة لرفع الظلم والحيف عند المظلومين واسترداد حقوق المستضعفين من جهة ثانية،وآلية غاية في الأهمية لصيانة حقوق الإنسان الأخرى إذ إن القضاء العادل هو الضمانة الاجرائية المتينة في مواجهة أي انتهاك لتلك الحقوق من جهة ثالثة))[٣].

ومن العوامل الايجابية المؤثرة في سير العملية القضائية التي أرسى قواعدها فكر الإمام علي ε عن طريق توجيهاته ووصاياه إلى قضاته ومنها المساواة بين الخصوم.ولهذه القاعدة القانونية تأثير قانوني ونفسي كبير على المتخاصمين، وكان الإمام علي ε اول من عمل بهذه القاعدة القانونية وتطبيقها عمليا على نفسه، فحينما اختصم رجل مع الإمام علي ε وهو جالس عند الخليفة عمر بن الخطاب فقال له:((فقم يا أبا الحسن فأجلس مع خصمك... فتبين عمر التغيير في وجهه، فقال له: يا ابا الحسن ما أراك متغيرا، أكرهت ما كان؟ قال نعم، قال: ولم ذاك؟ قال" لأنك كنيتني بحضرة خصمي...))[٤]،وفي عهد الإمام علي ε أبدى اهتماما بالغا بهذه القاعدة حيث أوصى قضاته بالعمل بها والحرص على تطبيقها، ففي وصية الى قاضيه شريح بما نصه:((ثم واسي بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريب في حقك ولا ييأس عدوك من

---

(١) ابن الأخوة،محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت٧٢٩هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق : محمد محمود شعبان و صديق أحمد عيسى المطبعي ، (مصر،١٩٧٦م)، ص١٤.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤/ص٦٥٣

(٣) السعد ، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε ،ص٢٨٩

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١/ص٨٤ ؛ الخوارزمي، المناقب، ص٥١، ٥٢.

عدلك...))[١]، وصور المساواة كثيرة ومنها ((المساواة بين الخصمين في السلام عليهما ويلزم بالمساواة في أداء التحية... المساواة بين الخصمين في الكلام فليس للقاضي أن يسترسل مع أحدهما ويصد عن الآخر ...بالدخول عليه فليس له أن يأذن لأحدهما دون الآخر في التكريم فإذا قابل أحدهما بالقيام تكريما له لزمه أن يقوم للآخر... في المجلس فلا يجوز للقاضي أن يرفع أحدهما على صاحبه،بل يجب أن يتساويا في الجلوس بين يديه...))[٢].

وتعدّ الحالة النفسية للقاضي أمراً غاية في الأهمية ولها تأثيراتها في قيادة الجلسة القضائية فكلما كان القاضي يتمتع بأجواء نفسية هادئة ومستقرة كان ذلك أفضل لتحقيق الهدف المنشود في إحقاق الحق وإبطال الباطل،ومن وصايا الإمام علي ε في هذا الجانب ماوجه به قاضيه شريح بقوله:((يا شريح لا تسار أحدا في مجلسك وإذا غضبت فقم ولا تقضي وأنت غضبان))[٣].وأوصاه أيضا:((إياك أن تجلس في مجلس القضاء حتى تطعم شيئا...))[٤].

ولابد للعمليةالقضائيةأن تأخذ مسارها الصحيح للوصول إلى الحقيقة وعدم الأخذ بالظن والتهمة، ولهذه القاعدةأهمية كبرى تدل دلالةواضحةعلى متانةالقضاء ورصانته الشرعيةوالقانونيةعند الابتعاد وعدم العمل ومؤاخذة المتقاضين أو المدعى عليهم بالظن والتهم إلا بدليل شرعي وقانوني ووقائع ثبوتية تلبس المتهم الدعوى. هذا ما أقره الإمام علي ε وعمل به يذكر((أن مروان بن الحكم لما بويع عليا هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة... فقال رجل من أهل مكة:إياك وعليا فقد طلبك، ففر من بين يديه، فقال مروان:لم؟ فوالله لا تجد لي سبيلا،أمّا هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن ولا بنصب إلا على اليقين...))[٥].

ولابد للقاضي أن يكون صبورا، وهذه السمة أو الصفة يجب أن تكون ملازمة للقاضي وأن يعطي لسيرها مساحة واسعة من الزمن وربما تظهر أدلة جديدة تقوي سير القضية باتجاه تحقيق العدالة فضلا عن أن التأني يعطي القاضي فرصة دراسة القضية وتمحيصها من وجوهها كافة، ونبه الإمام علي ε القضاة على هذه الفقرة بقوله لقاضيه شريح:((لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٢

(٢) الشكري، علي يوسف، حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق،(القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص٩٩، ١٠٠.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٥.

(٤) م . ن .

(٥) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١/ص٧٢.

فأنت عبده فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي))[١]،وهذا تجسيد واضح لتطبيق العدالة بكل ابعادها،ومن ذلك((مبدأ علانية الجلسات واتخاذ القاضي مكانا عاما بارزا محددا يلجأ اليه المتخاصمين...)) [٢]،وان اول من عمل بهذا المبدأ الإمام علي ε فقد اتخذ مجلسا للقضاء من مكان مرتفع في مسجد الكوفة عرف بدكة القضاء وخلف هذه الدكة هناك عمود اواسطوانة كتب عليها قوله تعالى:(ان الله يامر بالعدل والاحسان)[٣]،ففي الجلسة العلنية تطرح الأمور بشكل واضح ومكشوف

لايمكن فيه اخفاءجانب من جوانب القضية،فضلا عن هدف الإمام علي ε إلى جوانب اخرى منها تكوين الرأي العام القانوني بين أوساط المسلمين وعقوبة اجتماعية رادعة لمن تثبت ادانته،فأوصى بقوله:((يا شريح اجلس في المسجد فإنه اعدل بين الناس وإنه وهن بالقاضي أن يجلس في بيته)) [٤].

٣ـ وصايا الإمام علي ε في إجراءات التحقيق:

أمّا من الجانب الآخر فقد أكد الإمام علي ε على التحقيق الذي هو أحد العناصر الرئيسة والمهمة في سير العملية القضائية ولاسيما في القضايا التي يكتنفها الغموض، لذا تحتاج إلى فكر قضائي ثاقب من اجل الوصول إلى الحقيقة فأولى الإمام علي ε هذا الجانب عناية كبيرة وضع لها بعض الآليات في وصاياه وعمله الذي يتم عن فكره القضائي الرصين ومن هذه الآليات ، آلية التفريق بين المتهمين. وهي طريقة مهمة وذكية في كشف ما أبهم وألتبس من القضية عندما يكون فيها أكثر من طرف، وقد مارس الإمام علي ε هذه الآلية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستطاع كشف الجريمة وتحقيق العدالة وانصاف المظلوم وقال الإمام علي ε :((انا أول من فرق بين الشهود إلا دانيال...))[٥].

أمّا في خلافته فقد تولى التحقيق في قضية بعد أن عجزت إمكانية قاضيه شريح من كشف

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥/ص٣٢؛ وكيع، أخبار القضاة، ص٦٦.

(٢) الشكري، علي يوسف، حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق، ص١٠٠ .

(٣) سورة النحل :الآية ٩١؛ الحاكم النيسابوري،المستدرك على الصحيحين ،ج٣ /ص٢١٠.

(٤)النعمان ،ابي حنيفة بن محمد بن منصور التميمي(ت ٣٦٣ هـ)،دعائم الاسلام ، تحقيق: آصف بن علي بن اصغر بن فيضي ، (مصر، ١٩٦٣ م) ، ج٢/ ص ٥٣٢ .

(٥) لمزيدمن التفاصيل ينظر:الشيخ الصدوق،من لايحضره الفقيه،ج٣/ص٤٣٤؛العسكري،ابوهلال الحسين بن عبدالله بن سهل(من اعلام ق٢ هـ)،الاوائل، (بيروت ، ١٩٧٨ م) ،ص١٤٣.

غموضها، فأحيلت القضية إلى الإمام علي ε فأتخذ إجراء التفريق بين المتهمين، ثم استجوبهم فتباينت أقوالهم مما سهل على الإمام علي ε كشف غموض الجريمة واعترافهم بقتل الرجل وأخذ أمواله[١].

يؤكد الفكر القضائي للإمام علي ε على أهمية الاعتراف في عملية التحقيق ووقائع الثبوت؛ حتى لا يُكره المتهم بانتزاع اعترافه بأساليب الضغط والاكراه، ويدعو الإمام علي ε إلى بناء اقرار الحكم على اعتراف المتهم بذنبه وجريرته، ومن تلك الأمثلة إتيان أحد مرتكبي الجرائم إلى الإمام علي ε ((فقالوا إنه سرق جملا، فقال: ما أراك سرقت؟ قال: بلى، قال: فلعله شبه لك؟ قال:بلى قد سرقت، قال: فاذهب به يا قنبر فشدّ اصبعه وأوقد النار وادعُ الجزار ليقطع، ثم انتظر أجيء، فلما جاء قال له: أسرقت؟ قال لا ، فتركه، قالوا: يا امير المؤمنين، لم تركته وقد أقرّ لك؟ قال: آخذه بقوله واتركه بقوله...))[٢].

ويعدّ وجود شهود الاثبات من أركان الدعوى القضائية المهمة التي تساعد القاضي على التوصل إلى تحقيق العدل والمساواة في القضية المترافع فيها، ودعا الإمام علي ε أن يطلب من المترافعين شهودا عدولا فقال:((واجعل لمن ادعى شهودا غيبا امدا بينهم فإن أحضرهم أخذت له بحقه وإن لم يحضرهم أوجبت عليه القضية...))[٣].

وهناك جوانب مهمة أخرى حددها الإمام علي ε في موضوع الشهود منها قوله:((لا اقبل شهادة على رجل وإن كان حي...))[٤]. ومن التفاتات الإمام علي ε وذلك بعض التفصيلات للشهود فيقول:((إن شهادة الصبيان إذا شهدوهم صغار جاءت إذا كبروا ما لم ينسوها، وكذلك شهادة اليهود والنصارى إذا أسلموا جازت شهادتهم والعبد إذا شهد على شهادتهم ثم أعتق جازت شهادته إذا لم يردها الحاكم قبل أن يعتق وقال ε ، إذا اعتق العبد لموضوع الشهادة لم يجز شهادته))[٥].

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٥٥، ١١٦؛ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٦.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥/ص٢١٧.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٢.

(٤) الطوسي، الاستبصار، ص٤٧٢.

(٥) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٤٣.

أمّا الشريحة التي تقام عليها الحدود، فقد حددت الشريعة الإسلامية شريحة معينة من المجتمع لا تقام عليهم الحدود، أو لا تقع عليهم أحكام العلل الشرعية وإنسانية فسلجية أو مرضية وغيرها ويذكر((أن من وجوب الأمور المعتبرة للحد العلم بالتحريم، وإنما اعتبر العقل والبلوغ لأن الصبي والمجنون ليسا من أهل التكليف...))[١].

وعلى هذا استثنى الإمام علي ε بعضهم من اقامة الحدود عليهم بقوله:((لا حدّ على مجنون حتى يستيقظ ولا على الصبي حتى يدرك، ولا على النائم حتى يستيقظ))[٢]،ثم أن الحدود في الشريعة الإسلامية إنما شرطت للتقويم وليس للانتقام، وجاء بهذا المعنى ان((يضرب الرجل في الحد والتعزير ولا يحد ولا يربط،لأن لكل عضو قسطا من الضرب ويتوقى الوجه والرأس وأعطِ كل عضو حقه واتق وجهه ومذاكيره...))[٣].

٤- أستقلال القضاء:

على الرغم مما عرف عن استقلال القضاء في عهد الخلفاءالراشدين بصورة عامة، فقد كان القضاء من حيث الوظيفة لم يكن مستقلا ((وانما كان عمل القاضي يقع ضمن مسؤوليات الخلفاء في مركز الخلافة والولاة في المناطق التابعة للدولة...)) [٤].

امامن حيث سلطة القضاء فقد كان مستقلا وان ((كان الخليفة هو الذي يولي القضاة فان هولاء كانوا نوابا عن الخليفة بل كانوا نوابا على الجمهور يوزعون العدل بينهم...ولم يكن تولية الخليفة للقضاة الاتمكينا لمن عنده اهلية للقضاء))[٥].

وفي عهد الامام علي ε فقد تمتع القضاة بالاستقلالية التامة في عملهم واصدار احكامهم ففي بداية عهده ε ومع استمرار الفتنة اوعز الى قضاة الدولة الاسلامية((فاقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة...وحين ذاك اعرفكم ماعندي في هذه القضايا والاحكام التي استمررتم عليها...))[٦]،وخير دليل على استقلالية القضاء في هذا العهد هو حضور الامام ε وخصمه

---

(١) ابن الأخوة،، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٢٧.

(٢) الديلمي، أبو الحسن بن محمد(ت٨٤١هـ)، إرشاد القلوب،(بيروت، ١٩٧٨م)، ج٢٧/ص٢١٣.

(٣) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٢٧.

(٤) العيساوي ،علاء كامل صالح ، النظم المالية والادارية في عهد الامام علي ε ، ص٤١.

(٥) بدوي ، ثروت ، النظم الاسلامية ، (القاهرة، ١٩٦٤م) ،ج١/ ص١١٥.

(٦) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٧/ ص٥٦.

النصراني عند قاضيه شريح في الكوفة وذلك عندما وجد الامام ع درعا مفقودا منه في حوزة النصراني وعند عرض القضية امام القاضي شريح قضى لصالح النصراني دون تردد اوتاثير من سلطة الخليفة الذي منحهم تلك الحرية في قضائهم. [1]

(١) ينظر: ابو يعلى ،الاحكام السلطانية ، ص٦٦؛العسكري ،الاوائل، ص١٤٣.

المبحث الثالث

الأنظمة المساعدة على تحقيق العدالة

أولا: المظـــالم:

هناك أنظمة عدة تساعد القضاء على إحقاق الحق وحماية المجتمع وتنفيذ الأحكام، ومنها النظر في المظالم((وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه بمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن اقضائه ويكون نظرة في البينات والتقرير واعتاد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستخلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي))[١]، ويعدّ أن((أول من نظر في المظالم أمير المؤمنين الإمام علي ε ...))[٢]، ففي خلافته ε اهتم بهذا النظام الذي ينقذ المظلومين، وكان الإمام علي ε قد باشر النظر في المظالم حيث((كان أول من سلك هذه الطريقة واشتغل بها ...))[٣].

ولأجل أن تصل الشكوى أو المظلمة بصورة سرية وسريعة أو من له حاجة ويخاف أو يستحي أن يطلبها فقد سارع الإمام علي ε إلى رفع الحرج والتكلف، وقال لأصحابه:((من كانت له اليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم من المسألة))[٤].

ثم طور الإمام علي ε عمل المظالم للمسلمين كافة ورعاياها فجعل مكانا خاصا ثابتا ليلقي فيه المسلمون وغيرهم ظلاماتهم حتى تصل للإمام ε بسرعة من دون أي عراقيل أو تأخير في طلب من له حاجة، وقد((أتخذ علي بيتا يلقى الناس فيه القصص...))[٥]. وكما يذكر ابن أبي الحديد انه((كان لأمير المؤمنين بيت سماه بيت تلقي الناس فيه رقاعهم...))[٦]، على صعيد عاصمة الخلافة الإسلامية الكوفة، أما على صعيد الأقاليم الإسلامية فقد اصدر الإمام علي ε أوامره إلى الولاة بسماع الظلامات بأنفسهم وأن يلبوا حاجات الناس وقال ε :((فلا تطولن احتجابك عن رعيتك... مع أن أكثر حاجات الناس اليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة، أو

---

(١) ابن خلدون،المقدمة، ص٢٢٢.

(٢) الكتاني، الحكومة النبوية ، ج١/ص٢٦٨.

(٣) الماوردي،الأحكام السلطانية،ص٧٨؛ الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد،ص٤١.

(٤) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج١/ص٢٣٨.

(٥) العسكري،، الأوائل، ص١٢٤.

(٦) شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٦٧.

طلب إنصاف في معاملة))[١].

وأمعن الإمام علي ε أكثر في اهتمامهم بمظالم المسلمين ورعايا الدولة الإسلامية، وذلك من خلال أوامره بإقامة مجلس للمظالم، يشرف عليه الوالي ويحضر فيه المسؤولين جميعا في نص الإمام ε ما يلي:((واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما، فتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتع...))[٢].

وهذا يعني أن الإمام عليا ε كان يوعز في وصاياه هذه إلى ((الحاكم أن يحدد وقتا معينا لعقد لقاءات مفتوحة مع الناس يتحدثون فيها على الطبيعة بكل ما يهمهم ويطلبون ما يحتاجون إليه من الدولة...))[٣].

ثانيا: **الحسبة**:

الحسبة نظام مهم من النظم الإسلامية لمراقبة كيان الدولة و المجتمع في وقت واحد لإرساء القواعد الأخلاقية في أغلب التعاملات الحياتية والدينية و الاجتماعية من أجل اشاعة معالم الفضيلة وحماية المجتمع من الانحراف، مستمدين ذلك من مصدري التشريع الإسلامي القرآن والسنة النبوية الشريفة، إذ نبه القرآن الكريم الأمة الإسلامية بقوله (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤].

وفي سورة أخرى قال عزّ وجلّ : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)[٥]، ((واستجابة لحكم الله وأمره

---

(١) المصدر نفسه، ج١٧/ص٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٧/ص٦٨.

(٣) الموسوي، محسن، دولة الإمام علي ε، ص٢١٦.

(٤) سورة آل عمران، آية : ١٠٤؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران ،ج٤/ص١١٤.

(٥) سورة المطففين، آية : ١-٥ ؛ الزمخشري : الكشاف ، ج٥/ص٢٢٧.

وأمره قد تولى رسول الله β الحسبة بنفسه))[١].

فالحسبة هي ((أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله..))[٢].

((ثم جاءت ولاية من ولايات الإسلام ونظاما من أنظمة الحكم التي جرى عليها الولاة والحكام موجودة بجوار ولاية القضاء، وولاية المظالم وغيرها، من الولايات))[٣]، فهي((واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم))[٤].

واستعمل الإمام علي ε بما عرف عنه الشدة في ذات الله ورضاه، وحرصه على بناء المجتمع الإسلامي فاضل خالٍ من الانحراف، وتبنى الإمام علي ε ذلك نظرية وتطبيقا فقد قال ε :((أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن امر بالمعروف شد ظهر المؤمنين ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن أبغض الفاسق وغضب لله غضب الله له))[٥].

وقد مارس الإمام علي ε وظيفة المتحسب بنفسه بوجوهها كافة إذ((كان ...يمشي في الأسواق وحده... يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[٦] ...))[٧].

ومن وظائف الحسبة مراقبة أصحاب المهن، ويذكر أنه ε :((وقف على خياط، فقال: يا خياط ثكلتك أمك، صلب الخيوط، ودقق الدروز، وقارب الغرز... واحذر السقطات، فإن صاحب الثوب أحق بها...))[٨].

ومن واجبات المحتسب موعظة التجار ونهيهم عن اليمين الفاجر،وقد سمع الإمام علي ε

---

(١) ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ، ص١١.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٤٠.

(٣) ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص١١.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٤١.

(٥) ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٦٤.

(٦) سورة القصص، آية : ٨٣.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ص٧.

(٨) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١/ص٨٢.

وهو يعظ التجار بقوله:((يا معشر التجار إياكم واليمين الفاجر تنفق وتمحق البركة...))[١].

ومن مهام المحتسب أيضا الدعوة لحفظ حقوق الناس في أسواق المسلمين في التعاملات المالية بين المسلمين تجارا ومستهلكين وقد شوهد ع :((في سوق الكوفة ومعه الدرة وهو يقول: يا معشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا، ولا تردوا قليل الحق فترموا كثيره، ما ضع مال من حق إلا ذهبت في باطل اضعافه))[٢].

ومن مواعظه ع وهو يمارس وظيفة المحتسب الدعوة إلى مزج روح الرحمة مع المعاملة وذلك من خلال مساعد المساكين والنهي عن بعض البيوعات ويذكر أنه ع :((مرّ مجتازا بأصحاب التمر فقال: يا أصحاب التمر اطعموا المساكين فيربوا كسبكم، ثم مرّ مجتازا ومعه المسلمون حتى أتى أصحاب السمك، فقال: لا تباع في سوقنا طافي))[٣].

ونهى الإمام علي ع ان((يباع البقر المخلوع الورك والأعور والأعمى والمقلوع السن والمريّش العنق والمجنون والمشقوق الحافر وما به من عاهة أو مرض ظاهر وكذا الجواميس، وأن تذبح بهيمة في بطنها ولد...))[٤].

أمّا موضوع مراقبة الأسعار فقد كان التي لها تأثير كبير في معيشة الناس، فقد كان ع يراقب أسعار البضائع والسلع لتكون الأسواق الإسلامية خالية من الاستغلال والجشع، وكان يناشد أهل السوق بأن((يكون البيع بيعا سمحا...))[٥].

وكان يراقب ويسأل بنفسه عن الأسعار وشُوهد الإمام ع ((بشط كلأ يسأل عن الأسعار))[٦].

ومن أمراض الاقتصاد الخطيرة ظاهرة الاحتكار للسلع النادرة من بعض التجار الجشعين، وأعطى الإمام علي ع هذه الناحية أهمية كبيرة، فلم يراقب فقط، وإنما كان يعاقب المحتكرين اشد

---

(١) ابن هلال، الغارات، ص٦٥.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ص١٤٤.

(٣) الخوارزمي، المناقب، ص٧٠.

(٤) ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص١٦٣.

(٥) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٦٤.

(٦) الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله(ت٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة : جميل إبراهيم حبيب،(د.ب، د.ت)، ص١١٩.

عقاب فقد سجلت من المصادر التاريخية((أنه أحرق طعاما محتكرا بالنار))[١].

وللطريق عند الإسلام ولاسيما في الأسواق لتسهيل حركة الناس من المتسوقين والبضائع فضلا عن أنها تنم عن وعي وتنظيم المجتمع فقد أعطى الإمام ε أهمية كبيرة لهذا الجانب فيذكر أنه ε ((رأى أهل السوق قد جاوز أمكنتهم فقال... ليس ذلك إليهم سوق سوق المسلمين كمصلى المصلين...))[٢].

ومن مهام المحتسب طرق المسلمين العامة وتوفير راحتهم وتسهيل حركتهم، ويذكر أنه((كان يأمر بالمتاعب مسابل المياه، والكنف تقطع طريق المسلمين))[٣].

ومن وظائف المحتسب الأخرى التي لا تقل خطورة وتأثيرا عن السوق على حياة المسلمين هي اختيار ومراقبة الوعاظ والعلماء وذوي المهن الطبية وبعض الحرفيين والخدميين في المجتمع، وذكر الإمام علي ε اهتمام في هذا الاتجاه فقال ε :((يجب على الإمام أن يحبس الفساق من العلماء والجهال من الأطباء والمغاليس من الاكرباء))[٤].إن اختيار الوعاظ كانت تخضع لشروط مناسبة وأهمية هذه الوظيفة الدينية والإعلامية المهمة، وكان الوعاظ يخضعون للاختبار للحصول على جواز لاعتلاء المنبر أو الوعظ بين المسامين حيث((لا يمكن أحد أن يتصدى لهذا الفن إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة وان يكون عالما بالعلوم الشرعية وعلم الأدب حافظا للكتاب العزيز ولأحاديث النبي β))[٥].

ومن هذا المبدأ ولمعرفة الإمام علي ε بخطورة هذا المنصب فقد كان يختبر بنفسه من يريد التكلم أو الجلوس على منابر المسلمين لكي يمارس التوعية الدينية والأخلاقية على أحسن وجه، وبهذا جنب المسلمين جهال العلماء والمتطفلين على العلم والدين من ذوي الأهداف الرخيصة كالارتزاق مثلا، وقد((اختبر الإمام علي بن أبي طالب ε الحسن البصري(ت١١٠هـ) رحمه الله، وهو يتكلم على الناس فقال له:((ما عماد الدين، فقال: الورع، قال: فما آفته، قال: الطمع، قال: تكلم

---

(١) ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٨٨.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥/ص٣٢٥.

(٣) ابن الأخوة، معالم القربة،ج ١٥.

(٤) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢/ص٢٣٩.

(٥) ابن الأخوة، معالم القربة وأحكام الحسبة،ص٢٧١.

الآن إن شئت))[١].

ثالثا:الشرطة:

نظام استحدث في عهد الإمام علي ε لدعم الحكومة ومساعدتها على بسط الأمن والنظام وتنفيذ الأحكام[٢]، والشرطة طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها...[٣].

وسموا أيضا بشرطة الخميس، وأبدى الإمام علي ε عناية كبيرة بهذا النظام وبلغ عددهم((ستة آلاف رجل... أصحاب أمير المؤمنين قال لهم: تشرطوا فأنا اشارطكم على الجنة، ولست أشاطركم على ذهب ولا فضة، إن نبينا β فيما مضى قال لأصحابه: لست أشارطكم إلا على الجنة...))[٤].

وكان الإمام علي ε كثيرا ما يحرض أصحابه على الانتساب إلى شرطة الخميس فيذكر أنه قال لأصحابه:((أكتتبوا في هذه الشرطة فوالله لا غنى بعدهم إلا شرطة النار إلا من عمل بمثل أعمالهم))[٥].

ويؤكد هذه الحقيقة الأصبغ بن نباتة قال:((إنا ضمنا له الذبح وضمن لنا الفتح يعني أمير المؤمنين))[٦].

وفي إشارة إلى وجود هذا النظام في عهد الإمام علي ε وصيته إلى مالك الأشتر بقوله:((وتقعد عنهم جندك من أحراسك وشرطك))[٧].

وكان لشرطة الخميس أثر كبير في حفظ الحياة العامة للمسلمين ويذكر أنهم ((أول كتيبة

---

(١) م.ن.

(٢) ينظر: الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ص٤٣٦؛ الصالح ، النظم الإسلامية ،ص٣٣٣.

(٣) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة شرطة ،ص٦٢٠.

(٤) الشيخ المفيد، أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن العنمان العكبري(ت٤١٣هـ)،الاختصاص، تحقيق : محمد مهدي السيد حسن الخرسان،(النجف الأشرف ١٩٧١م)،ص٢.

(٥) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)،رجال الكشي،تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل المبيدي، المبيدي، وابو الفضل الموسويان ، (طهران،١٣٨٢هـ) ، ص٦٥، ٦٦.

(٦) المصدر نفسه ، ص١٨٢.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧/ص٦٨.

تشهد الحرب وتتهيأ للموت...))[1]، وكانوا قد انضموا إلى جيش الإمام علي ε في معركة الجمل بالبصرة سنة(٣٦هـ)[2].

وكان المسؤول عن هذا النظام يسمى صاحب الشرطة، وتولى هذا المنصب عدد من أصحاب الإمام علي ε منهم((معقل بن قيس الرياحي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وعلى شرطة الخميس الأصبغ بن نباتة))[3].

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مادة شرطة، ص٦٢١.

(٢) الطوسي، رجال الكشي،ص٦٦.

(٣) ابن خياط، تاريخ ابن خياط،ص١٥١.

الخـــاتمة

إن المعلومات الواردة في هذه الرسالة قد تمخضت عن استنتاجات اساس تمثلت في الأسس الفكرية التي ارسى قواعدها الامام علي ε في مختلف جوانب الدولة الإسلامية ونظمها، ففي الجانب الفكري وحيث أن الدولة الاسلامية تعبر تعبيرا جوهريا لروح رسالة الدين الإسلامي الذي يقوم على الحقيقة واليقين، ويناقض الجهل والخرافة التي تقاطعت مع الدين الاسلامي، ونجد أن الامام ε سعى إلى استنهاض المسلمين عن طريق نشر العلم والمعرفة لارساء قواعد واسس رصينة لبناء حضارة اسلامية مزدهرة عن طريق حمل الرسالة الاسلامية بفكر متنور.

ومن جانب آخر كانت لجهوده المثمرة اثر كبير في تأسيس نظام الكتابة في الدولة الاسلامية، ثم تأسيس علم النحو للحفاظ على اللغة العربية من الضياع، ومن النتائج المستخلصة مبادرة الامام علي ε إلى المحافظة على القرآن الكريم وجمعه وتدوينه، وبذلك نستطيع أن نقول أن الامام عليا ε اول من بدأ بحركة التدوين في الأمة الاسلامية، وهي بحد ذاتها دعوة صريحة للاهتمام بالتدوين لنتائجها الايجابية على بناء مفاهيم الدين والدولة في وقت واحد.

ومن النتائج المنبثقة من الدراسة أن سياسة الإمام علي ε كانت تنبع من مفهوم منصب الامامة الذي هو امتداد للنبوة بعد انقطاع الوحي، وهو تكليف رباني وليس عن طريق الانتخاب والاختيار لذا كانت سياسته تنصب على قيام حكومة العدل الالهي.

أمّا النتائج المستخلصة من الاساس العسكري فيتبين أن الامام عليا ε كان ملازما للجندية الجهادية منذ صباه في المعارك التي خاضها رسول الله β مع اعداء الاسلام مما اكسبه خبرة واسعة في هذا الميدان الذي حدا به أن يترك ارثا عسكريا تمثل بين صرامة الجندية والرحمة الانسانية فضلا عن وصاياه الفكرية العسكرية من القيادة إلى التخطيط والتعبئة للمعركة وفن القتال،كل ذلك يهدف لتأسيس مجتمعاً ودولة اسلامية محصنة .

أمّا في المجال المالي فقد كانت سياسة الامام ε المالية تمثل سياسة الرجل الاقتصادي البارع بوضع خطط استثمار لموارد الدولة وتنميتها وادامة عطائها والنهي عن الإسراف والتبذير في الانفاق، وهي سياسية مالية رصينة احيت الحياة الاقتصادية الإسلامية وتنميتها ثم دعا إلى عدم اطفاء جذوة الروح الجهادية عند ارتباط المسلمين بالملكية ونشوء حياة الدعة وذلك بإشارته على الخليفة عمر بن الخطاب بعدم توزيع أراضي السواد على المجاهدين وجعل ملكيتها للدولة لتكون موردا دائما يضمن حقوق الأجيال المتعاقبة.

أمّا في الأساس الإداري فقد أبدع فكر الإمام بتأسيس المفاهيم الإدارية المتينة القائمة على التنظيم الدقيق، وتقسيم العمل والتخصص واحترام الوقت؛ إلى غير ذلك مما يعني: انه ثبت دعائم نظام إداري متطور سابق لمرحلته التاريخية.

أما النظام القضائي الذي أسسه الإمام علي ε فيعد أنموذجا في روحه وجوهره يمثل حقيقة من الصعب أن تتكرر مرة أخرى إلا في دولة الأنبياء أو الأئمة ε وأصبحت توجيهاته وأحكامه أسسا قضائية للدولة الإسلامية يستند عليها فيما بعد.

ثم أرسى الإمام علي ε مفاهيم أسس نظام علم الاجتماع في المجتمع الإسلامي إذ ألغى التفاوت الطبقي وتقويم الناس على أساس كفايتهم وقدراتهم العلمية والأخلاقية وغيرها،ونقض المفاهيم الجاهلية المحدودة والضيقة في التقويم الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

المصـــادر:

- القرآن الكريم .

١. آبادي، أبو الطيب محمد بن شمس الدين، عيون المعبود في شرح سنن أبي داود، شرح: شمس الدين بن القيم الجوزية، ط٢،(بيروت،٢٠٠٢م).

٢. الآبي، أبو سعيد بن منصور بن الحسين(ت٤٢١هـ-١٠٣٠م)، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ،(بيروت،٢٠٠٤م).

*ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم بن محمد بن عبد الواحد(ت٦٣٠هـ-٩٧٢م)

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحه : عادل أحمد الرفاعي،(بيروت،١٩٩٦م).

٤. الكامل في التاريخ، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٣،(لبنان،٢٠٠٣م).

٥. اخوان الصفا وخلان الوفاء ، رسائل ، (بيروت ، ١٩٩٢م) .

٦. ابن الأخوة، محمد بن حمد بن أحمد القرشي(ت٧٢٩هـ -١٣٢٨م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق : محمد محمود شعبان،وصديق أحمد عيسى المطبعي،(مصر،١٩٧٦م).

٧. ابن آدم، يحيى القرشي(ت٢٠٣هـ -٨١٨م)، الخراج، صححه وشرحه : أبو الأشبال أحمد بن محمد شاكر،(بيروت،١٩٧٩م).

٨. ابن الازرق ، ابو عبيدة (ت٨٩٦هـ - ١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : علي سامي النشار ، (بغداد ، ١٩٧٧م) ، ٤٧/١.

٩. ابن اسحق ، محمد بن اسحق بن يسار (ت١٥١هـ-٧٦٨م) ، سيرة ابن اسحق ، تحقيق: سهيل زكار ، (د.ب، ١٩٩٨م) .

١٠. الاسكافي، أبو جعفر، محمد بن عبد الله ألمعتزلي(ت٢٢٠هـ - ٨٣٥م)، المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبε، تحقيق: محمد باقر المحمودي ،(د.ب، ١٤٢٤هـ).

١١. ابن أعثم، أبو محمد أحمد(ت٣١٤هـ -٩٢٦م)، الفتوح(بيروت،د.ت).

١٢. الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن(ت٥٧٧هـ -١١٨١م)، نزهة الألباء في طبقات

الأدباء، تحقيق : إبراهيم السامرائي،ط٢،(بغداد، ١٩٧٠م).

١٣. الباعوني،شمس الدين أبو البركات أحمد الدمشقي(ت٨٧١هـ -١٤٦٦م)،جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالبع،تحقيق : محمد باقر المحمودي،(قم،١٤١٥هـ).

١٤. البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن المغيرة بن برد (ت٢٥٦هـ -٨٦٩م)، صحيح البخاري، شرح وتعليق : قاسم الشماعي الرفاعي،(بيروت،١٩٨٧م).

*البلاذري،ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ -٨٩٢م)

١٥. انساب الأشراف، تحقيق : سهيل زكار،(بيروت،١٩٩٦م).

١٦. فتوح البلدان، باشراف : لجنة تحقيق التراث،(بيروت،١٩٨٨م).

١٧. البيضاوي ، ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت٧٩١هـ- ١٣٨٨م) ، تفسير البيضاوي ، أنوار التنزيل واسرار التاويل ، (بيروت ،٢٠٠٣ م) .

١٨. البيهقي، علي بن زيد(ت٥٦٥هـ -١١٦٩م)، معارج نهج البلاغة، تحقيق : أسعد الطبيب،(قم،١٤٢٢هـ).

١٩. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت٢٩٧هـ -٩٠٩م)،سنن الترمذي، تحقيق:محمود محمد محمود وحسين نصار،(بيروت،٢٠٠٠م).

٢٠. التوحيدي، ابن حيان(ت٤١٤هـ -١٠٢٣م)، البصائر والذخائر، كتب مقدمته وحرر نصوصه :عبد الرزاق محي الدين ،(د.ب،د.ت).

*الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ -١٠٣٧م)

٢١. آداب الملوك، تحقيق: جليل العطية،(بيروت، ٢٠٠٥م).

٢٢. الإعجاز والإيجاز، ط٢،(بيروت،١٩٨٣م).

٢٣. ابن جبر ، علي يوسف (ت من اعلام ق٧هـ) ، نهج الايمان ، تحقيق : احمد الحسين ، (قم ، ١٤١٨هـ) .

٢٤. ابن جزي :محمد بن احمد (٧٤١ هـ - ١٣٣٩ م) تفسير ابن جزي ، اشراف: لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٨٣ م) .

٢٥. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ -٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، حققه ووضع حواشيه وفهارسه: مصطفى السقا وآخرون ،(القاهرة ،١٩٣٨م).

*ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(٥٩٧ هـ -١٣٠٠م)

٢٦. صفوة الصفوة، (بيروت،١٩٩٢م).

٢٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق :سهيل زكار ،(بيروت،١٩٩٥م).

٢٨. الجويني، إبراهيم بن محمد بن المؤيد(ت٧٣٠هـ -١٣٢٩م)، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم(عليهم السلام)، حققه وعلق عليه وتصدى لنشره: محمد باقر المحمودي،(بيروت،١٩٧٨م).

٢٩. ابن حبان، أبو حاتم(ت٣٥٤هـ -٩٦٥م)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق وتصحيح : محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، (بيروت،د.ت).

٣٠. ابن حبيب، أبو جعفر محمد(ت٢٤٥هـ -٨٥٩م)، المحبر، اعتنت بتصحيح الكتاب: إيلزة ليختن سنيتز،(بيروت ، د.ب) .

٣١. ابن ابي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(بغداد،٢٠٠٥م).

٣٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن(١١٠٤هـ -١٦٩٢م)، وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة، عني بتصحيحه وتحقيقه : محمد الرازي،(بيروت، د.ت).

٣٣. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة(ت ق٤هـ)، تحف العقول عند آل الرسول β، قدم له : حسين الأعظمي ،(د.ب،١٣٨٤هـ).

٣٤. الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد(من أعلام ق ٥هـ)، شواهد التنزيل بقواعد التفصيل، حققه :محمد باقر المحمودي ،(بيروت،١٩٧٤م).

٣٥. ابن حمدون، محمد بن الحسين بن علي(ت٥٦٢هـ -١١٦٦م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس ،(بيروت،١٩٩٦م).

* ياقوت ،الحموي ، (ت٦٢٦هـ-١٢٢٨م)

٣٦. معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق : إحسان عباس،(بيروت،١٩٩٣م).

٣٧. معجم البلدان ، قدم لها : محمد بن عبد الرحمن المرعشلي ، (بيروت ، د.ت) .

٣٨. ابن حنبل، الإمام أحمد(ت٢٤١هـ -١٠٣٠م)، المسند، رقم أحاديثه : محمد بن عبد السلام عبد الشافي ،(بيروت،١٩٩٣م).

٣٩. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله(ت٣٣٠هـ -٩٤١م)، المسالك والممالك،(د.ب، د.ت).

*ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ -١٤٠٥م)

٤٠. تاريخ ابن خلدون،(بيروت،١٩٩٧م).

٤١. المقدمة، ط٤ ،(بيروت،١٩٨١م).

٤٢. الخوارزمي، أبو المؤيد، الموفق أحمد بن محمد البكري(ت٥٦٨هـ -١١٧٢م)، المناقب، قدم له : محمد رضا الموسوي الخرسان ،(النجف،١٩٦٥م).

٤٣. ابن خياط، العصفري(ت٢٤٠هـ -٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، حققه وقدم له: سهيل زكار،(بيروت،١٩٩٣م).

٤٤. ابن داود الحلي، تقي الدين الحسين بن علي(ت٧٠٧هـ -١٣٠٧م)، الرجال، حققه وقدم له: محمد صادق آل بحر العلوم،(النجف،١٩٧٣م).

٤٥. الدايني، أبو عمرو عثمان بن سعيد(ت٤٤٤هـ -١٠٥٢م)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق : محمد حسين إسماعيل،(بيروت،د.ت).

٤٦. ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن(ت٦٣٣هـ -١٢٣٥م)، أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين،دراسة وتحقيق : محمد محزون ،(بيروت،١٩٨١م).

٤٧. الدميري، كمال الدين بن موسى(ت٨٠٨هـ -١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى،(قم،١٣٧٨هـ).

٤٨. الديلمي، أبو الحسن بن محمد(ت٨٤١هـ -١٤٣٧م)، ارشاد القلوب،(بيروت،١٩٧٨م).

٤٩. الدينوري، أبو حنيفة داود (ت٢٨٢هـ -٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم ثامر وجمال الدين الشيال،ط٢،(قم،١٣٧٩هـ).

٥٠. الذهبي، شمس الدين أحمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ -١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق :عمر عبد السلام تدميري،(بيروت،٢٠٠٣م).

٥١. ابن رجب الحنبلي، أبو فرج عبد الرحمن(ت٧٩٥هـ -١٣٥٧م)، الاستخراج لأحكام الخراج، حققه وخرج أحاديثه وآثاره:أياد عبد اللطيف بن ابراهيم القيسي ،(لبنان،٢٠٠٤م).

٥٢. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ ٩٥١م)، أمالي الزجاجي، تحقيق:عبد السلام محمد هارون،(القاهرة،١٣٨٢هـ).

* الزمخشري،ابو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ -١١٤٣م)

٥٣. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تحقيق : سليم النعيمي،(بغداد،١٩٨٢م).

٥٤ الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط٣،(بيروت،٢٠٠١ م).

٥٥. ابن سعد، محمد بن سعد بن منبع الهاشمي (ت٢٣٠هـ -٨٣٥م)،الطبقات الكبرى، دراسة

وتحقيق:محمد عبد القادر عطا،(بيروت،١٩٩٠م).

٥٦.ابن سلام، أبو عبيدة القاسم(ت٢٤٤هـ -٨٥٨م)، الأموال، تحقيق : محمد خليل هراس،(بيروت،١٩٨٦م).

٥٧.ابن سيد الناس، أبو الفتح بن محمد بن محمد(ت٧٣٤هـ -١٣٣٣م)،عيون الأثرفي فنون المغازي والسير، حقق نصوصه : محمد العبد الخطراوي ومحي الدين ستو ،(بيروت،١٩٩٢م).

*السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ -١٥٠٥م)

٥٨. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(د.ب،١٣٨٠هـ).

٥٩.الدر المنثور في التفسير المأثور، طبعة جديدة خرج أحاديثها: نجدت نجيب، تقديم: عبد الرزاق المهدي ،(بيروت،٢٠٠١م).

٦٠.ابن شبه، أبو زيد عمر(ت٢٦٢هـ -٧٨٥م)، تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد وندل وياسين سعد الدين بيان،(بيروت،١٩٩٦م).

٦١. ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد(ت٨١٥هـ - ١٤٤٧م)، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق : محمد مهنى،(بيروت،١٩٩٧م).

٦٢.الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن(ت٤٠٦هـ -١٠١٥م)، نهج البلاغة، تحقيق : صبحي الصالح، ط٢ ، (قم،١٤٢٩هـ).

٦٣.ابن شهرآشوب، أبو جعفر محمد بن محمد بن علي(ت٥٨٨هـ-١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق : يوسف البقاعي ،ط٢ ، (بيروت،١٩٩١م).

٦٤.الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت٤٥٨هـ-١٠٦٥م)، الملل والنحل، تخريج : محمد ابن فتح الله بدران ، (مصر ، د.ت).

٦٥.الشيزري ، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت٥٨٩هـ - ١١٩٣م) ، المنهج والسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق : علي عبد الله الموسى ، (الاردن ١٩٨٧) .

٦٦.ابن الصباغ،علي بن محمد بن أحمد المالكي(ت٨٥٥هـ -١٤٥١م)،الفصول المهمة، في معرفة أحوال الأئمة،ط٢ ، (بيروت،١٩٨٨م).

*الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن الحسين(ت٣٨١هـ -٩٩١م)

٦٧. الخصال،صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي،ط٦ ،(قم المشرفة،١٤٢٤هـ).

٦٨.علل الشرائع،قدم له : محمد صادق بحر العلوم،(بيروت،د . ت).

٦٩.من لا يحضره الفقيه،(بيروت،٢٠٠٥م).

٧٠.ابن طاووس، ابن الهادي علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد(ت٦٦٤هـ -١٢٦٥م)،فلاح السائل ونجاح المسائل، تحقيق : غلام حسين المجيدي،(د. ب،١٤١٩هـ).

*الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (من اعلام ق ٦ هـ)

٧١.إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، (د.ب،١٤١٧هـ).

٧٢.مجمع البيان في تفسير القران ، حققه : نخبة من العلماء والمحققيق والاخصائيين ، (بيروت ، ١٩٩٥م)

٧٣.الطبرسي، أبو منصور،أحمد بن علي بن أبي طالب (من اعلام ق ٤هـ)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات : محمد باقر الخرسان،(النجف الأشرف، ١٩٦٦م).

٧٤.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ - ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،(القاهرة،١٩٦٩م).

٧٥.الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله(ت٦٩٤هـ -١٢٩٤م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة : جميل إبراهيم حبيب،(د.ب،د.ت).

٧٦.الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي(ت٥٢٠هـ -١١٢٦م)، سراج الملوك، حققه وعلق عليه: نعمان صالح الصالح،(الرياض،٢٠٠٥م).

٧٧.ابن الطقطقى ، محمد بن علي بن طبطبى(ت٧٠٩هـ-١٣٠٩م) ، الفخري في الاداب السلطانية والدولة الإسلامية ، (بيروت، د.ب) .

*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ -١٠٦٧م)

٧٨.الاستبصار فيما اختلف من الأخبار،(بيروت،٢٠٠٢م).

٧٩.الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد،(النجف الأشرف،١٩٧٣م).

٨٠.رجال الكشي، تحقيق وتصحيح : محمد تقي فاضل المبيدي، وأبو الفضل الموسويان،(طهران،١٣٨٢هـ).

٨١.ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد(ت٣٢٨هـ -٩٣٩م)، العقد الفريد، تقديم : خليل شرف الدين،(بيروت،١٩٩٩م).

*ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)

٨٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب،(بيروت،٢٠٠٢م).

٨٣.بهجة المجالس وأنس المجالس وشمس الذاهن والهامس،تحقيق : محمد مرسي الخولي ، (بيروت د.ت.).

٨٤.ابن العبري، غريغوريوس، أبو الفرج بن طاهر الطبيب الملطي(٦٨٥هـ -١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدولة ، وقف على تصحيحه : أنطوان صالحاني اليسوعي،(بيروت،د.ت).

٨٥.ابن عساكر، ابن القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي(ت٧٥١هـ -١٣٥٠م)، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله عاشور الحنوبي،(بيروت،٢٠٠١م).

*العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ -١٤٤٨م)

٨٦.الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، (بيروت ، ١٩٩٢) .

٨٧.الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له : عبد الوهاب بن عبد اللطيف،(القاهرة،د.ت).

٨٨.العسكري، أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل(من أعلام ق٢هـ)، الأوائل،(بيروت،١٩٧٨م).

٨٩.العطاردي ، شارح ومحقق (من اعلام ق٨هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: عزيز العطاردي ، (قم ، ١٤١٧هـ) .

٩٠.ابن عقدة الكوفي،أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد (ت٣٣٢هـ -٩٤٣م)، فضائل أمير المؤمنين، جمعه ورتبه وقدم له : عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، (قم،١٤٢١هـ).

٩١.ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت٨٣٨هـ-١٤٣٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،(قم،١٩٩٦م).

٩٢.الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ -١٢٠٧م) ، التفسير الكبير ، أعداد : مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي ، ط٤ ، (بيروت ، ٢٠٠١م) .

٩٣.ابن فروخ، أبو جعفر محمد بن الصفار(ت٢٩٠هـ-٩٠٢م)، بصائر الدرجات، تقديم وتعليق وتصحيح: ميرزا محسن ، (بيروت،١٩٩٢م).

٩٤.الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ -١٤١٤م)، القاموس المحيط، اعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي،ط٢ ،(بيروت، ٢٠٠٣م).

٩٥. القرطبي ،محمد بن احمد الانصاري (ت٦٧١ هـ _ ١٢٧٢ م) ،الجامع لاحكام القران ، صححه : هشام سمير البخاري ،(بيروت، ٢٠٠١ م) .

*ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)

٩٦. الامامة والسياسة ، تحقيق : علي شيري ، (د.ب،١٣٨٦هـ) .

٩٧. عيون ألأخبار، شرحه وعلق عليه وقدم فهارسه: يوسف علي الطويل،(بيروت، د.ت).

٩٨. المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة،(د.ب،١٤٢٧هـ).

٩٩. قدامة، بن جعفر بن يزاد قدامة بن زياد البغدادي(ت٣٢٨هـ -٩٣٩م، وقيل٣٣٧هـ -٣٤٦م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي،(بغداد،١٩٨١م).

١٠٠. القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة(ت٤٥٤هـ-١٠٦٢م)، دستور معالم الحكم وقانون مكارم الشيم، شرح غريبه : إبراهيم الدملوجي ،صححه وعلق عليه: حسن السماسي سويدان ، (دمشق،٢٠٠٣م).

١٠١. القضاعي، عبد الملك بن ابي بكر المعروف بابن الأبار(ت٦٥٨هـ-١٢٥٩م)، اعتاب الكتاب، حققه : صالح الأشتر، ط٢،(بيروت،١٩٨٦م).

*القلقشندي، أحمد بن علي بن عبد الله(ت٨٢١هـ -١٤١٨م)

١٠٢. مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق :عبد الستار أحمد فراج،(الكويت،١٩٦٤م).

١٠٣. صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه : وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين،(بيروت،د.ت).

١٠٤. القندوزي، سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني(ت١٢٩٤هـ -١٨٨٩م)، ينابيع المودة، صححه وعلق عليه : علاء الدين الأعظمي،(بيروت،١٩٩٧م).

١٠٥. ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد(ت٦٩٧هـ-١٢٦٨م)، مختصر التاريخ،حققه : مصطفى جواد،(بغداد، ١٩٧٠م).

١٠٦. ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي(ت٧٧٤هـ -١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه : أحمد وآخرون،(بيروت،د.ت).

١٠٧. الكراكجي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان(ت٤٤٩هـ -١٠٥٧م)، كنز الفوائد، حققه وعلق عليه: عبد الله نعمة ، (بيروت،١٩٨٥م)

١٠٨. الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ-٩٤٠م)، أصول الكافي، ط٥،(طهران،١٤٢٥هـ).

١٠٩. الكنجي، محمد بن يوسف المقتول(ت٦٥٨هـ -١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي

طالب، تحقيق وتعليق : محمد هادي الأميني،ط٣ ، (أيران،١٤٠٤هـ).

١١٠.الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف(ت٩٦٤هـ -١٥٥٦م)، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن اسماعيل واحمد فريد المزيدي ، (بيروت،٢٠٠٣م).

١١١.الكيذري، قطب الدين (من أعلام ق٦هـ)، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تحقيق : عزيز الله العطاردي ،(قم،١٤١٦هـ).

١١٢.الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب(ت٤٥٠هـ -١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢ ، (قم،١٤٠٦هـ).

١١٣. المتقي الهندي، علاء الدين بن حسام الدين(ت٧٩٥هـ-١٣٩٢م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق : محمود عمر الدمياطي،ط٢ ، (بيروت،٢٠٠٤م).

١١٤.المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ -١٦٠٢م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار،(بيروت،١٩٨٣م).

١١٥.المحلي، أبو عبد الله حميد بن أحمد المستشهد(ت٦٥٢هـ -١٢٥٤م)، محاسن الأزهار في مناقب الأبرار، تحقيق : محمد باقر المحمودي،(قم،١٤٢٢هـ).

١١٦.ابو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي(ت١٥٧هـ -٧٧٣م)، الجمل وصفين والنهروان، جمعه وحققه : حسن حميد السنيد،(لندن، ٢٠٠٢م).

١١٧.ابن مردويه، أبو بكر أحمد بن موسى(ت٤١٠هـ -١٠١٩م)، مناقب الإمام علي بن أبي طالبع وما نزل القرآن في علي، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق حرز الدين، ط٢،(قم،١٤٢٤هـ).

*المسعودي، أبو الحسن بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ-٩٥٧م)

١١٨.اثبات الوصية، للإمام علي ابن أبي طالب، (قم،٢٠٠٣م).

١١٩.مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٤،(د. ب،٢٠٠٧م).

١٢٠.مسلم، محي الدين بن زكريا بن شرف النووي الشافعي(ت٦٣١هـ-١٢٣٣م)، شرح صحيح مسلم، راجعه : خليل الميس ، (بيروت،د.ت).

*الشيخ المفيد، أبو عبد الله بن محمد بن النعمان العكبري(ت٤١٣هـ -١٠٢٢م)

١٢١.الإرشاد، ط٣، (بيروت،١٩٧٩م).

١٢٢.الاختصاص، تحقيق:محمد مهدي السيد حسن الخرسان،(النجف الأشرف،١٩٧١م).

١٢٣. الأمالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٥ ، (قم،١٤٢٥هـ).

١٢٤. المقريزي،أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ -١٤٤١م)، النزاع والتخاصم بين بني أمية وهاشم، قدم له : محمد بحر العلوم،(بيروت،١٩٨١م).

١٢٥. ابن منقذ ، الأمير اسامة (ت٥٨٣هـ-١١٨٧م) ، لباب الأدب ، (بيروت ، ١٩٩٨م)

١٢٦. المنقري، نصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ -٧٢٨م)، وقعة صفين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٢،(القاهرة،١٣٨٢هـ).

١٢٧. النجاشي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس (ت٤٥٠هـ-١٠٥٨م) ، رجال النجاشي ، ط٥ ، (قم المقدسة ،١٤١٦هـ) .

١٢٨. ابن النديم، أبو الفرج بن أبي يعقوب اسحاق(ت٧٨٠هـ-١٣٧٨م)، الفهرست، خطه وشرحه وعلق عليه وقدم له : يوسف علي الطويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، ط٢ ، (بيروت،٢٠٠٢م).

١٢٩. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت٢٠٢هـ -٧١٨م)، خصائص الإمام أمير المؤمنين، حققه وعلق عليه : محمد باقر المحمودي ، (د.ب، ١٩٨٣م).

١٣٠. النعمان،ابو حنيفة بن محمد بن منصور التميمي(ت٣٦٣هـ - ٩٧٤م) ، دعائم الإسلام ، تحقيق : آصف بن علي بن اصغر فيضي ، (مصر، ١٩٦٣م) .

١٣١. ابو نعيم،أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت٤٣٠هـ -١٠٢٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،ط٢،(بيروت،٢٠٠٢م).

١٣٢. النويري ، شهاب الدين احمد عبد القادر (ت٧٣٣هـ - ١٣٣٢ م) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق : عبد الحميد ترحيني وعماد علي حمزة ، (بيروت،٢٠٠٤).

١٣٣. الحاكم النيسابوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) ، المستدرك على الصحيحين ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت، ١٩٩٢م) .

١٣٤. ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك(ت٢١٣هـ -٨٢٨م)، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد شمس الدين،(بيروت،١٩٨٨م).

١٣٥. ابن هلال، أبو إسحاق، إبراهيم محمد سعيد(ت٢٨٣هـ -٨٩٦م)، الغارات، حققه: عبد الزهرة الحسيني الخطيب،(بيروت،١٩٨٧م).

١٣٦. الواقدي، محمد بن عمر بن وقاد(ت٢٠٧هـ -٨٢٢م)، المغازي، تحقيق: مارسون جونس، ط٣،(بيروت،١٩٨٩م).

١٣٧. ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر(ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي،ط٢،(النجف،١٩٦٩م).

١٣٨. وكيع ، محمد بن خلف بن حبان (ت٣٠٦هـ -١٢٠٦م) ، اخبار القضاة ، مراجعة: سعيد اللحام ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) .

١٣٩. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان(ت٧٦٨هـ-١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور،(بيروت،١٩٩٧م).

١٤٠. اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط٢،(قم،١٤٢٥هـ).

١٤١. ابو يعلى، محمد بن الحسن الفراء الحنبلي(ت٤٥٨هـ -١٠٦٥م)، الأحكام السلطانية،صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، ط٣، (د. ب،١٤٠٦هـ).

١٤٢. ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم،(ت١٨٢هـ -٧٩٨م)، الخراج،(بيروت،١٩٧٩م).

المراجع:

١. الابطحي، محمد باقر الموحد، الصحيفة العلوية الجامعة للأدعية، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، (قم، ١٤٢٣هـ).

٢. الأميني، محسن، أعيان الشيعة، حققه : حسن الأمين،ط٥، (بيروت،٢٠٠٠م).

٣. الأميني، محمد هادي، أصحاب أمير المؤمنين ε والرواة عنه،(بيروت،١٩٩٢م).

٤. بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك،(قم،٢٠٠٦م).

٥. جرادق، جورج، الإمام علي εصوت العدالة الإنسانية، ط٢،(إيران،١٤٢٤هـ).

٦. جعفر،نوري، فلسفة الحكم عند الإمام ،تقديم : عبد الفتاح عبد المقصود،(القاهرة ،د.ت).

٧. الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ،ط٢، (بغداد،١٩٨٦م).

٨. حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ط١٥ ، (القاهرة ، ٢٠٠١م) .

٩. حسين، طه، الفتنة الكبرى،(مصر،١٩٥١م).

١٠.الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي ε روح الإسلام الخالد ،(بيروت،٢٠٠٧م).

١١.الحكيم، محمد تقي، تاريخ التشريع الإسلامي، (لندن،١٩٩٨م).

١٢.حمود، خضير كاظم، السياسة الإدارة في فكر الإمام علي ε بين الأصالة والمعاصرة،(بيروت،١٩٩٩م)

١٣.الخاطر ، حسن سعيد محمد ، الأمير تراث الإمام علي عليه السلام ، (بيروت ،٢٠٠٥م) .

١٤.الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى الرابع الهجري، (بغداد،١٩٧٦م).

١٥.الزبيدي ، عبد الرضا ، الرسائل السياسية بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية ، (د.ب ، ٢٠٠٠م) .

١٦.الزركلي، خير الدين، أعلام،ط١٦،(بيروت،٢٠٠٥م).

١٧.الزهاوي، ضياء، حكومة علي الشرعية، ملامح وتطبيق ، (قم،٢٠٠٢م).

١٨.سبيتي ، علي يوسف ، المعارضة في الإسلام ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) .

١٩.السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي ε، تقديم : محمد اليعقوبي،(النجف،٢٠٠٦م).

٢٠.الشاهرودي ، علي النمازي ، مستدركات علم الحديث ، (طهران ، ١٤١٢هـ) .

*الشكري ، علي يوسف

٢١.حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق،(القاهرة،٢٠٠٩م).

٢٢.مبادئ القانون الدستوري والنظم الإسلامية ، (القاهرة ، ٢٠٠٨م) .

٢٣.شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام ،ط٣، (قم،١٩٩٢م).

٢٤.الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها،ط٤، (بيروت،١٩٧٨م).

*الصدر ،محمد باقر

٢٥.الإسلام يقود الحياة،ط٣، (بغداد،١٩٩٠م).

٢٦.اقتصادنا، تحقيق : مكتب الإعلام الإسلامي فرع طهران، (طهران،١٤١٧هـ).

٢٧.الإمام علي ε سيرة وجهاد، (بيروت،٢٠٠٣م).

٢٨.المجتمع الفرعوني،(النجف الأشرف،١٤٢٤هـ).

٢٩.مجتمعنا، إعداد : محمد علي أمين، تقديم : جواد سعدي،(بيروت،٢٠٠٢م).

٣٠.الصفار، فاضل، فقه الدولة، بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية،(قم، ٢٠٠٥م).

٣١.ضيف، شوقي، المدارس النحوية،ط٧، (القاهرة،١٩٩٢م).

٣٢.الطبطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، (بيروت ، ١٩٩٧م) .

٣٣.العبادي، محمد ، الإمام علي ε وتنمية ثقافة أهل الكوفة ، (قم-١٣٨١هـ).

٣٤.عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٣ ، (قم،١٣٨٤هـ).

٣٥.عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي مسار الإسلام بعد الرسول β ونشأة المذاهب ، (د.ب،١٩٩٧م) .

٣٦.عبد المقصود، عبد الفتاح، المجموعة الكاملة الإمام علي ε،(القاهرة،٢٠٠٦م).

٣٧.العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي ε ، (بيروت،١٩٩٧م).

٣٨.علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (د.ب ، د.ت) .

٣٩.العلي، صالح أحمد،التنظيمات الاجتماعية والإدارية في البصرة في ق ١ هـ ، (بغداد،١٩٣٥م).

٤٠.فرج ، عودة ، الدولة في الفكر الفقهي عند محمد باقر الصدر ، (العراق ، ٢٠٠٩م)

٤١.الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية ، ط٣ ، (بغداد،١٩٩١م).

٤٢.القرشي، باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنينε ، (قم،٢٠٠٢م).

٤٣.كاشف الغطاء، الهادي، مستدرك نهج البلاغة، (بيروت ، ١٩٩٦) .

٤٤.الكتاني، عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، (بيروت،د.ت).

٤٥.المعهد الدولي لحقوق الإنسان ،كلية الحقوق بجامعة ديبول، الديمقراطيات والحريات العامة ، (د.ب،٢٠٠٥م).

*الموسوي، محسن باقر

٤٦.الإدارة والنظام الإداري عند الإمام عليε،(بيروت،١٩٩٨م).

٤٧. الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة ، (بيروت،٢٠٠٢م).

٤٨. الموسوي، محسن، دولة الإمام علي ε،(د. ب،١٩٩٣م).

٤٩. هيكل، محمد حسين، حياة محمد β ،(القاهرة،١٣٥٤هـ).

٥٠. الورداني، صالح السيف والسياسة، صراع بين الإسلام الأموي و الإسلام النبوي،(بيروت،١٩٩٩م).

٥١. ياسين، نجمان، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة الراشدية،(الموصل،١٩٨٨م).

٥٢. اليوزبكي ، توفيق ، النظم الإسلامية ، (النجف ، د.ت) .

المجلات:

مجلة السدير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، السنة الثانية، العدد(١٠).

الرسائل والاطاريح الجامعية:

١. البغدادي،أحمد علاوي مجيد، نشأة التيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي(٣٢هـ/٧٤٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة الكوفة-،كلية الآداب ،٢٠٠٧م.

٢. جياد، حاتم كريم، الامام علي ε في كتابات المستشرقين، أطروحة دكتوراه في

التاريخ الاسلامي، جامعة الكوفه، كلية الاداب، ٢٠٠٧.

٣. الحسناوي، ختام مزهر راهي، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية،(١١هـ/٦٣٢م ـ٤١هـ/٦٦١م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الكوفة، كلية الآداب ،٢٠٠٧م.

٤. العمر، سمير صالح حسن، عثمان بن عفان(رض)، سيرته ودوره السياسي،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة بغداد، كلية الآداب ، ١٩٩٩م.

٥. العيساوي، علاء كامل صالح، النظم المالية والإدارية في عهد الإمام علي ε (٣٥-

٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة البصرة، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م.

٦. مشعان ،محمود شاكر، القضاء في الكوفة النشأة والتطور، دراسة تاريخية(١٧-١٣٢هـ/٦٣٨-٧٤٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة الكوفة، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م.

٧. المياحي، شكري ناصر عبد الحسن،الإمام علي ε دراسة في فكره العسكري، اطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة البصرة، كلية الآداب ،٢٠٠٥م.

Basis of Establishing the Islamic State in Thought of Imam Ali(P. u . h)

Ali Saad Toman Adwa

Summary

Imam Ali(peace be upon him) is the pioneer of the human life worn in all it field and this subject is arty to manifest the role of this character through an academic study including four chapters in addition to the introduction and a conclusion.

The first chapter is devoted to the political and intellectual bases for Imam Ali, it includes three topics: the intellectual basis for Imam Ali, the political thought for Imam Ali starting with the political conditions since the prophet is death 11A.H.\632A.D till Imam Ali's Baiy'a in 35A.H\655A.D. then Imam Ali's intellectual concept for caliphate and his policy as a caliph or Imam.

" The intellectual military basis of Imam Ali is the subject of the second chapter which consists of three topics to study military spiritual and human dimensions for Imam Ali.

The third chapter studies two important bases through two topics: The financial and the social bases.

The administrative and judicial bases in the through of Imam Ali, it also includes three topics; the administrative, the judicial and some the relating systems such as: complaints, price control "hisbah" and police.

The thesis is ended with a conclusion that includes the most important results followed by a bibliography that includes the main resources and references that varied according to its importance the first of these resources are the Holy Quran the interpretation books, hadith books and biographies.

Nahjul- Balagha for Ibn AL-Hadeed occupied a large field of the study.

The main results might be summarized as following:

1. The intellectual baese represent the main assence of the Islamic religion, and Imam Ali try to motivate Muslems via diffussing knowledge and education to found an Islamic flourishing civilization.
2. His efforts had great effect to establishing the writing system in the Islamic state, then finding out the grammar to maintain the Arabic language, the result of these efforts is maintain the Holy Quran, gather in it, so e can say that he is the first who found recoding in the Islamic nation.
3. His policy comes from the conception that Imamah is extension of prophecy, it is a Divine duty rather than election, so it is devoted to establish the Divine justice government.
4. For the military base, Imam Ali was a soldier in all the battles of the prophet, which gave him the experience in this field.
5. For the financial base, Imam Ali polcy represented by putting the planes to invest the state resources and prevent wasting which revive the Islamic economic life.
6. His thought found the administrative cities that based on accurate organizing, work division, specialization and respecting time.
7. The judicial system that as found by Imam Ali is a typical system than can not be found in any other state rather that of the prophet and Imams and his directions become judicial rules for the Islamic state.

8. Imam Ali set the conception of sociology in the Islamic society by canceling the class struggle and evaluating people according to their scientific and moral efficiency and ability.

University of Kufa
College of Arts
Department of History

Basis of Establishing the Islamic State in Thought of Imam Ali(p.u.h)

A thesis Submitted to
The Council of the College of Arts University of Kufa
By:
Ali S'aad Toman Adwa

In Partial fulfillment of the Requirements for M.A Degree.
in
Islamic History

Supervised by

Asst.Prof. Dr. Sameer Saleh Assen

2010 A.D. **1431 A.H.**